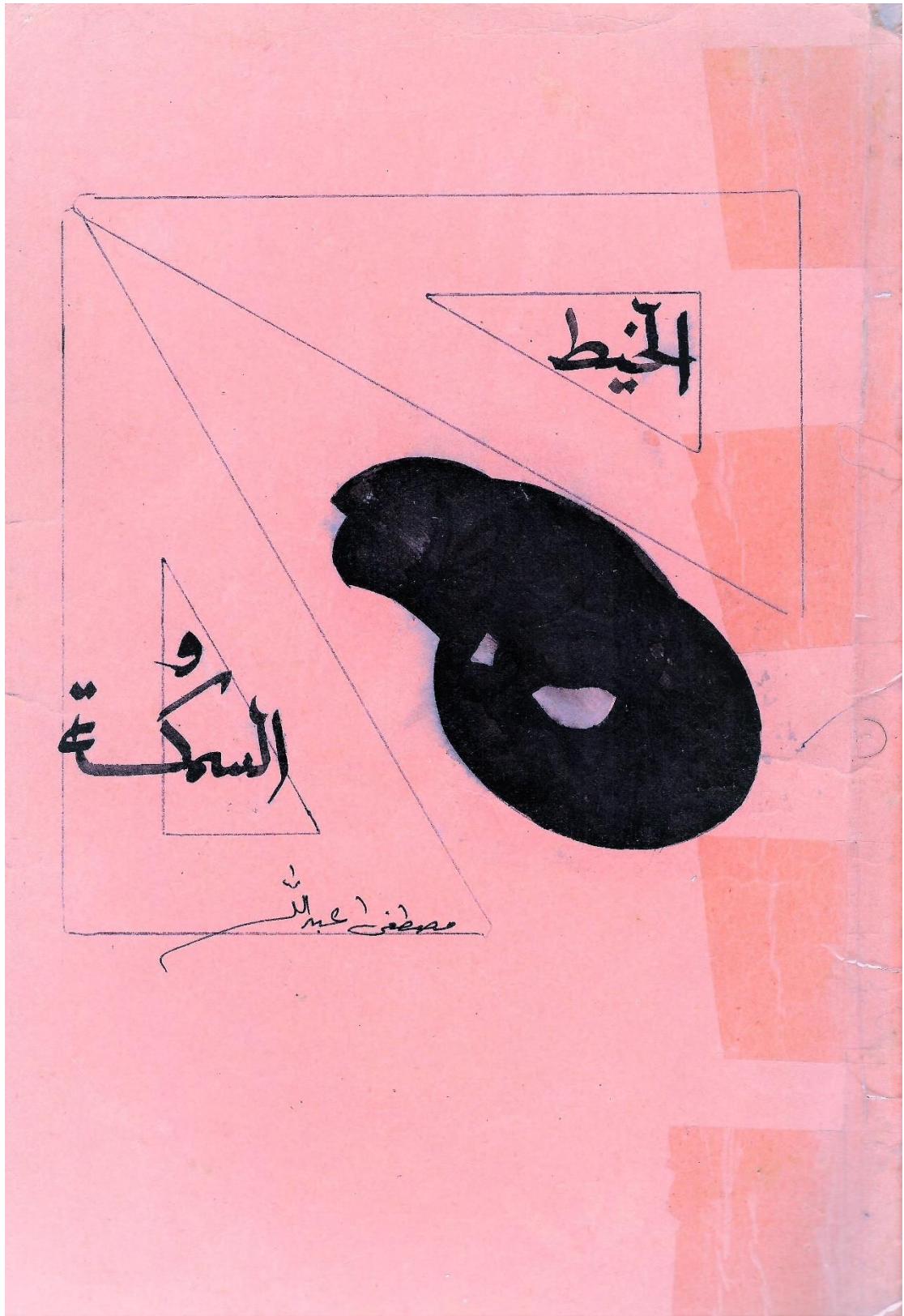




مصطفى عبدالله



# للخيط والسكة

مصطفى عبدالهاد

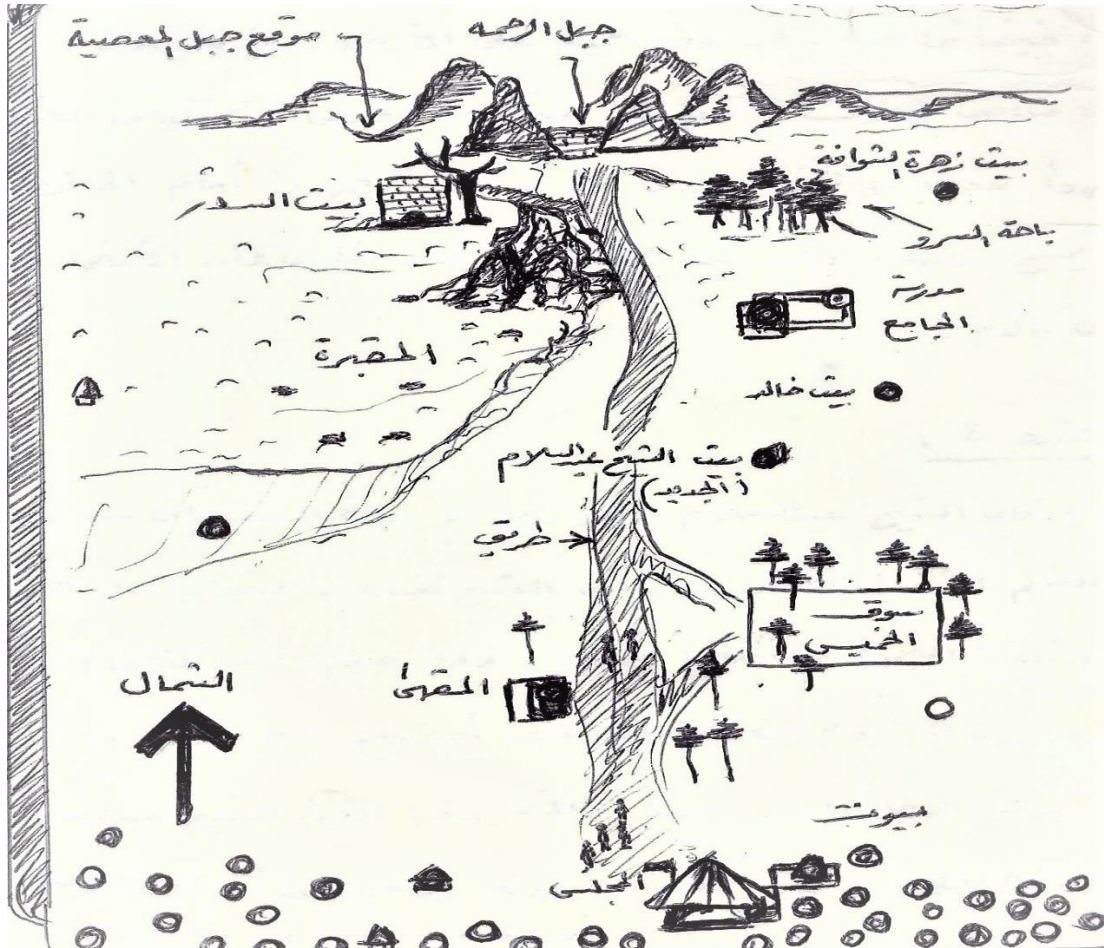
- 1- انيسة : شابة جميلة في بداية العشرينات من عمرها .
- 2- حميد : زوجها , اكبر منها سناً , رث المظهر .
- 3- صالح : ابن الشيخ عبد السلام , اكبر سناً من حميد ( بحدود 32 سنة ) .
- 4- الشيخ عبد السلام :- رجل بلحية بيضاء تقريبا، جاوز الستين من عمره .
- 5- وقاص :معاون الشيخ,والشيخ في بداية الخمسينات,رجل خشن المظهر .
- 6- النجم , عوفي , والشهود الستة , والرجل .
- 7- ام حميد :- امرأة في الخمسينات .
- 8- ابو حميد :- اعمى , في الستينات .
- 9- الاستاذ خالد : شاب متعلم في نهاية العشرينات من عمره .
- 10- عبد المعطي الاخ الاكبر- عيسى - عدنان : اولاد أخ الشيخ عبد السلام .
- 11- حليلة . بنت اخت الشيخ عبد السلام . فتاة مقبولة المظهر قريبة لأنسية
- 12- ام حليلة : اخت الشيخ عبد السلام .
- 13- الحاجّة :- زوجة الشيخ عبد السلام .
- 14- خديجة : زوجة صالح وابنة عمه – اخت عبد المعطي .
- 15- سعدية : زوجة وقاص في الثلاثينات من عمرها .
- 16- صبر الشعار: نحيل المظهر في نهاية الخمسينات ذو لحية بيضاء تقريبا
- 17- عبود , وسعدون من رجال الشيخ وقاص + اربعة مساعدين + جلاد .
- 18- الفلاح عبد الواحد , لفته , حمد ...
- 19- بائعة في السوق + مجموعة نسوة .
- 20- صاحب المقهى + رجال في المقهى .
- 21- الفقيه عبد الغفار , في عمر الشيخ عبد السلام .
- 22- زوجة عبد المعطي + زوجة عيسى + ام عبد المعطي.
- 23- زوجة الفلاح عبد الواحد.
- 24- ام خالد .
- 25- المقرئ الأعمى .
- 26- زهرة الشوافة .
- 27- الطفلة خوله ابنة انيسة .
- 28- المنادي في سوق الخميس .
- 29- مجموعة تلاميذ (10) منهم : علي , محمد , نوري
- 30- عائلة المخلوف ( ومنهم عباس , محسن )
- 31- عائلة السامر ( ومنهم طالب .. )
- 32- أهالي البلدة ...



## ملاحظة :-

- + كل نساء هذه البلدة , يخرجن من بيوتهن ملثمات , الا الكبيرات في السن , وثوبهن الاعتيادي فضفاض , وذو لون داكن .
- + لا يخرج وقاص إلا وببيده سوطه.
- + صبر الشعار , ذو حركات طفولية .. تعطيه مظهراً عبثياً ...
- + خالد المعلم , شخصية معروفة باعتدادها , وملبسها المغاير ...
- + عند حليلة التي رباها خالها الشيخ عبد السلام في بيته , ميل للتدلل .
- + عندما تتحرك أنيسة أو تتكلم , نرى هدواً حزيناً ...رزانة غير معترف بها .
- + إنها قرية مثل الوف القرى , تأكل وتشرب وتنام داعية ربتها بالسلامة.

## تخطيط القرية



المكان : قرية محاذية لمنطقة جبلية مشهورة بآثارها القديمة .  
والزمان في أوائل هذا القرن ..

والناس تراضوا أن يولوا عليهم واحداً منهم : يحكم بينهم ويسوي أمورهم يساعده  
في ذلك مجلس , نصّبوا له خيمة دائرية كبيرة , ويعقد اجتماعه للنظر في مختلف  
القضايا يوم الجمعة , بعد صلاة العصر عادة ..

### الفصل الأول

#### ( المشهد 1 )

سوق يوم الخميس صباحاً , يأتي الناس إلى هذا السوق يشترون ويبادلون منتجاتهم  
وأيضاً يلتقون ببعضهم . قطعة من الأرض تقارب مساحتها اربعة هكتارات ,  
تُنصب عليها حوانيت ومقاه مؤقتة .. ويبدأ السوق صلاة الصبح وينتهي قبيل صلاة  
العصر ..

ومن بين هذا الزحام , يندفع حميد بثيابه الثقيلة , رغم حرارة الجو .. وهو يتمتم  
بكلمات غاضبة غير مفهومة , وعلى بُعد أمتار .. من أحد الحوانيت , يُخرج يده  
من جيبه الطويل فينقاجاً بعض الناس القريبين منه بالسكين الحادة التي يحملها بيده ,  
ليترجع قسم منهم وتصرخ بعض النسوة ... لقد هجم حميد كالمجنون على صاحب  
الحانوت , الذي لم يحس بالخطر إلا في آخر لحظة , فينحاش عنه , ليسقط حميد  
على الأرض .... لكنه ينهض .. ويندفع كالنمر إلى صالح - صاحب الحانوت -  
ويقعان معاً على الأرض بين أكياس الطحين .. وتعلو صرخة مدوية .. يهدأ بعدها  
كل شيء .. ويرى الناس الذين تجمهروا أمام الحانوت , صالحاً يقف وهو يمسح  
وجهه , ناظراً إلى حميد الذي اخذ يتلوى على الأرض والسكين تخترق صدره  
النازف بالدم ...

#### ( المشهد 2 )

وفي هذا الوقت , كان الشيخ عبد السلام ومعه معاونه ( وقاص ) الضخم الجثة و  
الأصغر سناً من الشيخ نفسه , يحظران حل النزاع على ملكية أرض بين عائلة  
( النجم ) وعائلة ( عوفي ) ... وقد حضرت العائلتان المتنازعتان ممثلين بالنجم  
نفسه وعوفي ... ومجموعة من الفلاحين أحضرهم النجم ليشهدوا معه على حقه ..  
بينما حضر عوف الرجل المسن وحده ..والآن وقد انتهى الشيخ عبد السلام من  
معاينة الأرض المتنازع عليها , يهمس الشيخ لمعاونة وقاص , بعد أن ترجل  
الرجلان من حصانيهما ..

- اذكر أن والدي رحمه الله , كان يقول هذه أرض مسكينة لا تجد من يتولاها ...  
ثم يلتفت الشيخ إلى النجم الذي بقي ينتظر أن يسمع شيئاً من الشيخ :-  
- والآن , ماذا تقول ...

ويرد النجم :- أنا لا أقول شيئاً , وها هم الناس ( مشيراً إلى الشهود الستة ) العارفون  
بالأمور يقولون لك يا شيخ عبد السلام .. ولقد عرضتُ شكواي كلها إمامك أيها  
الشيخ !

ويسأل الشيخ أحدهم : ماذا تعرف يا علوان ؟

فيتقدم علوان وهو ينظر إلى السوط الذي بيد وقاص :- منذ كنا صغاراً , ونحن نرى والد النجم هو الذي يحرق الأرض ويفلحها .. إما عوف ( ويشير إلى كوخ صغير ) الساكن هنا , حتى قبل أن يهجر أولاده البلدة , فكان مستفيداً من كرم المرحوم .. والد النجم , حيث يسكن مجاناً , ولا يفعل شيئاً .. ولم اسمع انه صاحب هذه الارض إلا منذ سنة .. اعني . منذ بدأت المشكلة , كما تعرف يا شيخ ... وهؤلاء ( مشيراً إلى بقية الشهود ) يشهدون معي على ما أقول ...

ويمشي الشيخ إلى عوفي الذي بقى ساكناً , ويسأله : وماذا تقول يا عوفي ؟ .  
يجيب عوفي :- أكريتها لوالد نجم قبل 15 عاماً .. فما أنا استطعت ولا ولداي صبراً معي أن نفلح الأرض ... وهي مزروعة بالكلاً كما ترى .. واكتفيت أنا والعجوز بأربعة أغنام أبيعها في نهاية الموسم , وزراعة بضعة أشجار بالخضار .. والكراء الذي اقبضه من والد النجم .. أما وقد مات الرجل , رحمه الله , فإن النجم ما إعطاني كراء .. لا العام الفائت ولا الذي قبله .. ولم أطلبه .. لكنه جاءني قبل عام يقول بأنني يجب أن أعطيه كراء مقابل سكني , أو عليّ أن أرحل .. وقلت له يا ولدي .. سبحان معير الأحوال ...

ويقاطعه الشيخ قائلاً :- ومن يشهد معك على صحة ما تقول ؟.  
فيجيب عوفي متردداً : زوجتي , ولكن أظنها لا تصلح للشهادة .. لكبر سنها , أيها الشيخ , وهي ترى بأننا - أنا وهي - لم نعد نصلح للأرض .. أنا أقول لك الحقيقة .. ولكن اذا تركنا أرضنا , فأين نذهب ؟ .. أنها تقول , ارض الله واسعة وستستضيفنا مدة هذه الأيام القليلة الباقية لنا في الحياة .. لكن أيها الشيخ كيف أحتمل أن يضيع مني أولادي وبلادي ...

ويشير الشيخ عبد السلام لمعاونه وقاص , فيتقدم منه هذا الأخير وينفردان فيقول الشيخ :- ماذا ترى يا وقاص ؟ قلبي مع عوفي لكن الحجة مع النجم و هو صاحب الشكوى ؟

ويرد وقاص دون تردد :- وأنا أيضا أيها الشيخ , كان المفروض إن يكون المشتكي هو عوفي !

ويقول الشيخ :- ولكن كيف نعطيها له دون حجة ؟.

ويرد وقاص : بل الحجة , و إمام الجميع !

ويقول الشيخ : كيف ؟

فيحرك وقاص السوط بيده قائلاً :- هل اتصرف ؟

ويشير له الشيخ برأسه موافقاً , وعندئذ يلتفت وقاص بحركة مفاجئة إلى الشهود الذين وقفوا منتظرين حكم الشيخ او رأيه , ثم ينادي بأعلى صوته : انتما , يا جبار ويا قاسم تعاليا إلى هنا ..

ويتقدم الشاهدان , امام وقاص , ودون أن يسمع الآخرون ما يقال يسأل : كم طفل لديك , وهل زوجتك حامل الآن ؟

يندهش الشاهدان لهذا السؤال , لكنهما يستسلمان للإجابة عن سؤاله , بعدما رأيا صرامة عينيه , وحركة السوط في يده اليمنى ..

جبار :- عندي ثلاثة صبيان وبنتان , وزوجتي حامل ..

قاسم :- عندي اربعة اطفال , وقد طلقت زوجتي قبل ثلاثة أشهر ... ولا ادري إن كانت حاملا .. او لا ..

فيقول له وقاص بلهجة غاضبة :- لا تدري ؟ هل قلت لا تدري ؟ ( ويمسك به من ثيابه قائلاً ) :- أنت رجل جاهل , وأنا متأكد ( ويقرب رأسه منه هامساً ) انك لا تستحق إن تكون أباً .. وهذا شيء يعاقب عليه الشرع. ( ويدفعه جانباً , إلى رفيقه الذي وقف مرتبكاً لا يفهم شيئاً عما يحدث ! لكن وقاص يقترب من قاسم وهو يقول مشيراً إلى الشهود الذين , هم أيضا لا يعرفون ماذا يحدث ) والآن , قل من هو علون ؟ فيشير قاسم مرتعباً إلى جهة علون ..

وعندئذ , يقول وقاص منادياً : علون ... تعال إلى هنا !

فيأتي علون مسرعاً , ويقف لاهثاً أما وقاص الذي نظر في عينيه ثم قال : وتكذب يا علون على الشيخ وعليّ .. الا تخاف الله .. ليس هذا فقط , بل وتجبر هذين المسكينين ( مشيراً إلى جبار وقاسم اللذين لا يسمعان ما يقول ) على الكذب أيضا ! . ( ويشير إلى الأرض المجاورة للأرض المتنازع عليها قائلاً ) وأضنك تعرف أن هذه الأرض , هي للشيخ عبد السلام ( يوميّ علون بالإيجاب ) . فكيف نسيت أن الشيخ عبد السلام لا يعرف من يملك هذه الأرض ؟. يا شاهد الزور .. ( ويرفع يده بالسوط عالياً , فيجمع علوان يديه على وجهه متحاشياً ضربة متوقعه ) ..

علون :- أنهم يكذبان , فانال أحرص أحداً .

فبنهال وقاص عليه بالسوط فعلاً :- وما تزال تكذب ( يجفل الحصانان من ضربة السوط )

علون :- أبداً , مثلي مثلهم ... فعلتُ وقلت مثلما فعلوا وقالوا ..

وتنهال عليه ضربة أخرى , فيمشي متلويًا ومستغيثًا بالشيخ عبد السلام قائلاً : صدقني ايها الشيخ أنا قلت ما كنتُ اسمعه من النجم ... ولم أحرص احداً ... وفجأة يلمح الجميع , رجلاً قادمًا من بعيد وهو يصيح باعلى صوته ... ويلوح بيديه :- ولدك , صالح , يا شيخ عبد السلام قتل حميد بن فاطمة في سوق الخميس .

### ( المشهد 3 )

يوم الجمعة عصرًا , في مجلس البلدة يجتمع الناس ... يجلس الحاضرين على تكايا موضوعة على الأرض في دائرتين , تاركين وسط المجلس فسحة , تنصب فيها خشبة الجلد .... ويجلس الشيخ عبد لسلام في الجهة المقابلة للباب الرئيسي للمجلس , الذي غالباً ما يحتشد فيه النسوة في الحالات التي تناقش فيها قضايا مهمة , كما يحدث اليوم .. ووراء الشيخ يفتح باب صغير يؤدي إلى غرفة طينية ضيقة , تستعمل لحجز بعض المذنبين حتى يحين وقت محاسبتهم ... وامام الشيخ , من جهته اليمنى غالباً ما يقف المذنب , بينما تقف الضحية على جهته اليسرى ... وصالح ابن الشيخ عبد السلام يدافع عن نفسه إمام أبيه وكافة الحاضرين في المجلس :

صالح :- لقد حدث ما لم أكن انويه .. كنت ادافع عن نفسي , وهو سقط على السكين , وكل الناس شاهدوا ما أقوله ... لقد كان قضاءً وقدرًا ..

كان الشيخ ينظر إلى ولده بشيء من الأسف , وردّ على كلام ولده



: نعم , نحن نعرف ما تقول يا صالح ..ولكن ، لماذا أراد المرحوم , أن يقتلك أنت بالذات ؟ .. هذا ما نريد أن نعرفه .. ولا يصدق أحد أنه أراد ذلك دون قصد ...

صالح بارتباك :- كيف أعرف ؟. أنا لا أعرف لماذا أراد قتلي !  
ويلتفت الشيخ عبد السلام إلى يساره , حيث تقف أنيسة , زوجة حميد , الشابة والتي رغم لثامها الذي لا يظهر إلا عينيها , يعرف الجميع أنها من أجمل بنات البلدة , وهي تحمل ابنتها ذات الأربعة أشهر , وأم حميد (فاطمة ) وأبوه الأعمى ( عبد المجيد) ويسأل أنيسة :- وأنت يا أنيسة . زوجته , ولا بد أنك تعرفين شيئاً ؟ وقبل أن تجيب , يستطيع المرء أن يلاحظ أنها نظرت إلى صالح , فاخفض هذا الأخير بصره متحاشياً نظراتها , وتقول أنيسة بصوت مبوح : إنه .. لم يخبرني بشيء ولم اعرف .. انه ذهب لسوق الخميس كعادته .. لأنه قال , ولا أدري لماذا , أنه لو أستطاع أن يهاجر إلى بلدةٍ أخرى لفعل .. وجلس قدامي .. ولما قلتُ له أن امه لا تستطيع أن تذهب إلى سوق الخميس لتشتري ... شتمني وشتم أمه ... وقال اذهبي أنتِ .. فانا لن أرى أحداً ..

الشيخ :- وأنت يا أم حميد ؟

إلام :- أنا قلت لأبيه , أن ولدك صار كالمجنون هذه الأيام , لكنه لم يصدقني ...  
الأب الأعمى :- لا حول ولا قوة إلا بالله .. فنحن أيها الشيخ سمعنا بالخبر من الناس .. لقد كان ولدي مجنوناً ويقاطع الشيخ كلام الرجل الأعمى : لا تعرفون ؟ من يعرف إذن ؟

#### ( المشهد 4 )

في بيت الشيخ , مساءً , وهما جالسان في إحدى الغرف التي يستخدمها غالباً في الجلوس لمناقشة بعض الأمور مع معاونه وقاص .. او لاستقبال بعض ضيوفه أو لراحته الشخصية الشيخ وهو يتساءل :- لا يمكن أن نصدق .. أن الأمر كان قضاءً وقدراً...إنا أحس بشيء ما ولكني لا أعرفه .. وأفكر أن ازور بيت عبد المجيد , فقد يكون في بيته أكثر فائدة ..

ويقول وقاص :- الأمر يا شيخ , لا اظنه يستدعي منك كل هذا الاهتمام ..نعم , حميد مات ويرحمه الله , ولكن ولدك كان يحمي نفسه .

الشيخ :- وقاص ! اتق الله , الا تخاف ان يكون هناك أمر نجهله ويعرفه غيرنا .. أمر عظيم جعل حميد يحمل سكينته ويسعى مثل المجنون كي يقتل .. وأنا على يقين أن هذا الأمر هو الذي قتل حميد...

وقاص :- استغفر ربي .. لم أفكر كما فكرت .. وإذا كان لابد , فخذني معك ..

الشيخ :- كلا .. فالسوط هنا لا ينفع يا وقاص ..

وقاص :- لا أحد يعلم غير ربي .. ولكن السوط ينفع في كل مكان وزمان !

الشيخ :- ماذا , هل نضربهم حتى يقولوا لنا ؟

#### ( المشهد 5 )

بيت حميد , ليلاً , وصالح يطرق الباب نقراً .. وتفتح فاطمة ( ام حميد ) له الباب فينسل صالح الى الداخل مسرعاً , وهو يقول :- أردت إن أقول لكم .. وتقاطعه ام

حميد بحزن :- نحن نعرف يا ولدي .. انك لم تقصد ما وقع .. وهكذا نحن ، هكذا دائماً ... تحلُّ علينا لعنه ربي ..

ويقول صالح بأسف :- لا اعرف ماذا أقول .. ولكن أبي سيصُتر على ... أن يعرف ، وتقاطعه ام حميد :- لا تخف . لن يعرف أبوك .. ومات ولدي لأنه أراد الا يعرف أحد..

صالح :- قصدتُ انني , لن يتغير شيء بالنسبة لي .. بل .. ربما أحاول أن أقوم بواجبي أكثر مما فعلتُ حينما كان المرحوم .. حياً .

### ( المشهد 6 )

ويشيع جثمان حميد , ويدفن في مقبرة القرية .. الواقعة على المشارف الشمالية للقرية حيث يطل من بعيد الجبال , وأثار ( بيت السدر ) من بين المخرجات الصخرية .. ويمر الجثمان الذي يتقدمه الشيخ عبد السلام نفسه ويسير بجانبه عبد المجيد ( أب حميد ) و وقاص على مدرسة البلدة .. حيث وقف بعض تلاميذها يراقبون مرور الجثمان وبجانبهم أستاذهم ( خالد ) الذي يشارك في التشيع بمجرد وصول الجثمان إمامه ..

وبعد الدفن وتفرق المشيعين , يسير الشيخ عبد السلام مع الاستاذ خالد إلى باب المدرسة ومعهما وقاص... وعند الباب يسأل :

الشيخ :- كيف حال التلاميذ يا أستاذ خالد ؟

خالد :- بخير .

الشيخ :- والأحجار ؟

خالد مبتسماً :- بخير أيضاً !

ويودع الشيخ , ويسيران هو و وقاص راجعين إلى القرية ..

وقاص :- هل عرفت شيئاً ؟

الشيخ :- إنا لا أدري ماذا جرى للناس ... لقد تأكدتُ من ام وأب حميد أن هناك شيئاً يخفونه عني .. لماذا لا تريد ام أو أب أن يقول شيئاً عن السبب الذي قتل ابنها ؟

وقاص :- ألم أقل لك , لا يأتي ما في الغيب إلا السوط , يا شيخ !

الشيخ :- تضرب مَنْ حتى تعرف ؟ الرجل الأعمى , الأم , الزوجة المرضع ؟

وقاص : لقد فكرتُ بالأمر ' وإذا كان يهملك .. فانا أعرفُ اضرب مَنْ ؟

الشيخ :- كيف لا يهمني موت إنسان؟! ولكن هل يفعل سوطك أكثر مما فعله موت ولداهم بهم ؟

وقاص:- إنا لا أتحدث عنهم .. فهم يعرفون طبعاً , ولكن .. ولدك صالح يعرف أيضاً !!

الشيخ :- هل أنت متأكد .. انه يعرف ؟.

وقاص :- نعم , وإذا شئتُ سترى بعينك .. وتسمع بأذنيك .

### ( المشهد 7 )

وعلى غير العادة يعقد المجلس في غير يوم الجمعة ... والآن صالح يركع أمام أبيه وقد وقف وقاص بسوطه على رأسه .

صالح :- صدقني يا أبي .. دافعتُ عن نفسي .. وحميد جُنَّ .. كان يمكن أن يقتل  
أيّ واحد غيري .. وأهله شهدوا إمامك بذلك ..  
ولا يريد الشيخ أن يستمع لكلام ولده صالح : ويشير لبعض معاونيه , فيتقدمون كي  
يشدوا صالحاً على خشبة الجلد في وسط المجلس .. ولكنه يقاوم قائلاً بصوت  
مبحوح : اقتلني يا أبي , لكن لا تجلدني هنا .. أمام الناس .  
ويتدخل وقاص بسرعة :- ليكن ما يريد أيها الشيخ .. ولا فرق ... هل آخذه لغرفة  
الحجز ؟ ويحرك الشيخ رأسه موافقاً ..

فيمسك وقاص صالحاً من كتفه ويخرج به من الباب الخلفي إلى غرفة الحجز .  
ويسود الصمت على وجوه الحاضرين .. وكلُّ منهم ينتظر خبراً مفاجئاً : أولاد اخ  
الشيخ عبد السلام , عبد المعطي وعيسى وعدنان . حتى إن عبد المعطي لم يستطيع  
إلا أن يهمس لأخيه عيسى قائلاً

:- هل تظن حقاً أن ابن عمي فعلها مع هذه الـ...؟

والأستاذ خالد , الذي كان يبدو غريباً نوعاً ما عن هذا الجو , كان لا يستطيع أن  
يفسّر لماذا يجلد الشيخ ولده في قضية تبدو الإشاعة المغرصة , في بلدة ضيقة كهذه  
, هي سببها الأساسي , أما ابو حميد فقد جلس جنب عصاه مستسلماً لكل الاحتمالات  
, لا يرد بأي حركة لزوجته التي كانت تهذي .. وبين فترة وأخرى تقول : ماذا  
سنعمل ؟

وأنيسة التي جلست ملثمة وراء الجميع , كانت وحدها , تريد إن ترى وجوه  
الحاضرين , وكأنها تعرف أن هذه الوجوه الأسفة .. هي نفسها تلك الوجوه التي لم  
تترك فرصة مناسبة كي تقول أو تومئ إليها عن رغباتها فيها .. وتلثفت ام حميد  
أليها هامسة

:- أنت .. اسكتي ... إياك أن تفتحي فمك بكلمة .. هل فهمت ؟

وليس بعيداً عن أنيسة المثلثة , يجلس شيخ كبير... هو صبر الشاعر والذي يسميه  
أهل البلدة بالشعّار .. يجلس قريباً من الباب الرئيسي .. ويستطيع أن يسمع ما قالته  
ام حميد لأنيسة .. وفجأة , يعلو صوت ضربة السوط ... فتقفز أنيسة في مكانها ..  
وكان السوط نزل عليها هي ..

### ( المشهد 8 )

وفي داخل غرفة الحجز , كان صالح موثق اليدين , ساقطاً على الأرض والى  
جانب وجهه يلتف رأس سوط وقاص كالأفعى : وهو يقول بتحمل :- لماذا تريد أن  
تؤذيني ؟. وينهال وقاص عليه بضربة أخرى . ويتحمل صالح الضربة أيضاً ..  
ويقول وقاص

:- لا تكن عنيداً ' فاننا حتى الآن لم أضربك في المكان الموجه حقاً .. ولا تنس إنك  
أول الركب فهناك آخرون ينتظرهم هذا السوط .. وتأكد انك لن تخرج من هنا على  
قدميك ..

ويقول صالح : أعرفك .. لقد عرفتك , فلا تقل انك تفعل ذلك من اجل أبي ..  
وبضربة مفاجئة لا يستطيع صالح إكمال عبارته : اسكت فلم يفتح أحدٌ قبلك فمه  
امامي إلا ليتألم .. ولولا إنك ابن الشيخ , لاخرستك الى الأبد ...

وبغضب , ينهال وقاص على صالح بعدة ضربات .. تجعل هذا الأخير يتلوى على الأرض , حتى لا يستطيع أخيراً إلا أن يقول : انك تقتلني .. ويقول وقاص : ليس بعد .. ويستمر بالضرب .. حتى ينهار صالح قائلاً : : توقف .. أتوسل إليك .. عدني فقط انك لا تخبر أبي .. ويتوقف وقاص , ويكمل صالح :- ستعرف ما تريده أنت .. أليس هذا ما يهكم ؟ .. سأخبرك كل شيء .. ولكن لا تقتل أبي .. انه سيموت عندما يعرف .. هل تعدني ؟ فيرد وقاص بشكل صارم :- وماذا سيقول عني , أبو حميد , و أم حميد , والحلوة زوجة حميد ؟ أنا متأكد أنهم يعرفون أيضاً .. ماذا سيقولون عني عندما أخرج بكامل طولي , لأقول إنني ما عرفت منك شيئاً ؟ ان وقاص , لم يفشل أبداً , ولا بد أن يعرف كل فرد في هذه البلدة . بأن سوط وقاص عندما ينزل البحر , يأتي بكل أسماكه والآن قل ماذا حصل ؟

### ( المشهد 9 )

وفي المجلس بعد أن اخبر وقاص الشيخ عبد السلام باعتراف ولده , يستطيع أن يلاحظ الجميع أن كامل جسد الشيخ أصبح يرتعش , وبعض قطرات عرق هبطت مالحة إلى عينيه ولكنه ينتبه أخيراً , أن جميع الحاضرين , ينتظرون منه أن يقول شيئاً .. أن يفعل شيئاً .. ويشير إلى عائلة حميد قائلاً :- تعالوا إلى هنا , أخزاكم الله .. وتتقدم أم حميد وهي تقود زوجها الأعمى .. مرتعشة , مرتعبة .. تتبعها أنيسة ... ويكمل الشيخ عبد السلام كلامه :- كيف قبلت , أنت يا اعمى الشؤم .. كيف قبلت ؟ ماذا حصل لهذه الدنيا ؟ .. وأنت , هل أعمى المال بصرك وقلبك وضميرك .. أنا لا اعتب على هذه – مشيراً إلى أنيسة – فإنها تقبل وتسكت بأي شيء يستر فضيحتها .. ولكن انتما ؟ . تعالا , حتى يضحكما الله في الدنيا والآخرة .. ( ويشير إلى أنيسة ) تقدمي .. وارفعي صوتك , حتى يسمع الجميع ... ما يمكن أن تفعله امرأة مثلك في هذه البلدة ... أما صالح , فانا كفيل به ( ويشير إلى رجلين من أعوانه ) : احضراه إلى هنا , وتتقدم أنيسة , وتقف بين يدي الشيخ حاسرة العينين (لقد كانت تبكي ) :- ماذا أقول يا شيخ ؟

ويرد عليها الشيخ بغضب : قولي , لماذا أخذ زوجك سكينه وذهب ليقتل صالح ... ماذا فعل صالح له ... أو ... لك ؟

فتقول أنيسة دون تردد , لأنها تعلم ما ستقوله لن يفاجئ كثيراً من الحاضرين هنا : قال صالح بان ينوي الزواج بي .. ولكن عندما حصل .. أنكرني .. ولكنه قال بأن الحل هو أن يجد لي زوجاً يقبل بي وينتهي كل شيء ... ووافق حميد وتكفل صالح بإعالة ابنتي بعدما .. ولدت ..

وتقول أم حميد أمام الشيخ الذي أخفى عينيه بيديه ..

:- كان عندي شك .. أيها الشيخ . عندما قال المرحوم . بأنه ينوي الزواج .. وقلت له , تنزوج وأنت العاقل الذي لا يعرف أن يعمل اي شيء . شككت . عندما قال بأن صالح , ابنك , سيساعدني ويعطيني مالاً , لأنه إنسان يحب مساعدة الناس .. وعندما ولدت أنيسة بعد ستة أشهر من الزواج , اعترف لي ولدي بأنه ستر أنيسة من فضيحة .. وكان سعيداً , لأنه قال بأنه ربح في الدنيا زوجة حلوة , وفي الآخرة ربح

حسنةً أن تجد هذه الطفلة عندما تكبر أباً مثل كل الأطفال .. وأستمر صالح في مساعدتنا ...

يأتي الرجلان حاملين صالح المثخن بجراحه , ويجلسونه في وسط المجلس . ويقول ابو حميد وبيده عصاه المهترزة أمامه

- أرجوا إلا تضن يا شيخ عبد السلام , اننا لم نحزن عندما مات ولدي .. نعم , كان أبنا غير نافع لأي شيء .. لقد فتح عينيه فوجد أباً اعمى وأماً حمقاء فماذا كان يمكنه أن يكون غير ذلك .. كذبوا علي وقالوا ولدت أنيسه قبل آوانها ...ولكني شممت رائحة اللحم والشحم فأجلسته معي وقلت : تزوجت يا حميد وانتهى الأمر .. فقل لي يا ولدي ما سر هذا الطعام الذي يجيئنا به ابن الشيخ ؟ هل اكتشف أنك ترث معه شيئاً ؟ .. ولماذا نزلت عليك رحمته بعدما تزوجت ؟. قل يا ولدي قبل أن يسألني الناس , فلا أدري ما أقول ... وأمك كما تعرف لا تعرف من هذه الدنيا غير لعن حظها الأسود الذي زوجها برجل أعمى مثلي ورزقها بابن مثلك .. وهي تقول لي أشياء لا أصدقها .. وعندها قال لي ما حدث ..

كلا واقسم بالله العظيم , لم يفعل ولدك ما جعلنا نسكت , أو نكذب عليك .. إنما كنا خائفين , فماذا نربح عندما نقول ؟ هل نقول أن حميد أحس بشرفة يوم الخميس الماضي , فذهب ليثأر... سيضحك علينا الناس , فأين كان شرفه يوم تزوج , ولماذا نام شرفه ولم يستيقظ الا يوم الخميس؟. لقد مات حميد يا شيخ عبد السلام , وها أنت جلدت صالح , وربما تجلده مرة أخرى وربما تقتله , فماذا نستفيد نحن ؟ . واشهد إمام الله وتشهد هذه معي ( مشيراً إلى زوجته ) إن صالح ما دخل بيتنا بعد زواج ولدي .. نعم كان يأتي ولكنه يظل واقفاً في الباب .. وكان بإمكانه أن يتوقف عن مساعدتنا بعد شهر أو شهرين من الزواج وستر الفضيحة , لكنه لم يفعل . فلماذا لا نسكت , لقد سكتنا في بداية الأمر , فماذا نقول الآن ؟ نعم , يا شيخ , نستحق أن تجلدنا أيضاً.. لكن الخبز سدّ أفواهنا .. أنا استحق العقاب وليس ولدك وحده .. لقد اغرورقت عينا الشيخ عبد السلام بدموع خرجت خلصة فاخفى وجهه وهو يقول : لا حول ولا قوة إلا بالله .. لعنكم الله جميعاً . وأنت أيها الأعمى القلب , الم تجد طريقة أخرى حتى تسد فمك بالخبز .. وماذا افعل أنا هنا ؟ وأنت ( مشيراً إلى أنيسة ) التي بعثت نفسك لأول من وجدك في الطريق , لماذا قبلت أن يشتري لك صالح زوجاً وكان بإمكانك وأنت البنت الجاهلة , ان تجعلينا نعرف بأن صالح وهو الرجل المتزوج , والذي يفترض به العقل والسلوك الحسن , ضحك عليك واستغل يُتمك وجهك

وترد أنيسة :- هددني ان قلت شيئاً لأي مخلوق، بأنه سينكر .. وأنا ، لا يصدقني احد.. فكيف إن اشتكيت على صالح ولدك يا شيخ !

ويرد الشيخ بغضب متسرّعاً:- وكيف لا نصدق وابنته في بطنك .. ( ويستدرك ) ومهما كان , ومهما كان الحال , فإننا لن نشك بأن صالح كان هو السبب , وكان سينال الجزاء الذي يستحقه في حينها .. وأنظري الآن ماذا فعل صمتك ؟ لقد قتل رجلاً ..

وتقول أنيسة باكيةً : خفتُ .. فهو ولدك .. فكيف أفعل ؟ وما كنت أظن .. ويرد الشيخ بغضب وتأثر بالغين :- وماذا كنتِ تظنين أيتها الخائبة .. هل كنتِ تظنين بأنه ولدي ولذا فأني سأسكت على فساده وسوء خلقه .. بل كنتُ سأقيم عليه الحدّ ، ومتى رأيتم إنني فعلتها وسكتُ عن جرم بين فعله قريب لي أو واحد من عائلتي .. ولكن كيف أفعل ذلك ؟ وانتم لعنكم الله تتسترون على المفسد .. ( ويلتفت الشيخ إلى وقاص قائلاً) خذهم ، انني أريدك أن تجعلهم عبرة .. أفعل بهم ما شئت .. وليغفر الله لي .. ويشهد الله عليّ أنني كنت جاهلاً... كنتُ لا أسمع ولا أرى ..

فيتقدم عبد المجيد ، أنا أولهم يا وقاص.. ويقول وقاص :- سأفعل ما تريد أيها الشيخ ، ولكن لي رأيا ، اذا سمحت به .. يكفيهم الخزي الذي هم فيه ، وسوطي لو أستعملته معهم سيريحهم .. ويخفف عن أرواحهم بعض عذابها ..

### (المشهد 10)

الشيخ في غرفته مع وقاص:- تأخر علينا الفقيه عبد الغفار ، كان يجب إن يكون معنا ، فانا لا أعرف ماذا أفعل في هذه القضية ؟.

ويرد وقاص:- لقد قلت لهم بأنك كنت ستفعل شيء لو كانوا أخبروك في بداية هذه المسألة . فماذا كنت ستفعل .. كنتُ أقيم الحدّ على صالح ، وأزوجها منه ، فهي كانت قاصراً.. وهما هذان الخائبان ، عبد المجيد وزوجته، كنت أشدّ ولدهما على الأرض حتى يتعلم كيف يأخذ منها ما يأكل هو وأبواه ..

فيقول وقاص :- أذاً كما أرى ، تفعل نفس الشيء الآن ... فصالح نال جزاءه وهما أيضا .. يتزوجها صالح ويتكفل بإعالة العجوزين .. فالطفلة التي عندهم هي ابنته ..

### (المشهد 11)

زوجه الشيخ لزوجها :- أنت جننت ولا شك.. أنيسة (القُبارة - وهو اللقب الذي يسمّى به أنيسة بعض ناس القرية ، فقبل زواجها كانت تقضي معظم أوقاتها في المقبرة ) ... هذه الفاسدة بنت الشارع والمقابر .. تأتي وتجلس بيننا ؟ يرد عليها الشيخ بصرامة : أنا لا أستشيرك أيتها المرأة .. بل أقول لك ما سأفعله ، لقد حكمتُ ضميري ورأيثُ ان هذا هو الصواب .. وسترين أن الفقيه عبد الغفار سيقول نفس الشيء .

وترد الزوجة : وزوجته ، كيف تقبل أن تكون أنيسة ضرةً لها .. كيف تُري وجهها للناس...

ويقول الشيخ : هي حرة إما أن تبقى معه ، أو تطلق منه ..

وترد الزوجة :- وأولادها ؟

### (المشهد 12)

عبد المعطي مع أخوته عيسى وعدنان في بيته : لا يمكن، يجب أن أقول هذا لعمي هو الشيخ ، نعم ، ولكن دخول أنيسة إلى عائلتنا أمر بهم جميعاً .. إضافة إلى أن ذلك سيقتل أختي فكيف يكون حالها ، عند ما يأتي لها زوجها بضرة مثل أنيسة .. ويرد عيسى :- أنا لا افهم لِمَ يعير عمي هذه المسألة كل هذا الاهتمام ؟ فمن لا يعرف أن أنيسة لم تخسر شيء مع صالح .. فهو مثل غيره .. ذاق طعم السمكة ..



ويقول عدنان بسذاجة :- أنا لا أدري كيف أستطاع ابن عمي أن يصطادها .. هذه المرأة اللعوب وأين أكل معها التفاحة ؟ أظن أنني وجدت الحل ؟ أسألكم بالله , لماذا لا أتزوجها أنا ؟ وترتاحون جميعكم ويرتاح عمي ...  
ويكمل عبد المعطي باستهزاء :- وترتاح أنت !

### (المشهد 13)

ويقول عبد المجيد لأنيسة وهما جالسان :- تستطيعين يا ابنتي أن تتزوجي من تشائين ولكن فقط عدينا أن تبقى معنا الطفلة .. ومهما كان فقد فتحت عيناها هنا في هذا البيت .. او على الأقل لا تحرمينا منها .. واسمها ابنة حميد ..

### (المشهد 15)

الشيخ في غرفته مع زوجته ويقول لخديجة زوجة صالح :- أنت ابنة أخي وزوجة ابني ولكن الحق يا خديجة أكبر من كل هذا , وقيل أنك تريدين الاستمرار مع صالح , فهل هذا صحيح ؟  
وتقول خديجة باكية :- ماذا يفيدني الطلاق يا عمي .. وماذا يفيد أطفالي .. لقد حصل ما حصل وأمري إلى الله ... وليس لي طلب سوى أن تكون في بيت آخر فلا أنا و لا أطفالي يمكننا العيش معها في بيت واحد .

### (المشهد 16)

الشيخ عبد السلام في بيته , يقول بغضب لعبد المعطي :- أسمع يا عبد المعطي , هذه قضية ليست لك فيها أي تدخل .. وإذا كنت خائف على أختك فما هي أختك خذها إلى حيث لا يرجعون ..  
ويقول عبد المعطي :- ولكن , أردت أن اعرف , لماذا , لماذا كل ذلك ؟  
ويقول الشيخ : لماذا ؟ والطفلة أليست ابنته ؟

### (المشهد 17)

عبد المعطي يزور عائلة حميد ويجلس مع عبد المجيد :- في الواقع , أن عمي الشيخ أحسن بأنه تسرع قليلاً , فهو بعد أن فكر , هكذا قالت لي زوجته عندما كنت عندهم اليوم .. وجد انه زواج ابنه صالح , لا يفيد أنيسة , إضافة إلى انه يسبب ضرراً لكم .. على الأقل فهو يحرملك من ( خولة ) فهي وبحكم الواقع ابنتكم انتم .. وأما صالح فهي لا شيء بالنسبة إليه .. ولكن كيف يتراجع عمي عن قراره , وقد عرف به الجميع .. ويخاف أن يقال عنه .. أنه بعد ما هدأت الحال عادت الأمور إلى ما كانت عليه أصلاً , فماذا استفادت أنيسة من هذه الفضيحة التي إصّر هو على كشفها , وماذا استفدتم أنتم ؟ وسمعتة زوجته يحدث نفسه ليلة البارحة , ويقول كان الأفضل لي أن أتعهد لهذه العائلة المسكينة باستمرار رزقها التي كان يأتيها من صالح .. ولكن الذي حصل فقد حصل .. ففكرت أن أكون فاعل خير , فالأمر كما أضن هو بيد أنيسة .. وهي عندما تقول إمام عمي وبكامل اختيارها بأنها لا تريد الزواج بصالح او بأي واحد آخر الآن .. لأنها تريد أن تربي ابنتها.. فهو سيستمع إليها ويحس بأن الله قد أحسن إليه بالحل دون إن يضطر لإخلاف وعده هو امام الناس .. اللهم اغفر لي إن كنت مخطئاً , اللهم اشهد أنني أريد الخير ودفع الضرر عن هذا المؤمن ..

وأصدقك القول يا عم عبد المجيد , انني أنا أيضاً كنت متحمساً لرأي عمي .. لأنني كنتُ أقول لنفسي , من الخير أن يجمع المرء بين أم وأب هذه الطفلة , ولكني قلتُ لنفسي اتق الله يا عبد المعطي ' فإن الأب الذي تنكر لطفاته ليس أباً .. وأبوها الفعلي هو الذي أعطاه اسمها , وشملها بعطفه .. وأنقذها من الضياع .. وأسأل خديجة أختي , أخذت تبكي إمامي فضربتها قائلاً اذا كنتِ تخافين على أطفالك , فمن حق انيسة أن تخاف على طفلتها .. ولكن الله هداني ' كما قلت لك .. فصالح قد يتزوج مرغماً وعندها فماذا نربح نحن الذين نريد أن نصلح الأمور .. فها هي أنيسة تعيش مع رجل دفعه السوط للزواج بها .. فكيف أن ستكون حياة هذه المرأة عندها ... ألسنتُ محقاً يا عم عبد المجيد؟

ويرد عبد المجيد قائلاً :- لا أدري يا ولدي .. ولا أعرف كيف ترى أنيسة الأمور , وكل ما أريده هو هذه البنت .؟! تبقى إمام أعيننا حتى يأخذ الله أمانته .. ويقول عبد المعطي وهو يستعد للمغادرة :- أنا لا استطيع أن أقول ما ذكرته لك لأنيسة , فقد تفكر بأنني أردت منع هذا الزواج من أجل أختي , فنحن لا نعرف كيف تفكر النساء , ولم أستطع أن ابقى ساكناً عن أمر هو فيه مصلحتكم .. رغم أن عمي لو كان يعرف بما أفعله الآن لأطلق عليّ وقاص ليأكلني بسوطه ..

\*\*\*

### ( المشهد 18 )

و منذ جلد صالح , فانه يبقى في غرفته , منعزلاً لا يريد أن يراه احد .. ولا يريد أن يرى أحداً.. وقبل أن تخرج زوجته من الغرفة لتأدية بعض حاجاتها المنزلية تقول له :- إلى متى ستظل جالساً في هذه الغرفة ؟ . وأبوك يريد أن يزوجك بأنيسة , فعلى الأقل قل شيء .. أم إن هذا ما تريده فعلاً . ؟  
وتخرج وهي تتمتم قائلة :- لا ادري ما يبيني في هذه الدار ..  
ويطرق الباب , فتذهب خديجة . تفتح الباب , وتدخل (عفيفة ) أخت الشيخ عبد السلام وابنتها حليلة ( وهما معاً تعيشان في بيت الشيخ , بعد وفاة أبي حليلة ) . وبعد التحيات بينهما تسأل ام حليلة بهمس :- هل خرج ( تقصد صالح ) ؟  
فتشير خديجة إلى الغرفة :- إلى أين؟! انه هناك كما تركتبه أمس .  
وترد أم حليلة :- اصبري يا أبنتي فهو زوجك وابن عمك ..  
وتتوجه إلى الغرفة , بينما تبقى حليلة مع خديجة .  
وعندما تدخل , يقول صالح:- جئت في وقتك يا عمتي ... تعالي , أريد أن أقول لك شيئاً مهماً .

\*\*\*

### ( المشهد 19 )

في بيت الشيخ عبد السلام , وفي الركن الذي تقضي النسوة الأعمال المنزلية , تجلس حليلة للعجن , بينما تجلس أمها وبيدها المغزل , أما زوجة الشيخ , فإنها قعدت جنب أخت زوجها مفكرة , فتقول أم حليلة :- يجب أن تذهبي إليه قبل فوات الحال .. إن صالحاً يهذي كالمجنون والعياذ بالله , ويقول أشياء لا يصدقها العقل .. أنا لم أخبر خديجة بشيء , لقد خفتُ عليها .. أنا لا اصدق إن هذا هو صالح .. الذي

كنتُ أظن انه أفضل الناس .. تصوري , يقولها لي وبالغم المفتوح انه يحب أنيسة.. وهو فعلاً يريد الزواج منها ... هكذا دون خجل أو حشمة ؟  
وترد زوجة الشيخ:- اسكتي يا عفيفة فهذه أمنية أخيك ...  
وتقول أم حليلة :- وعندما قلت له يا ولدي , بأن أباك الشيخ عندما يرى إن تتزوج بها , كان يفكر بشك آخر .. هو الشيخ ويجب أن يفعل ما رضي الناس , حتى وان كان ذلك يسيء إليه والى عائلته . . وكان في ساعة غضب , وعندما يهدأ ويفكر أحسن , ويقول له الناس الذين يريدون الخير لنا , سيتراجع عن راية .. إن أنيسة يا ولدي .. ليست منا .. ولكن .. كنت أتحدث ويسمعني الحائط , وهو لا ... يُحبها .. هل تصدقين .. أنا لا أستغرب أن قيل لي بأنها عملت عملاً لهذا الرجل .. وجعلته يهذي مثل المجنون ..  
وتشير زوجة الشيخ لام حليلة بعين خفية أن اسكتي فلا يجب أن تسمع حليلة هذا الكلام أيضا , وتقول :- اذا كانت قد عملت له عملاً , فمن عمل لأبيه ؟! لم ينم البارحة , وكأن ما حدث هو الأول والأخير ... أنا خائفة يا عفيفة , انه أشبه بغضب نزل علينا من السماء .. وتقول ام حليلة : آمني بالله , فعسى أن تكرر هوا شيئاً وهو خير لكم .  
\*\*\*

### ( المشهد 20 )

لقد أكمل عبود وهو من رجال الشيخ , سرج الحصان لو قاص , ووقف به منتظراً أن يخرج إليه وقاص من البيت ... ولما تأخر , ذهب عبود ودق الباب ثم قال : أسرجت الحصان فماذا افعل ؟  
ويجيئه صوت وقاص من داخل البيت :- سأخرج حالا , هل أعطيته يشرب ؟  
وفي داخل البيت , يقف وقاص بانزعاج أمام زوجته سعديه وهي تقول له :  
:- إلا يجب أن اذهب إلى الحاجة (وهو اللقب الذي يسمي به أهل القرية زوجة الشيخ ) , سمعت أن حالتها ليست على ما يرام ؟  
ويرد عليها وقاص : أعقلي يا سعديه , فهذه الأمور لا تهملك .. فانا اعرف لماذا أصبحت الحاجة عزيزة لديك إلى هذه الدرجة .. اتركها وشأنها .. وعندما أرى ضرورة ذهابك سأقول لك !  
ويتركها خارجاً وهي تتمم بكلمات غير واضحة , وقد أحست أن حجتها بالذهاب لم تكن مقنعة ..  
وقبل أن يركب حصانه , يقول وقاص لعبود :- هل أعطيته يشرب ؟  
ويحرك عبود رأسه بالإيجاب , ويقول وقاص :- عبود , سأسبقك إلى بيت الشيخ , وبعد إن تنهي عمالك الذي كلفتك به , مرّ علي في بيت الشيخ , فإن لم تجدني هناك , فسأكون في سوق الخميس ..  
وبعد أن يركب الحصان , وكأنه يتذكر شيئاً فيقول :- لا , اذهب إلى بيت الفقيه عبد الغفار , عسى أن يكون قد عاد سمعت صوت الزغاريد .. لقد تأخر في المجيء , واخشي أن يكون قد فعلها وتزوج هناك ...

يضحك عبود بصوت , مرتفع .. ولكنه عندما يجد وقاص لم يضحك , يكتم ضحكته ويقول وقد أظهر علامات الجدية على وجهه :- وإذا لم يأت ,؟ فماذا أفعل .  
فيبتسم وقاص قائلاً :- لا تقل له شيئاً .  
\*\*\*

### ( المشهد 21 )

في زحمة سوق الخميس , تجلس ام حميد أمام بائعة الطماطم, لتنتقي منها , فنقول لها البائعة وقد أظهرت حزناً وأسفا مصطنعين : ستذهب هي إلى العز والخير , أما أنتم فماذا استفدتم ؟. وعندما تذهب إلى بيت صالح وتسمى زوجة ابن الشيخ , فهل تعتقدن أنها ستذكركم بشيء ؟

أنا امرأة جاهلة واعرف إنكم انتم المتضررون ؟ مات ولدكم ظلماً .. ولذا فالمفروض أن يفكر بكم الشيخ أكثر مما يفكر الشيخ بها , أنها لم تخسر شيئاً , وما أصابها اقل مما تستحق .. أم أنا غلطانة؟ ليغفر لي ربي , فانا أقول ذلك ..لأنني لم اسمع إن الشيخ

وتقاطعها ام حميد قائله :- لنا الله يا أختي..فانا وأبو حميد مثلك لا نعرف شيئاً .. ونحن ننتظر حتى تنتهي عدة انيسة ,وعندها, الله كريم ..

فنقول المرأة :حتى الأعمى يرى ..انه اذا كان هناك ضرر فإنه أصابكما أنت وأبا المرحوم ..وأكثر من ذلك , فأنييسة هي سبب كل هذا البلاء الذي انتم فيه ... نعم نحن لم نرى من الشيخ إلا الخير , ولكن , في هذه القضية ,والله اعلم , قد يدور في رأس الشيخ مالا نعرفه نحن ؟

ويتوقف وقاص في رحبة الغنم ,حيث تخصص هذه المنطقة في سوق الخميس لبيع الماشية من أغنام و أبقار وبغال وحمير وغيرها ..ومن زحمة البائعين والمشتريين والذين يهرع إليه بعضهم للسلام عليه وهو على ظهر حصانه , يسأل احدهم :- الم يمر هنا الشيخ عبد السلام ؟

فيجيبه الرجل :- قد يكون جالساً في قهوة سعدون ..فانا لم أراه يمر من هنا .

وقبل إن يتحرك وقاص يسأل: كيف هو حال البيع ؟

ويرد الرجل : كما ترى , البيع قليل والأغنام كثيرة , وكما تعلم , لا تجد الناس ما تعطيه لأغنامها .. ولا يشترون إلا أصحاب الأبار , عندهم الماء ولا يخافون أن تموت الماشية من العطش .  
\*\*\*

### ( المشهد 22 )

عبود يدق على باب بيت الشيخ عبد السلام , فتفتح له حليلة الباب فيقول لها :- قولي لو قاص بأن الفقيه عبد الغفار لم يأت بعد .

وتقول حليلة :- وقاص غير موجود هنا .

ويرد عبود:- اذن قولي للشيخ بأن الفقيه عبد الغفار لم يأت بعد.

وترد حليلة :- والشيخ غير موجود أيضاً.

وكان عبود تذكر شيئاً :- نعم , لقد ذهبنا إلى سوق الخميس سألحق يهما .

وترد حليلة :- المهم , إذا جاء خالي الشيخ , فماذا أقول له ؟..

ويقول عبود بجدية : قولي له أن الفقيه عبد الغفار لم يأت بعد ..  
ثم يرحل مسرعاً , تاركاً حليلة واقفة في الباب وهي تنتظر إليه باستغراب , فتصيح  
به : عبود , عبود . وإذا لم يأت , فماذا أفعل ؟  
ويلتفت إليها عبود دون أن يتوقف : لا تقولي له شيئاً !

\*\*\*

### ( المشهد 23 )

عبود في سوق الخميس , يبحث عن وقاص والشيخ .. يتوقف أمام صبر الشعار  
الذي وضع إمامه صندوقين من طماطم وبصل , ويقول صبر لعبود :- تركت كل  
هؤلاء الناس وجئت إليّ تسألني أن كنت رأيت الشيخ .. وأنت تدري بان الإنسان  
الذي يجلس في السوق ليبيع شيئاً لا ينظر إلى وجوه البشر بل إلى جيوبها ..  
ويرد عبود غاضباً :- إنا أسالك بجد , وأنت تريد أن تضحك , يا صبر الشعار ..  
فيقول صبر : الشيخ ؟ لا أدري أن كان مرّ من هنا او لا , ولكني متأكد أن وقاص  
ذهب بهذا الاتجاه ( ويشير إلى حيث نصبت خيام المقاهي ) :

ويسأله عبود : هل كان وحده ؟

ويجيب صبر : أنا لم أراه في حياتي يمشي لو حده ..

ويسأل عبود : من كان معه , هل كان معه أحد ؟

فيقول صبر : نعم , كان هو وأفعاه التي تشبه السوط !!

ويقول عبود : لقد كبرت , وصرت تحرف .. لقد أخطأت عندما سألتك فعلاً ..

ولكن عبود لم يتحرك من مكانه , فقد وقف في حيرة , ولما لم يسغفه تفكيره إلى  
شيء , يجلس فجأة امام صندوق الطماطم والبصل وهو يقول : والآن قل لي بكم  
هذه الحاجات ؟ لقد تأخر النهار ولن أجد أحداً

فيقول صبر : هذا هو الكلام الجد . واعذرني يا عبود , فأنت تعرف إن الشاعر  
ابتلاه الله بالتشبيه وكل ما رأى شيء قال عما يشبهه ..

ويرد عبود : دعني من هذه الإشعار , وقل بكم تبيع هذه الحاجات ؟

فيسأله صبر : كل شيء , ام بالكيلو ؟

ويقول عبود : كل شيء !

ويرد صبر ؟ أنا أخاف أن تشتمني بغلثك أن بعثك هذين الصندوقين الثقيلين , فهنا (

مشير إلى الصندوقين ) يوجد أكثر من خمسين كيلو ؟!

ويرد عبود بسداجة :- كلا لا تخف فانا جئت بدونها !

\*\*\*

### ( المشهد 24 )

في أرض أحد الفلاحين , ربط الشيخ عبد السلام , حصانه , ووقف مع عبد الواحد ,  
وكان يقول له :- لماذا فعلت ذلك يا عبد الواحد , وأنت تعلم إننا عندما أعطيناكم  
أوراق تملك الأرض , أشرطنا عليكم عدم بيعها او رهنها ..

فيقول عبد الواحد مرتبكاً : و .. لكن ... أنا

فيقاطعه الشيخ :- لا تحاول أن تكذب , فقد سمعتها الحاجة ممن زوجتك ... فلم  
أصدق ما سمعت . لم رهنّت الأرض ؟

ويقول عبد الواحد مستسلاً :- الظروف , أيها الشيخ , والجفاف .. وأنا أعطيتُ ورقة التملك كإمانة ..

ويرد الشيخ بغضب :- كان يجب أن تقول .. لي .. كان يجب أن اعرف يا عبد الواحد , فلربما نتدبر الأمر بطريقة أخرى .

ويقول عبد الواحد : لقد حصل ما حصل , وكنتُ مضطراً : وليس باليد حيلة ويقول الشيخ :- ومن هذا الجشع الذي طمع بك وبأرضك ؟

ويرد عبد الواحد : كلا , يا شيخ عبد السلام , لقد أحسن إليَّ يوم محنتي .. وما أردت إن يضيع إحسانه معي , فالأعمار بيد الله ..

ويرد الشيخ بغضب :- كان يكفي أن تكتب له ما عليك عند الفقيه عبد الغفار وبشهادتي .. أنا , فهكذا يفعل الناس .. وما فعلته لم يكن له إي مبرر , ولذا فأنتي مضطر أن آخذ منك حق الملكية , فأنت لا تستحقها .. فاخبرني من هو ؟

ويتوسل عبد الواحد قائلاً :- صدقني أيها الشيخ , حاولت إن اكتب له ورقة بما عليّ ولكنه رفض .. وحاولتُ فرفض من جديد قائلاً , انه عمل لي خيراً , فإن استطعت أرجعت له ما عليّ وان لم استطع فهو يبرؤني منها .. كان كريماً معي .. ولذا , فما وجدت ضيراً أن أضع ورقة التملك عنده كإمانه .. إنه لم يأخذها بيده .. بل أعطيتها لزوجته ... اقسم لك بالله العظيم ..

ويسأل الشيخ مصراً : مَنْ هو ؟

ويجيب عبد الواحد بتوسل وخضوع :- كيف أسيء لمن أحسن إليّ .. وأنت أفضل العارفين .. نعم , بمجرد أن أرد له دينه , خذوا مني الأرض .. ولا تضطرنني لهذا .. فانا لا استطع أن أقول لك اسمه .. كيف أواجه ربي ؟

ويرى الشيخ خضوع عبد الواحد , وصدق لهجته ... ورغم الإعياء الظاهر على وجه الشيخ فإننا نستطيع أن نلاحظ التعاطف الكبير الذي أظهره الشيخ بعد أن أفتعه كلام عبد الواحد .

\*\*\*

## ( المشهد 25 )

وفي البيت يسأل الشيخ زوجته :- ولم تقل لك مَنْ هو ؟ فتجيب زوجة الشيخ :- قالت بأنها لا تعرف , جاء زوجها عبد الواحد مساءً ومعه فلوس كثيرة , وما قاله لها .. لقد استلفتُ .. وحدث من يثق بي ويسلفني .. وسأرهن الأرض له ...

فيقول الشيخ : إذن كذب عليّ عبد الواحد ...

فترد زوجته :- لا أظن , فكما قلت لي عنه لا أظنه كان كاذباً . وتعرف ربما لم

تعرف زوجته أن تقول كيف حصلت الأمور بالضبط ..

ويقول الشيخ وقد شرد ذهنه :- لا اعرف ماذا حصل للناس .. نعم , الظروف صعبة والجفاف قتل الناس , ويمكن أن يفعل الإنسان كل شيء .. ولكن لم يأتيني عبد الواحد , وهو يعرف بأنني يمكن أن أساعده .. لماذا ؟ .. وقد ذهبتُ إليه وحدي , فلو كان معي وقاص ربما أراحني .. وخشيتُ أن يؤذيه .. فقلت اعرف أنا أولاً .. وكما ترين .. ما كدتُ أصدق ما قاله لي .. حتى شككتُ من جديد .. دائماً يصدق ظن وقاص ويخيب ظني .. لماذا ينفع السوط مع الناس ولا ينفع اللسان ؟



وترى زوجة الشيخ مقدار العياء الذي ظهر على كامل جسده , فتقول :- لقد أخطأت عندما قلت لك . انتبه لحالك , فأنت تقتل نفسك , فماذا تريد إن تفعل أكثر مما فعلت .. وتتدخل أم حليلة التي بقيت صامتة حتى الآن :- نعم يا أخي , فإذا كانت الناس لا تريد أن تعرف مصالحتها , فماذا تفعل أنت ؟

ويرد بحزم :- المفروض أن أفعل ما يفعله الشيخ .. هل تعرفين ما هو الشيخ ؟ الشيخ يا أختي هو إنسان يعرف كل أهل البلدة , إحيائهم وأمواتهم .. ما يملكون وما لا يملكون .. كل حي جديد , وكل ميت يموت .. يجمع الزوج بزوجه على سنة الله ورسوله ويقرق بينهم .. يقول نعم عن الحق , ولا للباطل .. يعرف حدود الأرض بين الناس .. يعرف ماذا في السوق .. وماذا في البئر .. يعرف هذا ابن من , وهذا جار من . هذا هو الشيخ , فكيف ارتاح .. عندما أكون أنا الشيخ بين هؤلاء الناس وأجهل ما يقولون وما يفعلون !؟

فترد عليه زوجته : وماذا بيدك ولم تفعله ؟ فيقول الشيخ , وكأنه يفكر بأمر عظيم : لم يبق إلا شيء واحد .. لم افعله أيتها الحاجة ... فانا لا أصلح لهذه المشيخة !!  
\*\*\*

### ( المشهد 26 )

في بيت الشيخ , وفي الغرفة التي اعتاد إن يجلس فيها الشيخ , وقاص وقد سمع خبراً مفاجئاً بالنسبة إليه , يحدق بالشيخ الذي استرخى على احد تكايا الغرفة : كلامك يا شيخ , لا يعقله عاقل , وكل ما في الأمر انك بحاجة إلى الراحة , وبعدها ستري أن الأمور ليست بهذا السوء الذي تتصوره ..

ويقول الشيخ مرتعشاً :- كلا يا وقاص : الضعف ليس في يدي او جسمي .. وانتظر حتى أبرأ منه .. بل فيّ أنا .. في دمي .. فانا اشعر بأني غير قادر أن افعل ما يحتمه عليّ ضميري . وتدفع زوجة الشيخ باب الغرفة وتدخل دون استئذان , فيقول لها وقاص : ادخلي يا حاجة , فأنا قبل قليل أردت إن اشرب من يدك الشاي .. لكني لم أجد أحداً اطلب منه ذلك ..

وتفهم زوجة الشيخ أن ( وقاص ) أراد أن يغير حديثاً كان بينه وبين الشيخ فتقول : لقد تركت الماء على النار .. وجئت اطل على الشيخ , فهو كما ترى . فيقاطعها وقاص قائلاً : أنا اعرف مشكلته , ولكني أخاف إن تغضبي عليّ إن قلتها لك , وتفهم الزوجة مزاح وقاص فتقول :- لك الأمان : قل ونحن نفعل ما تريد وما يريد الشيخ.

فيقول وقاص : الحلّ بيدك يا حاجة , فلو وجدت له امرأة في ريعان الشباب , لو جدت إن الأمور ليست كما هي عليه الآن . ويبتسم الشيخ رغم عيائه قائلاً : لعنك الله يا وقاص ..

وترد الزوجة مستمرة في هذا المزاح الذي جعل الشيخ يبتسم : وما أدراني فلو كنت اعرف إن هناك أمراه تستطيع أن تجعل ضحكة الشيخ بهذا الاتساع .. لذهبت أخطبها إليه بنفسني .

ويعلو صوت حليلة من الخارج وهي تنادي على زوجة الشيخ قائلة : تعالي يا حاجة  
جاءك ضيوف .

وقبل إن تخرج ، تقول لو قاص : قل لشيخك إن يصبر علينا هذه الأيام ، وما يكون  
إلا الخير .. ستأتيكم حليلة بالشاي .

ويقول وقاص : التقيت عوفي في سوق الخميس ، ونحن لم نذهب إليه . فظروفنا لم  
تكن مناسبة

ويقول الشيخ : هل قال لك شيئاً ..

ويرد وقاص : أنا سألته ، فقال أن الحال باقية كما كان سابقاً .. وفهمت إن النجم ما  
يزال طالقاً أغنامه ترعى في الأرض ...

فيقول الشيخ : - عندما يأتي الفقيه ، نكتب له ورقة ملكية .. ويدفع له النجم كراء  
السنتين الماضيتين .. إضافة لتعويض كلاً الأرض .. فهل تصدق .. هل تصدق إن

المعتدي هو الذي يأتيك شاكياً متظلماً وتسمعه ، وعندما تذهب ، ترى العكس ..

ويرد وقاص : ليس المهم الآن ، مَنْ اشتكى ، المهم إننا عرفنا لمن الحق .

ويرد الشيخ : اعني ، لو لم يأتي النجم يشتكني ، فكيف لنا أن نعرف الحق ؟ أطلبُ  
الله أن يقدرني غداً ، فسأذهب إليه بنفسي... وسأعلمه ..

فيرد وقاص : كلا ، أنت تبقى حتى تعافى وتقوم لنا بالسلامة .. وسأذهب أنا بنفسي  
إليه غداً ، وسأجعل النجم يرعى مع أغنامه تحت إقدام عوفي .. فاطمئن .. أنها

مهمتي إنا !!

( المشهد 27 )

\*\*\*

و تدخل خديجة على زوجها في غرفته قائلة :- أنه أخي عبد المعطي .. ولم استطع

فينهرها صالح المكتوم على تكية في الغرفة :- لا أريد أن أرى أحدا ، ولا يراني

أحد ..

فتقول زوجته بإحراج :- هل تريدني أن اطرد أخي من بيتي ؟!

ويقول عبد المعطي من خارج الغرفة :- هل يظن ابن عمي ، انني سأتركه وحده ..

ويدفع الباب ويدخل إلى الغرفة ، وهو يقول :- والله يا خديجة ، لو فرشت لنا

حصيراً في وسط الدار ، فالهواء هناك يجعلك لا ترتوي من الشاي ..

وتخرج خديجة مسرعة من الغرفة ، وكأنها تهرب من غضب زوجها المتوقع ،

تاركة صالح وعبد المعطي وحدهما ... ويقول عبد المعطي :- احمد ريث يا ابن

عمي .. لأنني لم أوافق أن يأتي معي أحد إليك .. ان كل رجال البلدة أرادوا المجيء

معني ... وقلتُ في نفسي ماذا فعل ابن عمك حتى يحبه الناس بهذا الشكل ؟

ويقول صالح مستسماً : اجلس يا عبد المعطي ..

ويقول عبد المعطي :- سنجلس ولو أنني أفضل أن نخرج الى وسط البيت ...

سنكون وحدنا هناك، فاني سأطلب من خديجة أن تذهب إلى بيت عمي لتقضي لي

غرضاً ..

( ويلتفت عبد المعطي , كأنه يبحث عن شيء في الغرفة , ويلاحظ صالح حركته هذه , فيقول له ) :

هل تبحث عن شيء ؟

ولكن عبد المعطي ينهض دون أن يجيب , ويخرج رأسه من باب الغرفة , قائلاً بصوت عال :- نسيت أن أقول لك يا خديجة 'باني كنت عند الوالدة , وطلبت مني أن أقول لام حليلة أن تذهب إليها غداً , فجازاك الله خيراً و لو أخبرتها أنت , لأنني أريد أن اجلس مع صالح , ويمكنك البقاء عندهم حتى اذان المغرب ' فليس عندك ما تفعلينه معنا .. ( ويلتفت إلى صالح قائلاً ) نعم , فوجود النساء غالباً ما يجعلك لا تعرف كيف تقول ولا كيف تسمع !.

ويكرر صالح سؤاله :- هل كنت تبحث عن شيء ؟.

فيقول عبد المعطي : كلا , كنت أنصتُ فانا لا اسمع صوت الأطفال ..

ويرد صالح بعفوية : أنهم في بيت جدهم ..

وعندئذ يشعر عبد المعطي بالارتياح , فقد جعل صالح يتكلم , وهو ما كان يهدف إليه وعندئذ يستطيع أن يبدأ مهمته التي جاء من اجلها أصلاً !

( المشهد 28 )

\*\*\*

عندما تدخل خديجة , تجد مجموعة نسوة يجلسن مع زوجة الشيخ .. وتسلم وتجلس , وتقول زوجة الشيخ معذرة للنسوة الحاضرات :- إنه بصحة سيئة , ومتى شافاه الله فهو لن يتأخر ..

وتقول إحدى النساء:- إن وجوده مع الرجال , يجعل للأمر هيبة ' فكما تعلمين لا يمكن أن نذهب خاطبين ولا يكون الشيخ معنا , خاصة .. انهم غلوا علينا المهر .. وعندما نذهب بدون الشيخ , فقد يفسرون ذلك بأننا نستهن بهم .. و أنتِ تعرفين يا حاجة ؟

( المشهد 29 )

\*\*\*

وفعلا , خرج عبد المعطي بصالح إلى وسط الدار , وجلس معه , وكان صالح متوخزاً لما يسمعه من عبد المعطي وهو يقول مؤكداً :- أنا متأكد يا ابن عمي , من أن كل الذين يعيبون عليك ما فعلته ويصرّحون بذلك .. هم أنفسهم يحسدونك أنت ويتمنون أن يأكلوا من السمكه التي أكلت منها .. أنت رجل .. وبصراحة أنا واحد منهم .. لكنك لم تفهم ما أراد إن يقوله لك عمي عندما سلمك إلى وقاص .. لأنك وضعت نفسك في هذه الغرفة فلم تعد تسمع ولا ترى .. لقد فعل عمي ما فعل لأنه عرف بان كثيراً من ناس البلدة وصلهم خبرك مع أنيسة , ام أنت تظن إن حميد حلم حلاًماً , وفي الصباح اخذ السكين وجاء ليقنتك ؟ كلا يا ابن عمي .. الناس اسمعوه كلاماً .. وعندما يعرف حميد أن معظم المحيطين يعرفون كيف تزوج أنيسة , فماذا يفعل ؟. انت لم تفهم , إن عمي فعل ذلك حتى يخرس كل لسان .. فقد انتهت مشكلة حميد بموته .. أما أنت .. وبدلاً من أن تقف إلى جانبه تركته لوحده .. لأنك لم تعرف أيضاً لماذا يريد أن يزوجك من أنيسة ؟... فهي بعد موت حميد .. تبقى ام

ابنتك .. فماذا هو موقفه عندما تسرح وتمرح أم ابنتك .. كيفما شاءت ومع من شاءت ؟ قل لي يصلح ؟ فأنت لم تأكل السمكة في وقتها المناسب ، وكان أن جاءتك أنيسة ببنت .. فماذا يفعل عمي غير أن يضع أنيسة في القفص الذي يمنعها عن كل ما تسول لها نفسها .. لقد أراد إن يحفظك أنت .. وماذا فعلت أنت ؟ جلست في غرفتك لا تريد إن تسمع من الناس الذين يمكنهم إن يقولوا لك شيء مفيدا .  
والآن هل عرفت ما يفكر به عمي ؟ أم أنك أيضا لا تدري ؟  
فينظر إليه صالح مستغربا ، وقد ظهرت عليه علامات ندمٍ على أثر كلام عبد المعطي له فيقول : محرراً : كلا ، لم يقل لي احد .

فيقول عبد المعطي مستمرا في هجومه الذي لاحظ انه أثمر :- الم اقل لك .. الكل في هذه البلدة أصبح يعرف أن الشيخ عبد السلام ينوي التخلي عن المشيخة الآ ولده .. ولأجل من ؟ لأجل ولده !! لا يا ابن عمي .. فإن عمي لا يستأهل منك كل ذلك ... وقد وقع كلام عبد المعطي على علي صالح وقع الصاعقة ، فإنه يقول :- اوضح لي يا عبد المعطي فانا لا أفهم ما تقول .. كيف يريد ابي أن يتخلى عن المشيخة ؟  
ويقول عبد المعطي ببرود :- اها يا صالح ، ونحمد الله أن الامور ما تزال بيدنا ، أو لنقل بيدك أنت .. ومع الأسف فانا لم اكن اظن ابدأ أني اجد ابن عمي في يومٍ من الأيام كما اراك الآن .. نعم يا صالح ، انت لم تتعلم من عمي ، واسمح لي أن اقول لك ذلك . لم تتعلم منه ، ولذلك لا تعرف كيف يفكر .. رجل مثله . وفي مكانته ومكانة عائلته التي يعرف الكل هنا ، انها اكثر العوائل اصاله وشرفاً .. ويجري في عروق افرادها الدم الأصيل منذ أن حللناس في هذه البلاد .. فماذا يفعل مثل هذا الرجل ؟ .. فمن جهة ، عليه أن يحفظ ابنه بكل وسيلة ممكنه ، وافضل الموجود هنا هو أن يزوجك بأنيسة ، فها هي البنت تحت رعاية أبيها ، وها هي الأم لا تستطيع أن تلعب بالنار ، ومن جهة أخرى فعندما تدخل أنيسة ويختلط دمها الفاسد بدم عائلتنا ، فهل نلوم الناس عندما يكثر بينهم الغمز واللمز على عائلة الشيخ ومانتها؟ .  
إنه يا ابن عمي يضحي بالمشيخة من اجلك أنت .. ومع ذلك تغلق عليك باب غرفتك .. تاركاً الرجل يفعل كل شيء وحده!!

وكانما يصحو صالح من غفوة طويلة :- لم افكر بكل هذا .. وماذا نعمل الآن ؟ ماذا نستطيع أن أفعل انا؟ .

ويقول عبد المعطي :- نفكر بهدوء يا صالح .. واعتقد انني وجدتُ حلاً ، رغم أننا يجب أن نفعل كل شيء بتأنٍ .

ويسأل صالح مستعجلاً أن يعرف الحل الذي وجده عبدالمعطي :- يجب أن نقف معي وتساعدني يا عبد المعطي .. وقل لي ماذا وجدت ؟

ويضحك عبد المعطي منتصراً :- اقف معك ، لقد وقفْتُ معك دون أن تطلب مني ، ورغم انك ، سامحك الله ، ما أدت أن تراني .. والمهم الآن .. يجب اقناع عمي بعدم ضرورة هذا الزواج .. فهو السبب الذي يجعله يفكر بالتخلي عن المشيخة ...

ورغم علامات الأسى التي ظهرت على وجه صالح ، فإنه يقول مستسلماً :- ولكن .. كيف ؟ ماذا نفعل حتى نقنعه ؟ ...

فيقول عبد المعطي وهو ينظر للبعيد :- لقد فهمت من أخي عدنان ، بأنه كان يتمنى منذ زمن بعيد أن يجرب حظه هو الآخر ويأكل من هذه السمكة .. فلماذا لا نجعله يأكل بشكل شرعي ، على سنة الله ورسوله؟

ولم يستطع صالح أن يخفي مشاعره وهو يرى أن أنيسة ستطير منه :- ولكن ، أنيسة يا عبد المعطي .. فمن الممكن إن ترفض ؟.

ويرد عبد المعطي :- إطمئن يا ابن عمي .. فهل كان حميد أفضل من أخي ؟. ومهما كان الحال فإنها لم تجد فحلاً أفضل من عدنان .. فقد حباه الله فجعله لا يعرف إلا الأكل والشرب والنوم ...!! ولن استغرب بعد سنة من الزواج أن أجد أنيسة ولم يبقى منها إلا الشوك .

( المشهد 30 )

\*\*\*

وفي غرفة ، يجلس الشيخ وقد زاد إعياءه ، منصتاً إلى وقاص وهو يقول :- لقد قالت الحاجة الحق .. فأنت حتى لم تسأل أنيسة ؟

ويرد الشيخ غاضباً :- ماذا تقول ، فإن كانت هذه العجوز لا تعرف ما تقول، فإنك لا يجب ان تخرف معها .. وماذا اسأل أنيسة ؟ ولماذا اسألها ؟ هل يمكن أن ترفض الزواج بولدي أنا ؟. هل ترفض الزواج بالرجل الذي هو أبوا ابنتها ؟ هذا كلام مجانيين .. ان الحاجة ، يا وقاص تفكر بشيء آخر .. لعلك لا تعرفه ..

وترتعش كل أوصال الشيخ ، ويحاول وقاص تهدئته ، فيقول:- كلا ، يا شيخ لا أنيسة ولا غيرها ترفض ابن الشيخ ، ولكني أرى إن الشرع يحتم علينا إن نسالها فمهما يكن ، فهي صاحبة الأمر .. لا يجب أن ننسى ما أمرنا به الله .

ويصمت الشيخ ، فهو فعلاً لم يفكر كما يقول وقاص : اذا كان الأمر كما تقول ، فأني سأسألها بنفسني .. وسترى أنت وهذه العجوز إن أنيسة ستكون اسعد خلق الله حينها .. انا أنتظر حتى تنتهي عدتها ، ولم يبق إلا القليل ..

فيقول وقاص بتردد :- ولو افترضنا أيها الشيخ أنها رفضت .. فماذا ستفعل ، هل تجبرها على الزواج ؟.

ويرد الشيخ باستغراب يشوبه غضب :- ماذا جرى لك يا وقاص .. أنيسة ترفض ؟ ولماذا ترفض ؟ هذا الا اذا كانت مجنونه .. او اجبرها أحد على ذلك .. أليس هذا ما يقوله العقل ؟.

ويرد وقاص بهدوء محاولاً إن يتجنب غضب الشيخ :- نحن لا نعرف كيف تفكر النساء يا شيخ .. فماذا لو فكرت أنيسة بأنك تزوج صالحاً بها تحت اجبار السوط ؟. فلو كان صالح ينوي الزواج بها لفعل منذ بداية الأمر ، دون إن يحدث ما حدث .. وهي تعرف طبعاً إن صالح لم يتزوجها لان سمعتها - وليغفر لي ربي - لا تناسب هذه العائلة الكريمة .. أنها يمكن أن ترفض .. فماذا يغيّر هذا الزواج بالقوة .. يرد الشيخ :- والطفلة ؟

ويقول وقاص :- أنها بإسم حميد ، ولا يمكن الآن تغير ما حصل .. إننا ربما نكون ظالمين بحق أم وأب حميد .. إن فعلنا ذلك .. ان أنيسة أيها الشيخ لم تعرف أنسانا عاملها كما فعلت أنت ، إلا يمكن إن تفكر بأنها ستسيء إلى اسم هذه العائلة عندما

تقبل الزواج بصالح ؟. من يدري فلعلها تفكر هكذا ؟ وإذا افترضنا أن هذا لم يحصل ، فهل تعتقد أن صالح سيعاملها بالحسنى وهي سبب فضيحتها .. انها أيضا ستفكر بمستقبل هذا الزواج وترى انه ليس الحل المناسب ..

وبقول الشيخ وقد بدا كلام وقاص معقولاً نوعاً ما :- انا لا اعتقد بأن أنيسة ستفكر هكذا .. كل ما يهمها الآن هو إن تجد زوجاً يحميها و السلام .

ويقول وقاص :- حتى ولو لم تفكر أنيسة يا شيخ ، فإذا كنا نهدف الخير لها ، فيجب علينا إن عرفنا بان زواجها بصالح لا يفيدنا بشيء فلا يجب أن نفعل ..

فيقول الشيخ :- اسمع يا وقاص اذا كان المانع هو خوفها على سمعتنا ، فسأقول لها بنفسي بان عائلتنا اذا كانت أصلية فعلاً فأنها لن تعجز إن تستر عيباً حدث بقضاء الله وقدره ، وإذا خشيت إن لا يعاملها صالح بالحسنى ، فلتعلم إن رجلاً بعقل صالح ومكانته لم يمنع دينه ولا خلقه من أن يقضي منها رغبته ، كيف يرفض او لا يكون راضياً إن استطاع أن يفعل ذلك برضى الله ورسوله .. وان فعلت أنيسة وفكرت كما قلت يا وقاص .. فهذا يعني أنها أمراه أصيلة ، رغم كل ما يقال عنها .. وسأكون راضياً ومسروراً أن تدخل هذه المرأة الى بيتي .. ويبقى صالح ، فهذا شأني أنا معه

..

( يهدأ الشيخ قليلاً ، بينما يظل وقاص صامتاً لا يدري ماذا يقول ، امام اندفاعه الشيخ وإصراره على قراره .. وعندما يرى الشيخ وقاصاً على حالته هذه يقول : ومع ذلك ، فانك أفتدتي .. نعم ، يجب أن تبقى خوله باسم أبيها الذي مات .. فهو أحقُّ بها من صالح .. وادعُ الله معي إن يوفقني .. لأنني أظن .. وأكاد اعرف حكمته تعالى .. بأن ما حدث ، كان بسبب رجلٍ لم يعد قادراً على تحمّل مسؤوليته .. فلعلكم تكرهوا شيئاً وهو خير لكم ..... أنني اعتقد بأن ذهابي لأنيسة ربما يجعلها تقول ما لا تريد خجلاً او خوفاً مني.. ولذا فانه يجب إن تتحدث معها أمراه في سنها تعرف ما تقول .. وتفهم منها الاشارة .

\*\*\*

### ( المشهد 31 )

وتشهق حليلة عندما تسمع ، فتقول لخالها الشيخ ، الذي اختلى بها في غرفته : أنا ؟ أنا يا خالي ؟ اذهب الى .... أنيسة ؟ . انني حتى لا أعرف كيف أتحدث معها ...

ويقول الشيخ :- نعم ، أنت يا حليلة . ومن غيرك أثق به ، ويقف معي في محنتي هذه .. وإياك من كلام العجوزين ، الحاجة وأمك .. وسترين ، أنيسة كم هي بحاجة إلى مَنْ يقف الى جانبها .. ويستمع إليها .. يا ابنتي ، لا أدري كيف أقول.. ولكن أنيسة اذا تركناها هكذا فانه سيقتلها كلام الناس والصمت الذي يجثم على لسانها .. أنا على يقين أنه يوجد عند هذه المرأة .. شيء طيب لا يعرفه أحد ..

وتدق زوجة الشيخ الباب وتدخل مسرعة الى حيث يجلس الشيخ مع حليلة قائلة : أتوسل إليك .. واحلف عليك بالله .. أن تسمعه .. ولا تؤذيه ... لقد جاء يراك ... لقد جاء ولدك إليك !!



وتخرج حليلة مع الحاجة , وبعد لحظات يدخل صالح محني الرأس .. ويهرع باكياً إلى يد أبيه يقبلها .. وبعد لحظات يقول له الشيخ : اجلس فانا أريد أن تقول لي ، حتى يطمئن قلبي ..  
\*\*\*

### ( المشهد 32 )

في الغرفة تجلسان لوحدهما , أنيسة وحليمة .. وقد مرّ وقت , وكما قال لها خالها الشيخ , فان حليلة تجد نفسها مع امرأة مختلفة تماما عما سمعته عنها .. وهي جميلة فعلاً رغم السحنة السوداء حول عينيها , ورغم الفوطة السوداء القديمة التي تلف بها شعرها الكثيف .. وفوق كل ذلك .. فإن أنيسة بكت وبحرقه .. على ذكر زوجها حميد .. وهو أمر لم تكن تتوقعه حليلة ... حتى ان حزن انيسة على زوجها جعل حليلة لا تعرف كيف تبدأ معها الموضوع الذي جاءت بسببه إليها ... وتقول أنيسة :- اعذريني , فأنت أول امرأة تدخل عليّ .. فلم أكن أجد من ابكي معه .. هل أقول لك يا حليلة ؟ . أم ..

فترد حليلة ولم تستطيع أن تمنع دمعة بدأت تتجمع في عينيها : قولي يا أنيسة .. وتستمر أنيسة تقول :- أنا ابكي عليه .. وقد لا يصدقني أحد .. ولذا لم ابك عليه امام احد .. جلس هنا ( وتشير إلى حافة السرير ) عندما دخل علي ليلة العرس .. وبقي ساكناً .. وأنا انظر إليه كما انظر إلى شيء كريبه , كلب ميت أو فأر ... لقد كنت مضطرة على أن اقبل هذا الزواج , أما هو ؟ .. وتمنيت أن يظل ساكناً هكذا حتى الصباح ولا يقترب مني .. فانا لا أحتمل أن يمستني هذا الفأر ... ولكنه قال فجأة ... صدقني , كنت سأتزوجك حتى بدون فلوس صالح , فأنا أعرف انه لا توجد امرأة تقبل بي ..

وشعرت انه يشتمني ... وأردت أن أنشب أظفري في عنقه .. ثم اقتل نفسي .. وكأنه أحس بما أفكر فيه ، فقال وأنت أفضل مني يا انيسة , فإذا كنت أنا الرجل قبلت أن أبيع نفسي ، فكيف لا تقبلين وأنت امرأة إن تفعلي ذلك ؟ ولعلها حكمة الله اننا نحن الاثنين أنا وانت بعنا أنفسنا لنفس الرجل .. أنت لأنك ربما احببته فهو ابن الشيخ , وأنا لأنني ما كنت أحلم أن تكون لي زوجة مثلك .. وأنا لن انسى هذا أبداً .. نعم أنا جاهل , ولا أعرف حتى كيف امسك بمحراث .. ولكني فكرت .. فكرت طويلاً حينما عرض علي صالح الفكرة .. وقلت في نفسي نعم , وماذا أخسر أنا؟! فإذا فهمتني أنيسة , وصدقنتني بأنها هنا , معي , هي الاشراف والأفضل .. مني ستساعدني حتماً حتى اكون إنساناً محترماً .. وإن لم تصدقني واعتبرتنني قبلتُ بها من أجل فلوس صالح ... فلها ما تريد .. سأطلقها متى شاءت .. ويكون كل شيء قد عاد إلى مكانه .. ثم قال لي وفي هذا المكان دون إن يتزحزح ... ودون إن ينظر إليّ : والآن أنت يا انيسة حرة .. لقد قلتُ لك كل شيء .. لقد تزوجنا أمام الناس , وهذا هو المهم .. وقام لينام في تلك الزاوية ..

هل تصدقين يا حليلة , بأن أحداً لم يقبل أن يشتغل معه حميد .. لقد حكم عليه الكل بأنه لا يصلح لشيء .. وكان يريد .. ألا يأخذ فلساً واحداً ... وكان يقسم .. ولكن الجوع وهذه الطفلة عندما جاءت .. جعله ينسى قسمه ويأخذ ...

وتبقى حليلة صامته , فقد جعلها حديث أنيسة تنسى تماماً أن هذه التي إمامها هي انيسة نفسها وليس واحدة أخرى .. وكانت حليلة أيضاً تبكي .. فنقول بسداجة:- لقد رأيت الكثير .. وعرفت الكثير يا انيسة .. أنا لا أصدق بأنك أنت التي كنت اسمع عنها .. اعذريني , ان قلت هذا .. ولكن ..

وتقاطعها انيسة : لا عليك .. فانا أعرف ايضاً .. ولكني لست كما تظنين . فانا جاهلة لا اعرف شيئاً .. فأمي قبل إن تموت .. لم تجد ما تقوله لي غير ( أنت جميلة فلا تضيعي من يدك هذه النعمة ) ؟ لقد كبرت وحدي فمن أين أتعلم ؟ .. لم يقل لي احد لا تفعلي هذا الشيء فهو يضرك , او افعلي هذا فهو يفيدك .. مشيت وحدي عشرين عاماً , ووقعت في حفر كثيرة ورددت بأحجار كثيرة ..

وتقول حليلة باندهاش امام انيسة :- أنا أصدقك .. فانت لا تكذبين علي يا انيسة ؟

فتبتسم انيسة وتسال حليلة سؤالاً مفاجئاً :- هل ترين انني جميلة فعلاً ؟

ورغم استغرابها , تجيب حليلة بعفوية:- طبعاً , أنت جميلة , ولكن لم افهم قصدك ؟ فنقول انيسة :- بمناسبة الكذب , فقد تذكرت ما كانت تقوله لي امي يرحمها الله , اكذبي يا ابنتي . افعلي اي شيء من أجل إن يكون لك بيت .. واياك أن تفرطي بهذه النعمة , وتقصد الجمال ... قولي نعم لأي رجل ثم افعلي العكس بعد ذلك اكذبي فالرجال يصدقون كل ما تقوله المرأة الجميلة لهم .. وعندما تجدين رجلاً يريدك على سنة الله ورسوله .. عندئذ يحرم عليك الكذب .. وفعلت كما علمتني أمي مع كثيرين .. لن تصدقي إن ذكرت لك أسماءهم .. حتى وصلت الى صالح , وعندئذ لم استطع أن اكذب , لقد كان – واعذريني يا حليلة – اكثر كذباً مني .. والآن , وبعد ما حدث .. فلماذا اكذب ؟! لم يبق عندي شيء أخاف عليه .. وتقاطعها حليلة :- ولكنه يريدك فعلاً .. إنه هو بنفسه قالها لأمي .. صدقيني .. وبصراحة يا أنيسة ..

فتقاطعها أنيسة :- لقد كذب .. لقد كذب يا حليلة , حينما ادعى أنه لا يثق بان ما في بطني هو منه بالفعل .. لم يستطيع أن يقول لي الحقيقة .. لم يستطيع أن يقول بأنه لا يمكن أن يتزوج انيسة .. ولذلك كذب علي .. وبرر موقفه بحجة قتلتي .. وهو يعرف تماماً بأنه لم يمسنني أحد قبله .. ولا بعده ...

فتقول حليلة :- والآن , ربما عرف خطاه .. وها انني أريد أن تقولي لي ... فخالي الشيخ يسألك الزواج بصالح .. وبعثني اسمع منك .. وكما ترين فأنتي أصدقك تماماً , واتمنى فعلاً أن تدخلني الى بيتنا .. فأنت إنسانه شريفة حقاً .

فترد انيسة بشكل قاطع :- كلا .. كلا يا حليلة .. لا يوجد رجل يعوضني عن حميد .. فقد مات بسببي أنا .. لن أتزوج أحداً .. وافهميني , أرجوك , لا أريد أن يجبرني أحد على أن اكذب مرة أخرى .. واذا اراد الشيخ , أن يكرمني , فليتركني مع هؤلاء الناس الذين مات ابنهم بسببي .. انهم أمي وأبي .. أرجوكم ارحموني يا حليلة .. وساعديني ..

\*\*\*

( المشهد 33 )

لقد لاحظت زوجة الشيخ أن ولدها صالح خرج من أبيه , وكأنه أزاح عن صدره همّاً ثقيلاً , حتى أنه قبلها ثم خرج مسرعاً .. إذن حدث أمر حسن .. ولم تنتظر , فتذهب مسرعة إلى الغرفة التي جلس فيها زوجها , فتراه هو الآخر , كمن أفاق من نومٍ طويلٍ أزاح عنه تعباً وعلياً كبيرين .. ولذلك فإنها تستبشر خيراً .. وقبل أن تتنطق بحرف يقول لها : الشاي يا حاجة . وتعود إدراجها مسرعة , وهي تقول : حالاً . وقبل أن تذهب بعيداً تسمعه يسألها بصوت عالٍ : هل عادت حليلة ؟ فلم تجبه , وأدعت مع نفسها أنها لم تسمعه ...

\*\*\*

### ( المشهد 34 )

وتلاحظ خديجة أن زوجها عاد إليها من أبيه بهيأة أخرى .. كان منتصب الرأس , رغم العرج البسيط الذي يعاني منه نتيجة سوط وقاص ... وهو إضافة لذلك توجه مباشرة خزان الملابس قائلاً : أين وضعت جلبابي الأزرق , فانا سأخرج الى المقهى ! وتقول له بتردد : هل عمي الشيخ بخير ؟ ويرد دون تردد :- لي حساب طويل مع أخيك عبد المعطي !

\*\*\*

### ( المشهد 35 )

ويصرخ الشيخ في وجه حليلة التي وقفت امامه تنقل له ما قالت له أنيسة : لا .. يجب أن تتزوج أنيسة ... ليس المهم أن يكون صالح ... ولكنها لا يمكن أن تبقى دون حماية رجل .. غداً او بعد غد ستنتهي عدتها ... وحتى لو لم ترد هي ... لكني اعرف انه يوجد هنا أكثر من نذل .... سيغريها على .. فعل الشر .. وعندها ... ماذا يكون مصير هذه الطفلة .. التي هي من لحمي ودمي ... كلا .. إن ما تقولينه .. هو كلام عيال ..

\*\*\*

### ( المشهد 36 )

ويجلس صالح وحيداً في المقهى ... ورغم أنه يفكر كل لحظة بالعودة الى البيت ... فكل الناس تسلم عليه , ولكنه كان يراهم أيضاً يخطفون نظرة إلى الجرح الواضح على خده .. هذا الخط العريض الذي تركه سوط وقاص .. ومهما حاول أن يغطيه بيده ... فإنه إن نجح , كانت جلسته بحد ذاتها تثير الانتباه .. رغم كل ذلك بقي جالساً وكأنه كان ينتظر شخصاً مهماً .. ويمر رجلان , فيسلمان عليه .. برفع ا يديهما .. ولكنه كان مستغرقاً في عالمه الخاص , فلم يرهما رغم أن عينيه كانتا مفتوحتان وتنتظران الى الطريق .. فيقول الرجل لصاحبه : - أظن أن عدة أنيسة انتهت .. وبدأت عاداتها في الذهاب بين يوم وآخر إلى المقبرة .. ويرد الثاني : الله اعلم ..

فيقول الأول :- نعم , فها نحن نجلس في المقهى ( مشيراً لصالح برأسه ) , فعسى أن تمر أم البنت !  
\*\*\*

### ( المشهد 37 )

ام حليلة بعد أن تسمع أن أنيسة ترفض الزواج , تقول بفرح للحاجة التي جلست وقد ظهرت علامات انزعاج , بسبب أن أنيسة تجرأت ورفضت صالح , فهي من جهة كانت تتمنى الا يتم هذا الزواج فعلاً , ولكن من جهة أخرى , كان رفض أنيسة طعنة لكبريائها ... تقول ام حليلة :- أردناها في السماء , وها نحن نجدها في الأرض ... فلتأخذ أنيسة من شاءت وليزوجها الشيخ لمن يريد .. وعسى أن يعقل صالح .. فها هي .. نفسها ترفض .. وهذا كفيل بإعادته الى عقله .. يجب أن اذهب إليه .. فتدرد عليها زوجة الشيخ :- لا .. ليس الآن .  
\*\*\*

### ( المشهد 38 )

يعيش عبد المعطي وزوجته وأطفاله , في بيت انتقل إليه بعد زواجه , وهكذا فعل عيسى , وبقيت أمه تعيش مع الأخ الأصغر عدنان .. وتقول الأم لأبنائها الثلاثة، عندما اجتمعوا عندها صباح هذا اليوم , وهي تضع إمامهم صينية الشاي :- أتدرون , ماذا سمعتُ من أم حليلة ؟ فيقول عبد المعطي :- هل تحدثتِ معها حول موضوع عدنان وحليمة .. ويظهر الانزعاج على وجه عدنان , فتقول الأم :- كلا . أنا أتحدث عن موضوع أنيسة . وبمجرد أن يسمع الأخوة الثلاثة اسم أنيسة , حتى يظهر الاهتمام على وجه كلٍّ منهم بطريقته الخاصة , وكلُّ منهم حاول أن يخفي اهتمامه عن أخويه , غير أن عدنان , وكعادته يقول بسداجة :- ربي اجعله خيراً على عبادك ! وتنظر إليه أمه بانزعاج وتقول هامسة : وما أقوله لا يجب إلا يعرف به أحد , وخاصة عمكما الشيخ .. فأنيصة يا أولادي , قالت بأنها لا تريد الزواج ... بصالح .. فيرد الثلاثة دون تردد :

عبد المعطي :- لقد توقعت هذا !!

عيسى :- معها الحق , فماذا بقي منه بعدما حصل !!

عدنان :- لقد فعلت عين العقل ..

ويفاجئ الأم رد ابنائها غير المنتظر ... ولا تفهم سر الارتياح الذي ظهر على وجه كلٍّ منهم .. والذي كان يحاول أن يخفيه عن الآخرين !  
\*\*\*

### ( المشهد 39 )

غير إن ام حليلة لم تنتظر طويلاً، فذهبت إلى صالح بعد صلاة المغرب , ولم تجده قد عاد بعد ألى البيت , فتجلس مع خديجة زوجته , وتقول خديجة :- انه يجلس في المقهى .. ولا يعود إلا بعد صلاة المغرب .. دون أن يقول شيئاً ... وترد أم حليلة :- اصبري يا ابنتي , فكل شيء , سيعود إلى وضعه الطبيعي ..

ويدخل صالح , الذي يظهر سروراً لوجود عمته .. فيسلم عليها ويدخل غرفته .. فنقول ام حليلة لخديجة هامة : اتركينا لوحدا .. فأنت تفهمين .. وأتمنى من الله , عندما يسمعني أن يرجع لنا صالح الذي نعرفه سابقاً .  
وتنهض أم حليلة وتدخل الغرفة , فتجد صالحاً قد غير ملابسه , واستعد للخروج إلى ساحة البيت , فنقول أم حليلة : قلت اذهب إلى ابن أخي , فهو لم يسأل عن عمته .. ويقول لها :- اهلا بك يا عمتي ..  
وتجلس , ويفهم صالح أنها تريد أن تقول له شيء فيقول : - خيراً يا عمتي .. هل أبي بخير ؟ وترد عليه :- بخير والحمد لله .. كلنا بخير , وارك يا ولدي بخير وهذا ما يتمناه قلبي .. اجلس يا ولدي .. فانا أريد أن أقول لك شيء .. ولا أريد أن تسمعه من غيري ..  
والآن , يشعر صالح بان شيئاً مهماً يلوح على وجه عمته .. فيبقى واقفاً لا يتحرك .. ويقول :- ماذا حدث يا عمتي ؟ .  
فنقول ام حليلة :- أنت الآن بخير , والحمد لله .. وستفهم بسرعة ما سأقوله .. وكما تعرف فان الله عز وجل , فيقاطعها صالح بصوت مرتعش :- قولي يا عمتي .. هل حدث شيء لأبي ؟ .  
فنقول :- كلا , لم يحدث شيء , والعياذ بالله .. إنما ذهبت حليلة إلى أنيسة , كما طلب منها .. أبوك .. وسألتها .. فقالت ..  
\*\*\*

#### ( المشهد 40 )

صباح يوم الجمعة , يجلس عدنان امام أمه يتناول طعام الفطور وقد رسم علامات الحزن على وجهه العريض وترى أمه الحزن على وجه ولدها , وهذا أمر غريب عليه , فنقول :- ما بك يا ولدي ؟ فيقول عدنان لا شيء يا أمي .. كل ما هنالك ... رأيت البارحة طيف أبي يأتيني في النوم .. فتزد أمه :- رحمه الله ..  
ويكمل عدنان : ورأيت من واجبي أن اذهب لزيارة قبره .. انه يوم الجمعة .. فكأنما أراد أبي أن أزوره ..  
وتقول الأم :- بارك الله فيك .. سأذهب معك .. خذني معك يا ولدي ..  
ويرد عليها بصراحة :- كلا يا أمي .. فأنا لا أستطيع , وبصراحة أنا لم أفكر بزيارة قبر أبي سابقاً لأنني اعرف بأنك ستتعلقين بأذيالي ..  
فتزد عليه أمه بسرعة خشية أن يغير رأيه في بالذهاب :- كلا يا ولدي .. اذهب وزر قبر أبيك .. أما أنا فساطلب أن تأخذني خديجة معها .. وسأعطيك خبزاً وسكراً للمقري .. أنها حسنه ..  
فيرد عليها عدنان : كلا , فسأخذ معي المصحف وسأقرأ بنفسي على قبر أبي !

#### ( المشهد 41 )

\*\*\*

يزور الناس صباح الجمعة قبور موتاهم , وقد انتهت أنيسة من عدتها بعد وفاة زوجها ولذا فإنها لا بد أن تأتي لزيارة واحد من القبور الثلاثة , أمها وأبيها وزوجها .. هكذا فكر عدنان .. وهو الآن يصل المقبرة , ويبيده المصحف .. انه نسي شيئاً

مهماً , فهو لا يعرف مكان قبر أم أنيسة ولا مكان قبر أبيها .. أما قبر حميد فهو كان يتذكر قرب الصخرة .. التي تقابل المدرسة ..

ويقف عدنان , متطلعاً بالوجوه النسائية الملتمة دون أن يقترب .. لقد جاءت بعض النسوة وانتشرن في المقبرة , وجلست كل مجموعة حول قبر من القبور وهي تستمع لرجل اعمى يقرأ القرآن على روح الميت .. وبعد جولة طويلة بين القبور يقف عدنان ينظر بدهشة إلى رجل كأنه شق الأرض وخرج منها .. رجل عرف عدنان انه رآه أيضاً . ولذا وقف هو الآخر مندهشاً ومذهولاً لوجود عدنان في المقبرة .. وبحركة سريعة , يفتح عدنان المصحف ويجلس عند اقرب قبر الية , ويبدأ بقراءة القرآن ورغم الآيات القرآنية التي اخذ يرددها عدنان وهي كل ما يحفظ .. الا أن الرجل وقف على رأسه .. كان يرى قدميه , ولكن عدنان استمر مستميتاً في قراءة القرآن .. وأخيراً عرف بأنه لا فائدة من الاستمرار بعد إصرار الرجل الواقف على رأسه دون إن يقول شيئاً .. ويرفع عدنان رأسه قائلاً باستغراب :- مَنْ؟ ابن عمي صالح؟!!

ولكن صالح بقي صامتاً مثل الحجر , وعيونه مفتوحة بشكل غريب , مصفّر الوجه ويقول عدنان بارتباك :- لقد تعّير كل شيء في هذه المقبرة .. فأصبح المرء لا يميز بين قبر أبيه وقبر غيره ! وأنا بحثت عن قبر أبي .. رحمه الله , فلم اعثر عليه .. وقلت في نفس الأعمال بالنيات , فجلستُ عند هذا القبر .. أترحم على روح أبي .. لقد جاءني طيف ..

ويرى عدنان إن صالحاً لم يكن يسمعه , كان أنساناً من حجر , لم ترمش له عين .. فيقول عدنان :- من حسن الصدق انك جئت تزور قبر عمك .. أليس كذلك ؟ وربما انك تعرف موقعه .. فلماذا لا نبحث عنه سوياً ؟.

وعندئذ يمدّ صالحاً يداً صلبه الى كتف عدنان , ويمسك بثوبه ويجره إلى الوقوف , فيقف عدنان باستسلام , رغم أنه لو رفض لما استطاع أن يفعل معه صالح شيئاً , نظراً لضخامة جثته نسبة لصالح النحيف .. ولكن منظر صالح غير الطبيعي أثار بعض الخوف عند عدنان فقام هذا الأخير وهو يقول :- ما بك يا صالح ؟

فيقول صالح بكلمات مرتعشة , وكأنها تخرج من فمّ ذي فكوك حديدية :- لن تضحك عليّ يا عدنان , ولن يضحك عليّ أخوك , فانا اعرف كل شيء .. ومَنْ يحاول منكما أن يمس شعرة منها ... فانا سأقتله ... انكما لن تنجحا في إجبارها على اي شيء ... هل فهمت .. والآن , اذهب , ولا أريد أن أراك مرةً أخرى في هذه المقبرة .. لأن أنيسة ستأتي معي .. وسأتي بها بنفسني إلى المقبرة ...

كان صالح , يقول ذلك .. دون أن ترمش عيناه .. ورأى عدنان حالة ابن عمه , فلم يزد حرفاً .. وانسحب بهدوء ... لكنه لم يستطع فالتفت الى الورااء ... فكان صالح لا يزال واقفاً , ولكنه ... بدأ يضحك على الطريقة التي هرب فيها عدنان ... او هكذا اعتقد عدنان نفسه .

\*\*\*

### ( المشهد 42 )

وتقول أنيسة , وقد تثلثت مستعدة للخروج :- لن أتأخر يا أمي .. وأنا أعددت الحليب لحوله .. فمتى أفاقت أعطه لها .  
وتقول ام حميد :- لقد اقترب المغرب .. يا أنيسة ..  
فترد انيسة :- نعم , ستكون المقبرة خالية , ولا أريد أن أرى أحداً , ولا يراني أحد .  
وتخرج .  
\*\*\*

### ( المشهد 43 )

ويقول عدنان لأمه , وقد حمل المصحف مستعداً للخروج :- لقد جن ابن عمي يا أمي .

فترد عليه أمه المشغولة بالعجين :- ماذا قلت ؟  
فيرجع ويقف إمامها :- قال لي المقرئ هذا الصباح , بأن صالح يأتي كل يوم الى المقبرة .. فماذا تسمين ذلك ..؟  
فترد عليه أمه :- وكيف عرف هذا المقرئ الاعمى ؟. من قال له ؟.  
ولا يجد عدنان ما يرد على أمه فيقول :- هل يذهب الناس يزورن موتاهم في المساء أيضاً يا أمي .

فترد عليه أمه :- نعم ! فالترحم على أرواح الموتى ليس له وقت .. ولكن لماذا ؟  
فيقول عدنان دون اهتمام لسؤال أمه :- ساتعشى مع عبد المعطي .  
وتلاحظ أمه انه يحمل بيده المصحف , فتقول له : وهذا المصحف , ماذا تفعل به وأنت ذاهب إلى بيت أخيك ؟  
فيقول عدنان وكأنه انتبه لتوه لوجود المصحف بيده :- أوه , يا أمي .. لقد نسيته بيدي .. ومع ذلك فانه يخرج مسرعاً , وبيده المصحف .. تاركاً أمه تنتظر إليه باستغراب !  
\*\*\*

### ( المشهد 44 )

المساء قد هبط , عدنان خلف إحدى الصخور , التي تمتد حتى بيت السدر , فتشكل درباً متعرجة و متشعبة كثيرة .. وهو متأكد تماماً بأن تلك المرأة التي جلست أمام القبر المحاذي للصخرة , قدام المدرسة , هي أنيسة نفسها .. ولا أحد في هذه المقبرة .. سوى المقرئ الأعمى الذي يتمايل امام أنيسة بقراءة إحدى سور المصحف ... ويستطلع عدنان كل جهات المقبرة ... مدققاً بكل الخيالات التي يمكن أن تكشف عن وجود إنسان ... لا أحد ... سوى .. ضوء ضعيف يراه عدنان في نافذة البيت المجاور للمدرسة والذي يسكنه الاستاذ خالد وأمّه ..

وينتظر عدنان ... وهو ينقل المصحف من يد لأخرى .. وأخيراً تنهض أنيسة .. وتعطي شيئاً للمقرئ الأعمى , فيأخذه ... ويسير تقوده عصاه إلى كوخ طيني واطىء .. حيث يسكن ... وتمشي أنيسة إلى الطريق الذي سيوصلها إلى مدخل القرية لا احد .. فالجميع يصلون الآن صلاة المغرب .. ويركض عدنان ... لا احد ... ويركض حتى يصير وراء أنيسة بخطوات ويتنحج ... معلناً عن وجوده ... لكن

أنيسة لا تلتفت وتبقى تسير حتى أنها لم تسرع ... وهذا ما أثار استغرابه , وشجعه أيضا على إن يتقدم أكثر .. ثم يقول :- أنيسة .. لا تخافي أنا عدنان !  
وتقف أنيسة ، ومن لثامها يرى عدنان عينيها .. كانتا ثابتتين , وتنظران اليه دون تردد وهذا شيء لم يتوقعه أيضاً وقالت :- ماذا تريد ؟  
وهذا أيضا لم يكن متوقعا ، فقد سألته مباشرة , دون أن تقوم بأية حركة من التي تقوم بها امرأة وحدها يطاردها رجل .. فتعطيه بذلك وقتاً يرتب فيها حججه ...  
وعلى عدنان أن يقول لها الآن بسرعة , ماذا يريد . فكر أن يهرب .. لكنه أخيراً , وبدون تردد مدّ أمامها المصحف ووضع عليه يده اليمنى قائلاً :- اقسم لك على هذا المصحف .. بان قصدي معك ... هو الزواج .. وهذا كل ما في الأمر ...  
وترد عليه أنيسة :- اذهب يا عدنان , فقد يراك أخوك عبد المعطي معي ... وإذا لم تذهب فأني سأصرخ وهذا بيت الاستاذ قريب منا .. اذهب , فانا عائدة من قبر زوجي الآن .. الا تفهمون الأصول يا اولاد الأصول ؟ وتتركه واقفاً وما تزال يده اليمنى على المصحف !! وتتابع سيرها دون أن تلتفت !!  
\*\*\*

#### ( المشهد 45 )

انيسة تبكي , الظلام خفيف . والطريق خالية . فلا أحد يسمع أنيسة تبكي .. لم يتبعها عدنان .. ومع ذلك أسرع .. متمائلة الى البيت .. فهي تبكي ... ومن بعيد تلوح لها أضواء المقهى ... هي خالية ... الا من رجلٍ نهض فجأة ووقف في وسط الطريق ... ثم أقبل نحوها مسرعاً .. مسحت دموعها , وسارت الى جهة الطريق البعيدة عن واجهة المقهى .. تأكدت أن لثامها في مكانه .. ولا يظهر من وجهها سوى عينيها .. ومع ذلك جرت اللثام فغطت عينيها اليسرى .. ونظرت إلى الأرض .. ومشت بأقصى ما يمكنها .. والرجل يقترب منها ... انه يغيّر اتجاهه ... ويصير قدامها مباشرةً ... فتنحرف دون أن ترفع رأسها , لكنه أخيراً , يمسك بذراعها قائلاً :- أنيسة !

وتعرفه :- انه صالح , وتسحب نفسها منه , ولكنه كان اقوى .. واكمل :- أنت لا تريدين الزواج بي ؟ سأقتلهم كلهم .. ان هم أجبروك على هذا القول ... وأولهم عبد المعطي ( ويشير إلى شيء موجود في جيبه ) .... سأذبحهم واحداً واحداً لقد قلتُ لأبي كل شيء .. فأنت لي .. ولن يستطيع أحد إن يأخذك مني ..  
وتقول بصوت مبجوح , وكأنها لا تريد أن يسمعها احد :- اتركني يا صالح .. ان ما تفعله معي الآن .. لا يعقله احد ..

لكنه يصرخ ! كلا .. أنا الآن لا يهمني أحد , وأبي يعرف إنني احبك .. وقلتُ له انني كنت جباناً عندما تخليتُ عنك ... ولكن لا بأس .. كل شيء .. سأصلح كل شيء

وتقول متوسلة :- اتركني يا صالح .. أن الناس يسمعون ما تقول .  
ويضحك صالح بشكل هستيري : الناس ؟ أين هم الناس ؟ أتسمين هؤلاء الخرفان ناساً ( ويشير إلى بعض الذين توقفوا يرقبون ما يحدث )



لقد توقف بعض الناس فعلاً ، بعد عودتهم من المسجد بعد صلاة المغرب ، ويكمل صالح كلامه مخاطباً الناس :- لماذا تقفون مثل الحمير ؟.. انا اكلم زوجتي فما شأنكم انتم ؟ ..

وتحاول انيسة أن تتخلص من يده التي أمسكت بها بقوة هائلة .. والآن فقط ظهر الخوف على وجهه انيسة .. وفجاه يقول صالح :- سترون أنها زوجتي ..... وتصيح أنيسة :- اتركني يا صالح .. أنا عائدة لتوي من قبر زوجي ... كنت عنده .. ولكن صالح لا يسمع .. وعلى غير توقع ، يمدّ يديه إلى لثامها ويشده بقوة .. إلى اسفل بحركة تجعل صالح يجلس ويبيده لثام أنيسة .. التي بقيت عارية الوجه والرأس .. وتجدها أنيسة فرصة سانحة فتركض .. تركض بأقصى ما يمكن .. باتجاه البيت .. ويحاول صالح أن يقف وبحركة سريعة جداً للحاق بأنيسة الا أن حركته هذه تجعله يسقط على الأرض من جديد .. وعندئذ .. سيستسلم بشكل مفاجئ .. وهو يقول محدث الواقفين : ستندم .. ستندم يقول ذلك وهو يلوح بلثام أنيسة امامهم ... ثم يقف ويتجه في الطريق الذاهب الى المقبرة

\*\*\*

#### ( المشهد 46 )

قبل صلاة العشاء يقول عبد المعطي لزوجته ، وهو يشرب الشاي وقد رسم على وجهه علامات التفكير والإجهاد:- قلنا ، الحمد لله ، ستتحل المشكلة عندما يتزوج صالح بأنيسة ويتخلى عمي عن أفكاره الحمقاء .. ولكن ها هي أنيسة وبشكل لم يتوقعه أحد أبداً ترفض ، فماذا يفعل عمي ؟ هل يجبرها أن تتزوج ولده بالقوة ؟ طبعاً لا ، هل يتركها دون زواج تفعل ما يحلو لها وهو جد ابنتها ؟ . ومن يرضى إن يتزوجها بعدما حدث ؟

وتقاطعه زوجته :- وما شأنك أنت بكل هذه الأمور ؟

ويقول عبد المعطي :- ما شأنني أنا ؟ أيتها الغبية ، الا تعرفين ماذا يحلُّ بنا عندما يتخلى عمي عن المشيخة بسبب إمرأه مثل أنيسة ؟ هل تستطيعين أنتِ مثلاً أن تُري وجهك للناس وعم زوجك الشيخ يفعل ذلك ؟ فاسمعيني ولا تتعجلي الأمور مثل البقرة .. لقد فكرت فوجدت أن الأمور والمشاكل كلها بيدي أنا !.. ولا أدري كيف لم اهتدِ لذلك من قبل .. ولكن كيف يستطيع الرجل أن يفكر وله زوجة مثلك غير مستعدة لان تفعل اي شيء لمستقبل زوجها وأولادها ومستقبلها هي ... فتترد زهرة ، زوجة عبد المعطي ، وهي مندهشة امام اتهامات زوجها لها : أنا؟ أنا يا عبد المعطي ؟

ويرد عبد المعطي :- نعم ، أنتِ وسأبرهن لك انكِ كذلك ، أنا لولا أطفالي لما صبرتُ عليك طيلة هذه الفترة .. ولكن لنجرب .. وسترين إنني صادق فيما أقول : فتترد عليه بسذاجة ، وهي تعطيه كأساً آخر من الشاي :- قل ، غفر الله لك .. فيستعد عبد المعطي قائلاً : قلتُ مع نفسي ، نعم يا عبد المعطي ، بقليل من التضحية منك وقليل من التضحية والصبر من زوجتك ، يبقى كل شيء في مكانه ... فمن

جهة ها هو عمي في مشيخته , لأنه قد زوّج أنيسة برجل يثق به , وها هي الطفلة لا تقع تحت يد رجل من خارج عائلتنا لا ندري كيف سيعاملها ؟ ..

فترد عليه زوجته دون أن تفهم قصده :- ومن هو هذا الرجل ؟

فيقول عبد المعطي :- لماذا لا يكون عدنان ؟ ولكني قلت مع نفسي , وحليمة هل تقبل الزواج به بعد أن يتزوج أنيسة , خاصة وأنا فاتحنا ام حليمة بالموضوع , كما تعلمين ... وفكرت لماذا لا يكون عيسى ؟ وقلت مع نفسي أيضاً : انه ما يزال شاباً , وتلعب أنيسة بعقله , وبدلاً من يطلقها كما هو متفق عليه . يطلق زوجته وتحل الكارثة ..

فتقول زوجته وقد فهمت الآن قصده تماماً : فلم يبق الا غيرك , اليس هذا ما تريد قوله لي ؟

ويقول عبد المعطي :- ألهمني الصبر يارب مع هذه المرأة .. لا تجعليني أندم لأنني أستشيرك بقضايا لا يقدر عليها الا الرجال ... أصبري وسترين انني الوحيد من بين اخوتي الذي يصلح لحل هذه المشكلة.

فترد زوجته محتجة وبصوت عالٍ : هذا الكلام قله لغيري .. لمن لا يعرفك يا عبد المعطي , أما أنا فلا .. هل جننت حتى أقبل أن يتزوج رجلي بأمرام مثل أنيسة ..

ويرد عليها عبد المعطي بغضب : اخطأتُ أيضاً .. وفي كل مرة كنتُ أقول لنفسي , ربما يأتي يوم وتفهمك هذه المرأة .. ولكن لا فائدة .. نامي .. قومي من امامي .. وانسي ما قلته لك .. لأنني سأفعل ما اراه صالحاً لمستقبل أولادي .. شئت أم أبيت .. لعن الله جميع النساء ..

فترد عليه زوجته :- اذا أنا الآن بقرة . فالله يعلم ماذا سأكون عندما تأتي ذات الحسب والنسب , ذات الأصل والفصل .. أنت تريد أن تهدم هذا البيت وتحطم مستقبل أولادك ..

فيقول عبد المعطي :- مستقبل أولادي ؟ وأي مستقبل ينتظرهم و أنتِ أمهم ؟ فتقول : لا أظن ستمر هذه الليلة بسلام ! ( ويرتفع صوت أذان العشاء ) .

\*\*\*

### ( المشهد 47 )

صوت أذان العشاء يجعل خديجة تعرف أن زوجها تأخر فعلاً في العودة إلى البيت , وتحاول أن تنتشغل باعمال معينه داخل الدار , ولكنها لا تستطيع , وأخيراً تفتح باب البيت ناوية الذهاب الى بيت الشيخ , ولكنها تُفاجأ بمجيء وقاص ... فتسأله : لقد تأخر صالح , هل يكون قد ذهب يصلي العشاء ؟

ويفهم وقاص ان ( صالح ) لا بد أن يكون قد ذهب إلى مكانٍ ما بعدما حدث ويقول : ربما يكون عند الشيخ ... قيل لي أنه كان في المقهى , ثم هجم على أنيسة , فتصرخ زوجة صالح ...

\*\*\*

### ( المشهد 48 )

وقاص يقف أمام بيت أم حميد , وهي تستمع إليه فيقول : نعم، نعم لقد قالوا كل شيء في المقهى , وفكرتُ أنه ربما يعيد تهجمه على أنيسة ..

فتقول : كلا .. إنه لم يأت...

### ( المشهد 49 )

زوجة صالح , وقد تذكرت شيئاً فتدخل البيت راکضة وبعد فترة تخرج الى وقاص الذي بقي واقفاً ينتظرها على الباب : لقد فعلها .. اخذ معه السكين .. انه ذهب إلى أخي عبد المعطي .. هذا اكيد ... لقد تذكرت ..

\*\*\*

### ( المشهد 50 )

وقاص مع مجموعة من معاونيه , ومن بينهم عبود , ويقول لهم صاحب المقهى :- انه ذهب باتجاه المقبرة .. ولم تكن معه سكين , بل اللثام الذي انتزعه من أنيسة ..

\*\*\*

### ( المشهد 51 )

وتتحرك الفوانيس في طرق البلدة ... فتحطم الليل والصمت وتثير نباح الكلاب . ويقول وقاص أمراً : انتم تأخذون الطريق إلى المقبرة .. وانتم ( مشيراً لمجموعة أخرى ) تمرّون على عبد المعطي ... ثم عيسى .. إنه لا يمكن إن يكون إلا في واحدٍ من هذه الأماكن .

\*\*\*

### ( المشهد 52 )

وتقول زوجة عيسى لزوجها غاضبة , بعد أن انهي صلاة العشاء وجلس يشرب الشاي :- هل تظن انني جننت فأقبل .. أنا لست مسؤولة عن أختك ولا فضيحة ابن عمك .. كما لا يهمني أن يبقى عمك في المشيخة أو يتنازل عنها , أنسيه لن تدخل بيتي وليبحث لها عمك عن زوج آخر ... أما أنت فلا .

ويقول لها عيسى :- اللهم ألهمني الصبر مع هذه المرأة ... كوني عاقلة يا امرأة وافهميني .. وقولي لنفسك .. مَنْ يتزوجها اذن ويحل المشكلة .. عدنان ؟ تعرفين انه خطب حليلة .. من يبقى عبد المعطي ؟ مَنْ يجراً ويقول له ذلك ؟ بالتأكيد , أنا أعرفه سيتعلل بأنه كبير ولم يعد يصلح لمثل هذه الأمور ..

\*\*\*

### ( المشهد 53 )

من بعيد تلوح النافذة المضاءة , لغرفة الأستاذ خالد .. فيها هي المقبرة أصبحت قريبة , ويتقدم أصحاب الفوانيس , فيقول أحدهم لصاحبه مشيراً للنافذة المضاءة : - انه مستيقظ .. ولكن لا تظن انه مشغول بحصاد أو أولاد .. تراه الآن وقد وضع إمامه كومة أحجار وجلس على كرسيه يتأمل خربشات المطر أو الفئران عليها ... وإذا سألته لماذا ؟ سيقول هذه رسوم وكتابة لناس كانوا هنا منذ عام الفيل ..

فيرد عليه الآخر :- لا حول ولا قوة الا بالله .. أنها بلوى والعياذ بالله ... ويقول الأول : فهل تستطيع بعد ذلك أن تترك أولادك يذهبون إلى المدرسة .. بالنسبة لي فانا منعتهم يا صاحبي .. فلا تدري , يأتي غد وتجدهم يريدونك أن تشتري لهم كراسي يجلسون عليها ويضعون أمامهم حجارة وينسون كل شيء .. ويقول الآخر : ولكن الأستاذ خالد يبدو لطيفاً .

فيرد الأول : والله في خلقه شؤون ..  
ويعلو صياح أحد الرجال الذين تقدموا المجموعة وهو يلوح بفانوسه :- أسرعوا اليّ  
وتركض الفوانيس الى حيث يقف الرجل ..  
ثم يتضح كل شيء .. قبر حميد .. تتكوم على جانبه جثة .. حاولت نبش القبر  
بطريقة يائسة .. ويقلب الرجال الجسد المدمي ... وكما توقعوا .. كان صالح ,  
وكانت السكين نابتة في موضع القلب من صدره .. وبيده اليمنى مايزال يمسك بلثام  
اسود قديم ...  
\*\*\*

### ( المشهد 54 )

بعد صلاة الظهر , تم دفن جثمان صالح .. وعاد المشيعون مسرعين إلى بيوتهم عن  
حرارة الشمس ... اما الذين ما استطاعوا الإسراع فقد بقوا يجرون أقدامهم .. غير  
أبهين بحرارة الشمس .. وصبر الشعار تأخر أيضاً , فقد وجد عبد المجيد الأعمى  
من ضمن المشيعين , فامسك بيده وأخذ يقوده في طريق عودته من المقبرة .. ولم  
يستطيع صبرالاستمرار في الصمت الذي أراده الرجل الأعمى .. فقال :- هل  
سمعت بقيس بن الملوح يا عبد المجيد ؟

فيرد عليه الرجل : ربما , ولكن الذاكرة لعنها الله أصبحت غير نافعة .. فهل هو من  
هذه البلدة ؟ ولماذا تسأل عنه ؟

ويقول صبر الشعار :- كلا , انه شعّار عاش في زمن عام الفيل ..

ويقول الأعمى : ماذا به ؟

فيرد صبر :- انه مات كما يقال واقفاً على قبر امرأة كان يحبها وتزوجت غيره ..  
فيقول عبد المجيد : يرحمه الله .. اسكت يا صبر , فللموت حرمة .. ونحن عائدون  
الآن من دفن ميت ..

فيقول صبر :- صدقت يا عبد المجيد , فعندما يموت أحد .. لا يجب أن يتحدث  
الانسان الا مع نفسه ..

ويقول عبد المجيد :- نحن نحزن على أرواحنا , فالموت حق وفيه عبره ..

ويقول صبر :- صدقت يا عبد المجيد , نحن نبكي على أرواحنا لأننا ندرى بأنه لا  
يبكي علينا احد عندما نموت !

ويقول عبد المجيد :- وعندما يحضر الموت فهو لا يفرق بين هذا وهذا . بين غني  
وفقير....

ويقول صبر : صدقت يا عبد المجيد , الموت عادل , لا يفرق .. والحياة ظالمه  
تفرق بين الغني والفقير ..

ثم يقول عبد المجيد وبشكل مفاجئ :- هل يمشي وراءنا أحد ؟

فيلتفت صبر إلى الورااء ويقول باستغراب :- كلا .. لماذا ؟

فيهمس عبد المجيد :- أنا متأكد إن الشيخ عبد السلام لن يبقى في المشيخة .. بعدما  
حصل ؟

فيقول صبر :- وأنا أيضاً , ولهذا أردت أن احدثك عن الرجل الذي مات واقفاً  
ولكنك لم تسمعي !! فيلتفت عبد المجيد مستغرباً وهو يقول :- وهل كان شيخاً

هو الآخر ؟ وتخلى عنها ؟ فيرد صبر : لقد فعل شيئاً مشابهاً .. فيما انه يقول الشعر .. فقد قال كلاماً حلواً عن ليلي وهو يعلم بأن قبيلتها عندما تسمع شعره في واحده من نسائها فإنها ستحرم عليه الزواج منها.. ومع ذلك لم يسكت واستمر يقول كلاماً جميلاً.. فتزوجت ليلي من غيره .. وماتت هماً . فجاء هو بعضاً واثبتها على القبر ومات واقفاً .. فيكون كلامه الحلو وقد قتله وقتل حبيبته .. وكذلك هو الشيخ بقلبه كلام حلو سيقتله ويقتل المشيخة ..

\*\*\*

### (المشهد 55)

الحزن يخيم على وجوه كل أهل بيت الشيخ .. رغم انتهاء فترة التعزية .. فإن هناك بعض الناس لا يزالون يترددون على بيت الشيخ , الذي أقعده مرضه في فراشه بشكل نهائي .. واليوم وصل الفقيه عبد الغفار من الحج بعد رحلة استمرت أربعة أشهر تقريباً . ويدخل الفقيه ويعانق الشيخ قائلاً : البقاء في حياتك يا شيخ .. لا حول ولا قوة الا بالله .. وقل لا يصيبكم الا ما كتب الله لكم . لقد ابتلى الله عز وجل عباده المخلصين ..

ويقول الشيخ بصوت ظهر عليه العياء :- لقد تأخرت طويلاً .. ومبروك عليك حج بيت الله . وحمد الله على سلامتكم .. أجلس نشم منك رائحة مدينة الرسول .. وخفت أن أموت قبل أن أراك .

فيقول الفقيه عبد الغفار:-اسكت يا رجل..اننا سنذهب معاً في العام القادم الى بيت الله الحرام .. ان شاء الله.

فيقول الشيخ :- كلا .. يا فقيه عبد الغفار .. أنا انتهيت .. وأريد أن اشهدك على نفسي بأنني كتبتُ لحوله بنت حميد بن عبد المجيد أربع هكتارات من ارضي قرب الجرف .. فاكتب لها ورقة .. حتى أمضيها أمامك ...

\*\*\*

### (المشهد 56)

وفي اليوم التالي يختلي الفقيه بالشيخ , فيقول هذا الأخير :- كلا , لقد حان الوقت , حتى يعرف المرء ماله عليه . آمنت بالله العظيم , فلا يكلف الله نفساً الا وسعها .. وبعد عشرين عاماً , أشعر بأنني عاجز عن تحمّل الأمانة الموضوعة في عنقي .. لقد عرفتُ أشياء كثيرة خلال هذه الأشهر الثلاثة ... ولست معترضاً على حكم الله عز وجل , فكلُّ يمضي في أجله ..

وصار الشيخ عبد السلام مجرد خاطبة يسعى بين هذه العائلة وهذه العائلة كي يعقد زواجاً , أو يوقع طلاقاً ... وأسأل الحاجة يا فقيه , تحول بيتي إلى خيمة لا يأتيها غير طالبي زواج أو طلاق .... وهذا كل ما يتذكره الناس عن الشيخ عبد السلام وكل ما يعرفونه به ..

ويرد الفقيه قائلاً :- اذا كان الله عزَّ وجل قد منع الإكراه حتى في الدين وهو الحق المطلق يا شيخ , فكيف تريد ، نحن البشر , أن نكره الناس على قبول اعمالنا والرضى عنها .. حتى وإن كانت هي الحق بعينه والعدل بعينه .. فالعدل وصفٌ لعمل الله سبحانه , على اطلاق معناه وهو مختص به ومتوقف عليه , فيكفي

الانسان المكلف بمهمة , يكفيه نية انجازها كما ينبغي والسعي من أجل انجازها كما ينبغي ... وأنت أيها الشيخ عملت فينا ما أمرك الله به , فلا تنتظر أن يجازيك كل الناس أجر ما عملت ..

فيقول الشيخ , وقد استغرقه ذهول واضح :- أنا لا أفكر بالأجر على ما عملت أيها الفقيه .. بل أفكر بما عملت .. فماذا عملت ؟.

\*\*\*

### ( المشهد 57 )

قرب بناية المدرسة الطينة , يسكن في بيت متواضع , الاستاذ خالد وأمه .. بعد عودته من المدينة دون أن يكمل دراسته الجامعية في قسم التاريخ . فبعد بناء مسجد جديد في وسط القرية , ارتأى الشيخ عبد السلام ومجموعة من الناس تحويل بناء المسجد القديم الواقع في أطراف القرية الى مدرسة , يتولاها الاستاذ خالد ويقوم بشؤونها المالية الفقيه عبد الغفار ... يتعلم فيها الصبيان القراءة والكتابة وبعض دروس الدين ... وتجمع من أصحاب الأراضي ومربي الأغنام وبعض المحسنين الأموال الضرورية لأعمال الدراسة واجور الاستاذ خالد نفسه .. ومنذ ست سنوات والاستاذ يهتم بتعليم الصبيان الذين لم يتجاوز عددهم حتى الآن أكثر من عشرين صبياً .. يزيدون أو ينقصون تبعاً للموسم .. الزراعي وحاجة الأهل لعمل أبنائهم

\*\*\*

وأهتم خالد أيضا بالمعالم الأثرية التي تزخر بها الحدود الجبلية الشمالية للقرية .. فمن وسط المقبرة تقريباً تظهر أحجار , تزداد كثافتها كلما اتجهنا نحو الشمال ... ويكبر حجمها حتى تشكل متعرجات صخرية متشابكة ومتداخله موحشة , قد يلجأ إلى ظلها بعض الرعيان .. ويميناً - جهة الشمال الشرقي - ينهض الجبلان الكبيران .. ويكاد أن يلتقي سفحا هذين الجبلين , غير أن مرتفعاً صخرياً يسد هذا المنخفض بشكل غريب , فيشكل بين الجبلين جبلاً ثالثاً مقطوع الرأس , بحيث يمكن للناس بقليل من المشقة السير عليه بين الجبلين ويُسمي الناس هذا المرتفع الغريب بـ ( جبل الرحمة ) ! , ومن الجهة الأخرى لجبل الرحمة , يقع منخفض هائل العمق . تغمره المياه , أما في فصل الإمطار وذوبان الثلوج فان جبل الرحمة يتحول إلى سد هائل يلوي عنق الفيضانات المائية ويجعلها تذهب بعيداً عن القرية لتصب في لبحر المالح .. وتنتشر الآثار بالقرب من السفح المائل للجبل الغربي ... ويرى أهالي القرية كثيراً من الأحجار ذات الأشكال المختلفة , كما يمكن لبعضهم أن يلاحظ وجود النقوش والخطوط الغريبة على بعض هذه الأحجار .. وبين هذه الكتل الصخرية .. تنهض غرفة مستطيلة الشكل ذات جدران بالغة السمك ... ويفتح بها شباك كان يطلان على جبل الرحمة , ويقابلها في الجدار الأخر باب واطئ , يضطر المرء للانحناء عندما يحاول الدخول إلى هذه الغرفة .. ويسمي أهل القرية هذا البناء بـ " بيت السدر " . ولعل شجرة السدر الميتة الضخمة والتي ارتفعت بجذعها الضخم ونشرت أغصانها على سماء بيت السدر هي سبب هذه التسمية .. لقد تهدم سقف بيت السدر ولم يبق منه الا بعض المعالم التي تدل على وجوده في القديم .. ومن يصعد جبل الرحمة يستطيع أن يرى في أقصى الشمال وجود حفرة

هائلة تختبئ وراء احد الجبلين العملاقين , ويتطلب الوصول إليها مشقة هائلة ... والغريب أن الناس أطلقوا عليها اسم ( جبل المعصية ) , رغم عدم وجود أية علاقة ظاهرية بينها وبين الجبل .. كما يستطيع أهل القرية أن يلاحظوا وجود شق أرضي قليل العمق ، يظهر فجأة من أسفل صخور جبل الرحمة ويختفي بعد مسيرة ليست طويلة نسبياً ... وهناك في شرق المنطقة الصخرية للمقبرة تتجمع أشجار سروا على ساحة ضيقة من الأرض مشكلة ما يشبه الخيام ! نصبها ناس مجهولون ثم غادروها فجأة .. وتطل هذه الكتلة الشجرية من السرو على منخفض شريطي, يظهر ويختفي فجأة .. أيضاً ... ومن هذه المنطقة التي يسميها الناس ( بالرحبة ) يمكن مشاهدة بيت منعزل ذي جدران طينية هو بيت " زهرة الشوافة " .. ففي هذا البيت تسكن المرأة ، التي يعرفها الجميع .. وتعرف الجميع ..

ويأخذ الاستاذ خالد في بعض المرات تلاميذه , ويذهب بهم إلى بيت السدر والمنطقة المحيطة به ... يجمعون صخوراً ، ويرتبون بعضها داخل بيت السدر نفسه حفظاً لها من الضياع .. وقد زاد اهتمام خالد بهذه العملية بعد أن تجمعت لديه أحجار يعتقد أنها جزء من لوحة حجرية رسم وكتب عليها ناس ما ... تاريخاً معيناً .. لشيء معين ... إضافة لمساندة الشيخ عبد السلام له ... مؤيداً أفكاره حول هذه اللوحة , وينقسم التلاميذ إلى فوجين , يذهب فوج مع خالد في مهمته , ويبقى الفوج الآخر مع الفقيه عبد الغفار يقرأون القرآن أو بعض الدروس الدينية إضافة للغة العربية ..

والآن , الاستاذ خالد مع تلاميذه الذين وقفوا يستمعون الى إرشاداته في طريقة العمل قائلاً : في المرة السابقة انهينا البحث في هذه المنطقة ... واليوم نقوم أيضاً بتحديد منطقة أخرى نبحت فيها ولا نخرج عن حدودها .. فمن هذه النقطة ( يشير إلى صخرة ملونه بصباغ أحمر ) الى تلك النقطة ( يشير إلى صخرة أخرى ملونه ) , ومن تلك الصخرة ... إلى تلك الصخرة .. ( ويشير إلى صخرتين ) فيتكون لدينا مساحة مربعة ... اذهب أنت يا محمد ( يشير إلى احد تلاميذه ) وضح لوناً احمر على تلك الصخرتين .. وتأكد إنهما مثبتتين في الأرض جيداً .. وإذها انتما لمساعدته ( ويشير لتلميذين آخرين ) .. لا يجب أن يكون بحثنا اليوم خارج مساحة هذا المربع .. نسميه المربع رقم 11 ... ( ويخرج قلماً ويكتب على دفتره بعض الملاحظات ) .. إننا نعرف الآن ماذا وجدنا في 10 مربعات سابقة وكل مربع أعطيناه رقماً .. وهكذا ..

وينطلق التلاميذ في عملية البحث .. وهم ينظرون خلسة للطريقة التي يعمل فيها أستاذهم . فهو يرفع قطعة حجر ... يرفعها بعناية .. ويقوم بتنظيفها بفرشاة ... وبعد ذلك ... يدقق النظر في كل جزء منها ..

فيقلد حركاته بعض التلاميذ ... منهم للضحك , ومنهم من يجد متعة خاصة في هذه العملية وقد تحدث مشادة بين تلميذ وآخر بسبب ان الأول يرى أهمية معينة للحجرة التي وجدها بينما لا يرى الآخر مثل هذه الأهمية ..

ويجيء بعض التلاميذ راكضين وهم يحملون أحجاراً عليها خطوط غامضة , أو هم يعتقدون كذلك ويسألون أستاذهم عنها .

ان تلاميذ الاستاذ خالد بعد سنة من بدء هذا الدرس في الهواء الطلق .. أصبحوا ينظرون الى ايه حجارة بطريقة خاصة ... فهي تحمل بصمات ناس كانوا يعيشون هنا منذ آلاف السنوات .. فالأستاذ غالباً ما يقول لأحدهم :- أنظر يا علي لهذين الخطين الملتنفين على بعضهما ... هل رأيتهما ؟. نعم .. كان هناك إنسان منذ الفين عام .. أو اكثر يمسك بهذه الحجارة نفسها ويحفر عليها بألةٍ معينة هذين الخطين .. فلماذا فعل ذلك يا علي ؟.. نحن الآن لا نعرف ... ونريد أن نعرف .. وتستغرق التلميذ حالة الذهول ، وهو يحاول أن يتخيل هذا الانسان وكيف كان يجلس باهتمام ليحفر هذين الخطين ... وبعد فترة من العمل ، يقول خالد لتلاميذه : يكفي هذا ... اليوم .. الشيخ مريض ويجب أن أزوره .. ويلتفت إليه احد التلاميذ قائلاً بعفوية :- هل يمكن أن نذهب معك الى الشيخ يا أستاذ ؟

ويجد خالد أنها فكرة ممتازة أن يأخذ تلاميذ المدرسة ويزورون الشيخ ... فيقول لتلميذه : نعم يا علي .. يجب أن نزور الشيخ .. كلنا ، وسيفرح بنا جميعاً .. ويسأل التلميذ علي بنفس العفوية :- كيف يا أستاذ الشيخ عبد السلام يريد الا يبقى شيخاً ؟

هل يوجد شيخ غيره هنا ؟  
ويقول خالد متفادياً سؤال تلميذه : عندما نكون معه ، يمكنك أن تسأله بنفسك ؟  
ويقول التلميذ :- واذا ذهب الشيخ .. هل نبقى كما نحن .. الا يمكن أن الشيخ الجديد لا تعجبه المدرسة فيغلقها ..؟ الا يمكن ان يفعل ذلك ؟.  
وكان سؤال التلميذ ، جعل الاستاذ خالد ينتبه لمسألة لم يفكر بها حتى الآن .. ولذلك بقي ينظر إلى تلميذه ، دون ان يقول شيئاً .

\*\*\*

### ( المشهد 58 )

وفي الغرفة يتكى الشيخ عبد السلام ، وعليه علامات ارتياح واضحة على هذه الزيارة غير المتوقعة والتي لم يسبق لها مثيل في تاريخ القرية .. وهو يتأمل عشرة صبيان صغار جلسوا باحترام بالغ ، صامتين .. جلسوا أمامه .. بينما جلس أستاذهم والفقير عبد الغفار ومعاونه وقاص على تكية محاذية له .. ويقول خالد ضاحكاً للشيخ :- هذا ما سألني علي .. ( مشيراً لتلميذه علي ، الذي حاول إخفاء الخجل والارتباك الواضحين ، اللذين اعترياه حينما كرر الاستاذ خالد سؤاله على الشيخ عبد السلام نفسه ) ويرد الشيخ بصوته المرهق قائلاً بابتسامه :- المشيخة يا علي مثل الثوب .. يمكن أن تلبسه مثلما يمكن أن تخلعه ، يمكن أن تأخذه ويمكن أن تعطيه .. وهذا الثوب يجب أن يبقى نظيفاً دائماً ولا يبلى .. وعادةً يجتمع الناس ويعطون هذا الثوب لرجل يعتقدون انه قادر على المحافظة عليه وصيانتته .. وعندما يرى الناس أن هذا الرجل أصبح لا يقدر إن يحافظ على الثوب ولا يصونه عن البلى فأنهم يأخذونه منه ويعطونه لرجل آخر .. أو عندما يرى الرجل بأنه أصبح لا يقدر إن يحافظ على الثوب .. فإنه يمكنه إن يعطيه لرجل آخر اقدر منه على هذه المهمة ..



فالمشيخة لا تشبه اسم الواحد مَنّا .. فأنت علي وهذا أسمك .. انك لن تستطيع أن تعطي اسمك لأحد ولا أحد يستطيع إن يأخذه منك .. وأنا , يا , علي , وجدت نفسي أصبحت عجوزاً .. والعجوز يا ولدي هو العاجز .. وليس بإمكانني أن أحافظ على الثوب الذي اعطاني الناس... فهل فهمت يا علي؟!  
ودون إن يرفع رأسه أو ينظر , يهزُّ علي رأسه , دلالة الإيجاب ..

\*\*\*

### ( المشهد 59 )

ويخرج التلاميذ , منتظمين في صفٍ , كأنهم في المدرسة نفسها .. ويستطيع خالد أن يرى أن حليلة , وقفت وراء باب احد الغرف , وهي تنظر إليه باهتمام !..

\*\*\*

### ( المشهد 60 )

يجلس خالد في غرفته . إمام طاولة كبيرة نسبياً ، وعليها مجموعة أحجار مختلفة الأحجام , أحجار ذات سمك ( 10 سم ) منجورة بين الوجهين بشكل بالغ الدقة .. أحجار جمعها الاستاذ مع تلاميذه .. ويعتقد أنها تشكل لوحة .. إن احد الوجهين المسطحين لكل حجارة بنقوش محفورة وخطوط .. وعلامات ... ونشر خالد على الطاولة أمامه ورقة بيضاء رسم عليها بالقلم الرصاص ... موضعاً معيناً لكل قطعة من الحجر , يعتقد انه يمثل الموقع الحقيقي للقطعة ، انه يريد بذلك أن يرسم لوحة بالقلم الرصاص مقارنة للوحة الحجرية ... اضافة إلى أنه يقوم باكمال بعض الفراغات التي لم يجد حجارتها حتى الآن , عن طريق وضع خطوط مقترحة .. حتى تكتمل ولو جزئياً معالم هذه اللوحة الحجرية ...

ويجلس الآن الاستاذ خالد , إمام لوحته ... ولكن أفكاراً أخذته بعيداً عن لوحته .. وتنتهي أمه صلاة العشاء , ثم تجمع سجادتها .. فيقول لها :- يبدو يا أمي أن قضية أنيسة يمكن إن تصل إلى المدرسة؟! فالله يعلم , ماذا يحدث .. والشيخ عبد السلام مصرّ على تخليه عن المشيخة .. وعندها .. هل تبقى المدرسة؟! فهي بوجوده نفسه ورغم تمسكه بها ورعايته لها أشبه بريشة , لا ندري متى تأتيها نفخة ريح وتطير .. فكيف اذا ذهب وجاء غيره ..

فتقول أمه :- لقد دمّرت هذه الملعونة كل شيء ... لقد أخذت بشرها كل ما هو خير في هذه البلاد .. لقد تسببت في موت رجلين , وها نحن لا ندري ماذا سيحصل لنا .. اللهم ارحمنا ... واغفر لنا .. اصبر يا ولدي , فلن نموت جوعاً اذا أغلقوا المدرسة .. أمرنا الله والواحد القهار .

ويقول خالد : لا يا أمي . ما حصل كان سيحصل بأنيسة أو بغيرها .. وإذا أردت الحق يا أمي فأنيسة ليس لها ذنب فيما حصل .. أنها مثل سمكة في بركة ودار حولها عشرات الصيادين .. فماذا تفعل ؟!

وتقول أمه : أنت المتعلم وتقول هذا الكلام .. فماذا أقول أنا الجاهلة .. السمكة اذا لم ترد أن يصيدها أحد , تبقى في البحر .. ولا تأتي الى بركة ... لا يا ولدي .. إنه الدم الفاسد , وليغفر لي ربي , كيف تكون البنات وأمها راعية غنم وبدون أب .. نعم يا

ولدي .. أنا ما رأيت شيئاً من أفعالها التي يقول عنها الناس , ولكن الله يا ولدي ,  
يراه الناس بعقولهم !

وفجأة يقول خالد متسائلاً بكل عفوية :- هل كانت أمها في شبابها جميلة أيضاً , يا  
أمي ؟! فتتظر إليه أمه باستغراب ... ولم تقل شيئاً !  
\*\*\*

### ( المشهد 61 )

أنيسة تسكب الماء في برميل كبير , ويجلس عبد المجيد في ركن على بطانية  
فرشتها له زوجته , وكأنه ينتظر وصول احدهم ... بينما انشغلت زوجته في بعض  
الإعمال المنزلية .. وأنيسة تسكب الماء في البرميل الذي أعد لهذه الغاية ثم تأخذ  
القربتين وتخرج , ومن الواضح أنها تجلب الماء من البئر القريب من البيت , ويأخذ  
منه الأهالي الماء الذي يحتاجونه ... وبمجرد خروج أنيسة , تسرع ام حميد إلى  
زوجها لتقول : هل تظن بأنها ستبقى معنا , بعدما كتب الشيخ لابنتها الأرض ... أن  
كراء الأرض وحده يمكنه أن يكفيها ويزيد ؟ أنا لا أظن أنها ستبقى هنا .. فماذا  
تفعل معها ؟!

فيجيب الرجل الأعمى : هذا شأنها , وهي عندما تفعل ذلك فلن يلومها أحد ..  
وتقول المرأة بأسى :- ولكن , وهي معنا , على الأقل , نجد ما نأكل ونشرب .  
ويقول عبد المجيد :- وماذا نستطيع إن نفعل , هل نجبرها إن تبقى معنا ؟  
فتقول المرأة : أقصد , أنك لو ذهبت الى الشيخ , وعرضت عليه الحال ...  
ويعلو صوت خوله بالبكاء , آتية من غرفة أنيسة , فيقول عبد المجيد لزوجته :  
اتركي الشيخ في همه !. الطفلة تبكي فاذهبي إليها .

وتطبع ام حميد فتذهب مسرعة إلى حيث ترقد الطفلة , وفي هذه اللحظة تدخل أنيسة  
وهي تحمل القربتين المملوءتين بالماء .. وتسمع ابنتها تبكي فتضع القربتين قرب  
برميل الماء وتسرع إلى الغرفة قائلة :- اتركيها لي يا أمي .. لقد جاعت وسأرضعها  
..

وتخرج ام حميد من الغرفة . تأخذ القربتين وتسكب الماء في البرميل وهي تقول :  
إذا كنت تنوي الذهاب إلى بيت الشيخ , فإذهب , فلا أظن أن صبر سيأتي وقد فات  
العصر منذ ساعة .. ربما يكون سبقك إلى بيت الشيخ !  
\*\*\*

### ( المشهد 62 )

الفلاحون يحصدون واصفرت شمس النهار , وصبر الشعار جالس وامامه يقف أحد  
الفلاحين ( لفته ) وبيده آلة الحصاد ( المنجل مثلاً ) وكأنه توقف لتوه من عملية  
الحصد , وجاء يتحدث لصير

ويقول لفته :- إذا استطعت إن اختلي بالشيخ , فسأفعل ما تريد .. أنا عندي عيال .. أما  
أنت فليس لك ما تعيله غير لسانك .

ويذهب مسرعاً , ليلتحق بزملائه ويبدأ عملية الحصد من جديد بينما يبقى صبر  
ينظر إليه باستغراب . يخرج صبر من جيبه خيطاً طويلاً من القنب ويعقد عليه

عقده .. إلى جانب عقد كثيرة أخرى . حتى أصبح الخيط أشبه بقلادة , وهو يقول :  
وهذه لفته !! مشيراً للعقدة التي عقدها على الخيط !!  
\*\*\*

### ( المشهد 63 )

فلاح آخر يترك صبر جالساً ويسير مسرعاً ليلتحق بجماعته في عملية الحصاد .  
فبعد صبر عقدةً أخرى على الخيط وهو يقول مشيراً للعقدة :- و هذه حمد !!  
\*\*\*

### ( المشهد 64 )

عبد المعطي , في بيته يقول لأخيه عيسى , بحضور عدنان : كلا انه دمارنا , فمن  
يضمن لنا أن الرجل الذي يأخذ المشيخة سيعرف بأوراق الملكية التي أعطاها عمي  
للفلاحين ... وعندئذ ماذا يحصل ؟ ذهبنا بأنفسنا وأعطينا الفلاحين فلوسنا , وأخذنا  
منهم أوراقاً ليس لها أية قيمة !.

هذا اذا لم أقل عن النسب والحسب الذي سنفقده بعد ذهاب المشيخة من العائلة .. كلا  
يا عيسى إن تنازل عمي ليس امراً خاصاً به .. إننا يجب إن نمنعه , إن الناس ولّوه  
على أمورهم , فليس من حقه وحده أن يتخلى عن هذه الأمورية .. يجب أن يفهم  
كل جماعتنا ذلك ونذهب إليه ..

فيقول عيسى :- ولكن اذا سمع عمي اننا نتدخل في هذه القضية , فانه سيزداد عناداً  
على موقفه .. فأنت تعرف كم يحبك عمي !؟

ويقول عدنان :- نعم يا أخي .. وإذا كنت تخاف على ضياع ما أعطيناها للفلاحين من  
فلوس .. فأنتي أضع انف إي منهم على التراب حتى يسدد آخر فلس لنا .. وإذا  
رفض فليرحمه الله ..

عبد المعطي يقول مصراً :- اسكت يا عدنان , فأنت لا تفهم في هذه الأمور . فماذا  
نستفيد من الفلاح الذي تريد أن ترسله إلى رحمة ربه ؟ لا شيء .. ويمكن أن يشك  
الناس فلا نحن من فلوسنا ولا نحن من سمعتنا . إن الإنسان لا يضطر لمثل هذه  
الحماقة إلا في الأوقات الصعبة . وما دام عمي في المشيخة فان الأمل لا يزال  
موجوداً .. وربما يفيدنا الفقيه عبد الغفار !؟  
\*\*\*

### ( المشهد 65 )

بعد صلاة المغرب , وخروج المصلين , يبقى وقاص جالساً , فيقوم الفقيه عبد  
الغفار ويجلس إلى جواره قائلاً :- نعم , لقد تعب الرجل , وهذا هو الحق ...  
عشرون عاماً ليست امراً هيناً على رجل يحمل قلباً رؤوفا كقلب الشيخ .. فماذا  
تقول , اراك لم تتكلم حتى الآن ؟

ويرد وقاص مؤكداً قول الفقيه :- نعم , لافعدنا تُحب اولادك اكثر مما يجب فهم لا  
يخافون منك , وعندئذ يخرجون عن طوعك ...

ويرد الفقيه :- يعز علي أن ارى الشيخ في مثل هذه الحالة .. ولكن ما باليد حيله يا  
وقاص ...

فيقول وقاص : رجوته أكثر من مرة .. رجوته أن يفتيني فأتكفل أنا بالناس , فلم يقبل .. ولم يكن بيدي غير هذا .. فماذا تريدني أن أقول؟! وما فائدة الكلام؟  
\*\*\*

### ( المشهد 66 )

في سوق يوم الخميس , يمر المنادي , ضارباً على طبله , ويقول باعلى صوته :  
غداً الجمعة , بعد صلاة العصر , يُبلغكم الشيخ عبد السلام لحضور المجلس ..  
فليبلغ حاضرکم غائبکم .. غداً الجمعة , بعد صلاة العصر ..  
\*\*\*

### ( المشهد 67 )

وينتهي أذان العصر .. وأم حميد تراقب حركة أنيسة غير الاعتيادية .. فتقول لها :  
أذهبي يا ابنتي .. فانا أتكفل بالطفلة ..  
وتجلس أنيسة قائلة : أذهب .. وماذا أفعل؟! فقد لا يريد أن يراني كثير من الناس  
... فتذهب وتأخذ ابنتها من حضن ام حميد ...  
\*\*\*

### ( المشهد 68 )

الناس تحتشد امام باب المجلس ..  
\*\*\*

### ( المشهد 69 )

تنهض أنيسة ، وتعطي ابنتها لأم حميد وهي تقول : سأذهب .  
\*\*\*

### ( المشهد 70 )

الصمت يخيم على المحتشدين خارج المجلس .. ويسري على الجالسين في الداخل ,  
حيث يجلس عبد السلام والفقير عبد الغفار وقاص .. ووجوه كثيرة .. الاستاذ خالد ,  
والاخوة الثلاثة أبناء أخ الشيخ , فلاحون سبق وتعرفنا عليهم .. بعض معاوني  
الشيخ وفي مقدمتهم عبود .. ويجلس في آخر صف , وقرب الباب الخارجي ,  
كعادته صبر الشعار والى جانبه عبد المجيد الأعمى ..  
ويقول صبر الشعار هامساً لعبد المجيد :- كان يجب أن نجلس في المقدمة , فأنت لا  
ترى وأنا لا اسمع !!

ويجر عبد المجيد صبر من ثيابه بمعنى اسكت .. ويقول الشيخ عبد السلام  
للحاضرين مستمراً في كلامه :- ورحم الله عبداً عرف مقدار نفسه ..  
ويسود الصمت , فيقول عبد المعطي بصوت مرتفع :- ولكن يا عمي إذا أردنا  
تطبيق الشرع فيجب مشورة الناس .. والمشیخة مأمورية يجتمع عليها الناس .. وإذا  
كنا جميعاً نرى فيك ونؤكد لك بانك القادر عليها الآن وفي المستقبل , فانك فيها يا  
عمي برضي الله ورسوله وعباده ..  
ويلتفت الشيخ إلى عبد المعطي : نعم يا ابن أخي .. ولكن من هم الناس الذين تتكلم  
باسمهم؟

ويفاجئ السؤال عبد المعطي الذي لم يجد ما يفعله غير أن يشير بيده الى جهة من المجلس كيفما اتفق !!

ويكرر الشيخ سؤاله :- مَنْ .. يا ابن أخي ؟ ( ويشير الى الفلاح عبد الواحد الجالس في الصف ) أظنك تعني أن عبد الواحد واحداً منهم ..

( يرتبك عبد الواحد , وهو يسمع اسمه يرد على لسان الشيخ , ويكمل الشيخ كلامه الذي أثار عبد المعطي وأخويه بشكل واضح ) قَمَّ يا عبد الواحد واشكر ابن أخي فها هو يحسن إليك مرةً أخرى لوجه الله , فلم يعد لديك ورقة تملك أخرى تعطيها لها كأمانه ..

ويلتفت الشيخ إلى الحاضرين , تاركاً عبد الواحد في ارتبائه , وعبد المعطي في غيظه وهو ينظر خلسة وبغضب إلى حيث يجلس عبد الواحد ... ويكمل الشيخ قوله :- اذا كنتم تحترمون كلمتي ورغبتني فا جعلوني للمرة الأخيرة ... أثق بما تقولون .. انني اخترت من بينكم رجلاً تعرفونه ويعرفكم .. ورأيت فيه ما كنت لا أقدر عليه فيكم .. فهو وصيتي لكم .. فان شئتم , بارك الله لكم فيه , وأن رأيتم عكس ما أرى .. فلکم ما تختارونه بأنفسكم .. ويخيم الصمت ... صمت متسائل .. صمت يريد أن يعرف مَنْ هو هذا الرجل الذي يتحدث عنه الشيخ عبد السلام , وجوه نظرت إلى الفقيه عبد الغفار , ووجوه أخرى نظرت إلى الاستاذ خالد .. ويستمر الصمت لحظات .

\*\*\*

### ( المشهد 71 )

في بيت الشيخ , تجلس زوجته باكية والى جانبها ام حليلة تمسك بها , أما حليلة فقد وقفت قرب باب البيت وكأنها تنتظر أن يمر شخص ويقول لها ماذا يحصل في المجلس ...

\*\*\*

### ( المشهد 72 )

من الخارج , تتزاحم أنيسة بين المحتشدين , وتحاول الاقتراب جهد إمكانها من باب المجلس وصوت وقاص يأتي غير واضح العبارة تماماً وهو يقول :- لا أحد يستطيع أن يفعل ما فعلت يا شيخنا , ومنذ وعينا فأنت الشيخ هنا .. وأكون خادمك لو أمرتني .. وأفتيتني وستجدي رهن إشارتك وطوعك ' فاسمك بيننا يجعل الأمور كلها بخير

...

وتستطيع أنيسة أن تسمع بوضوح عبارة وقاص الأخيرة .. وترى الشيخ عبد السلام يرد عليه قائلاً :- كلا يا وقاص .. إن اسمي هو الذي قتل حميد وأبني .. واسمي هو الذي رهن أرض عبد الواحد عند ابن أخي عبد المعطي .. وأنا أعرف أنك قادر على أن تفعل .. بل وأحسن مما أريد أنا .. فاسمع يا وقاص .. انني أنا الشيخ عبد السلام , اخترت بكل قلبي وضميري أن تكون أنت مَنْ يحل محلي .. وأنتي أمرك امام هؤلاء الناس جميعاً أن تطيع أمري .....

وكان اسم وقاص تحوّل إلى هواء ثقيل جثم على صدور كل الحاضرين في المجلس , وسرت همهمة غير منظوقة من داخل المجلس إلى خارجه ... ونظرت بعض

النسوة بشزرٍ الى أنيسة . فأحنت رأسها للأرض ... وتحركت إلى الوراء .. منسحبة إلى خارج المحتشدين ... حتى وقفت في آخرهم .. لا تدري ماذا تفعل .. ويقول الشيخ عبد السلام : هذا هو شيخكم .. فان رأيتم عكس ما رأيتم .. فاختراروا من تشاؤون ولكم الأمر ..

ويتطلع الشيخ في وجوه الحاضرين .. واحداً وحداً .. ومن بينهم صبر الشعار .. الذي بقي ينظر إلى وقاص , الى وجهة ... الى يديه ... الى السوط الذي لفته وجعله تحت فخذة ...

ولما لا يجد الشيخ من يعترض على قراره .. يلتفت إلى الفقيه عبد الغفار قائلاً : وأنت , يا فقيه , الا تقول شيئاً ؟

فيرد الفقيه بصوت متحشرج :- لقد وليناك على أنفسنا , فإنه من الخير لنا أن نرى ما تراه صالحاً لنا .. وندعو الله إن يعينه على فعل الخير فينا ,, انه سميع مجيب ..

فيمد الشيخ عبد السلام يده الى وقاص ويأخذ يده اليمنى ويضعها بين يديه قائلاً : لقد وليناك على أنفسنا , فأنت الآن شيخنا , لك علينا طاعتك ' ولنا عليك العدل بيننا ... اللهم اشهد علينا وعليه ...

ويقرأ الشيخ , فيتبعه الجميع رافعين أيديهم بالدعاء الآية " واطيعوا أولي الأمر منكم ... الخ " ويمسحون على وجوههم .. ويلتفت الشيخ إلى وقاص ' ويقول له :- بقيت لي عندك حاجة يا شيخ فيرتبك وقاص قائلاً :- قل يا شيخنا .

فيقول الشيخ عبد السلام بصوت واطئ : خوله , انها من دمي فاحفظ عرضي في أمها .. فيرد وقاص , وكأنه استعد منذ أيام لمثل هذا الطلب ويقول بصوت ثابت : نعم يا شيخنا . وليس لأنيسة من والٍ غيرك , ولذا فاني على سنة الله ورسوله : أخطبها منك لنفسي .. فماذا تقول يا شيخ ؟

ورغم الرد السريع والمفاجئ لوقاص فان الشيخ عبد السلام يقول :- وأنا قبلت , هات يدك ولنقرأ سورة الفاتحة ... !!

فيمد وقاص يده .. يده اليمنى إلى الشيخ .

\*\*\*

## الفصل الثاني

### ( المشهد 73 )

ويمد وقاص ... يده .. يده اليسرى فيمسك بسرج حصانه , ثم يطلع على ظهر الحصان . وينظر إلى أسفل، حيث يمسك عبود لجام الحصان له .. ويعدل من هيأته ناظراً مثل قائد منتصر إلى أمام .. الى البلاد الواسعة التي تم افتتاحها ... ويركض عبود الى حصانه , ويركب , وينطلق الرجالن ... لقد استبدل عبود بغلته بحصان اسود .. يتبع الشيخ وقاص . حيثما سار .. أنهم ثلاثة .. وقاص وعبود وسوط معلق في جانبٍ من السرج ...

\*\*\*

### ( المشهد 74 )

بيت ام حميد

خوله تعلمت المشي ... لقد كبرت .. خوله تمسك بحزام قديم اسود وتضرب به عبد المجيد الذي جلس يضحك على اللعبة المفاجئة التي اكتشفتها خوله معه :- حسناً يا خوله .. تضربين جدك الأعمى ؟

وتركض أنيسة لتأخذ الحزام من يد أبنيتها خوله :- في أية مزبلة وجدته ؟. أرمه عن يدك . ذهبت أنيسة إلى بيت زوجها الشيخ وقاص .. واستقرت فيه شهراً , ولكنه خيرها أن تسكن وحدها في بيت مستقل أو إن تعود للسكن مع ام واب حميد , فاختارت الحل الأخير , وهكذا عمل وقاص بعض التحسينات على البيت .. وضع حاجزاً في وسط البيت , فصارت أنيسة تسكن في غرفة وأمامها مفسح من البيت وصارت ام حميد وأبو حميد يسكنان في الغرفة الأخرى .. وبين الجهتين انفتح باب هذا الجدار الواطئ ... وتم تسوية الواجهة بالطين .. وصبغ باب غرفة أنيسة .."

\*\*\*

### ( المشهد 75 )

المساء في بيت الشيخ عبد السلام . لقد فرشت له زوجته حصيراً وجلس في باحة الدار , الهدوء يعمُّ البيت الكبير . ويأتيه صوت زوجته من المطبخ :- ألا تذهب تصلي في المسجد ؟

ويبقى الشيخ صامتاً ولكن حزيناً , وتأتي زوجته فتراه لم يتحرك , وتقول : أنت اليوم بخير فلماذا لا تذهب وتصلي في المسجد ؟ هذه هي الجمعة الثانية ... و أنت تصلي في الدار . وتجلس قربه .. وتتنظر حوالها :- صرت أشعر بالوحشة من هذا البيت .. منذ ذهبت حليلة إلى دار زوجها وأخذت أمها معها .. ويتحرك الشيخ قائلاً :- سأطلب من أختي عفيفة ( أم حليلة ) أن تأتي معنا .. ربما وجودها مع ام عدنان , يخلق بينهما المشاكل ..

وتقول الزوجة :- ستأتي بمجرد إن تمر هذه الأيام بخير .. ( وبتردد ) وأم عدنان تريد أن ترى ولد أبنها .. وحتى الآن لم يحصل شيء .. ويرد الشيخ : كل شيء بيد الله .. وماذا تفعل عفيفة لابنتها ؟ الزوجة : المهم , اسمها مع حليلة و أنت تعرف ام عدنان , فهذه حجة . خاصة وأنها منذ البداية كانت تريد ابنة أختها ( سعدية ) لابنها عدنان .. ويتناوب الشيخ معلناً لامبالاته بهذا الموضوع , ويقول :- نعم , صار هذا البيت اكبر مما نحتاج ..

ينهض لبيت الماء للوضوء .. وتبقى زوجته جالسة وهي تحيل نظرها في إرجاء هذا البيت الواسع ... وترى الشيخ .. ترى خطواته التي أصبحت ثقيلة .. وظهره الذي انحنى , ويديه المرتعشة وهي تلف ردن - أكمام - جلابيته استعداداً للوضوء .. وفجأة يتوقف الشيخ و يلتفت إليها كأنه أحس بنظراتها إليه , ويقول : سمعت بأن الشيخ وقاص يفكر بالانتقال إلى مكان قريب من المجلس .. وهذه مناسبة لنا يا حجة .

لم تفهم قصده , فتنهض قائلة ك- جازاه الله خيراً ( ! ) عندما فكر يجاورنا .. ويعلو صوت أذان المغرب .. فيتحرك الشيخ إلى بيت الماء , وكان يريد أن يوضح لزوجته فكرته ..

\*\*\*

### ( المشهد 76 )

في المسجد , بعد صلاة المغرب , الفقيه عبد الغفار , ووقاص ... وعبد المعطي .. ومصلون آخرون يغادرون المسجد , ويقترب عبد المعطي من الشيخ وقاص قائلاً :- فكرت يا شيخ , بدار عمي , وأظن انه ليس لعمي وزوجته ما يفعلان في هذه الدار الكبيرة ... فلماذا لا تنتقل إليها ؟. فهي لا تحتاج إلا لإصلاحات بسيطة ! ويلتفت وقاص إلى عبد المعطي وقد أعجبتته فكرته :- لو وافق عمك أن يبيعها لي , فأنها مناسبة فعلاً .

ويقول عبد المعطي , وقد أفرحته كلمة وقاص قائلاً :- نعم , عمي , أحيانا , و أنت تعرفه , يعجبه العناد , ولكني مع ذلك استطيع أن أقنعه . فهذه الدار لم تعد تصلح له ..

ويسأل وقاص :- هل تكلمت معه في هذا الموضوع ؟ ويرد عبد المعطي مرتبكاً :- كنت انوي الذهاب إليه اليوم .. ولكن صلاة المغرب ادركتني فقلت مع نفسي اذهب إليه غداً ..

ويرد وقاص : بل اترك الأمر لي , فانا أيضا لم أره منذ أسبوعين .. وقد انقطع عن المجيء الى المسجد .. أردت أن اعرف سر هؤلاء الناس الذين يتزاحمون على بابه ليل نهار !

ويشعر عبد المعطي بان وقاص لم يترك له فرصة مناسبة , يثبت فيها ولاءه له فيقول :- المهم , يا شيخ , اذا كان عندك الوقت , وإلا فأنتي اذهب إليه متى تشاء .

\*\*\*

### ( المشهد 77 )

في بيت الشيخ , وقد انهي صلاة المغرب , ولكنه بقي جالسا على سجاده .. ويقول لزوجته :- أنها أفضل لنا يا حاجة ,, فماذا نعمل في كل هذه الدار .. وترد عيه زوجته معترضة :- كلا , هذه داري , ولن نبيعها لأحد .. ولن انتقل حتى إلى الجنة .. أتريدي أن اترك داري واسكن قرب المقبرة ؟ هذا جنون .

ويقول لها مهدئاً :- كلا , نسكن قرب المدرسة , نقوم بإصلاح بسيط , وتكون الدار جاهزة . أنت لم تريها منذ زمان , فهي مازال صالحة , رغم أنها مهجورة .. وها نحن إلى جوار المدرسة وجوار الاستاذ خالد , وبصراحة فقد مللتُ ويجرجني هؤلاء الناس الذين يأتون إليّ بالعشرات بين يوم وآخر ..

فتقول زوجته :- وماذا بها ؟ أتريد أن ينسى الناس بهذه السرعة الشيخ عبد السلام ؟ وإذا أردت الحق , فان سؤالهم عنا , ومجيئهم ألينا , يسعدني ويخفف عني بعض همي ..

ويرد الشيخ :- أنا أيضاً ... أنا لا أقول بأنني لا أريد إن يزورني الناس .. ولكنهم يجرجوني بمشاكلهم .. فانا الآن لا أملك إلا أمر نفسي ... والشيخ هو وقاص ولست أنا .

وترد معترضة :- ولكنك تبقى أنت الشيخ عبد السلام , بوقاص او عشرين مثله ..



فيرد عليها :- اسكتي يا امرأة .. ان ما تقولينه لا يُرضي الله و لا رسوله .. فنحن ولينا على أنفسنا . وأشهدنا الله على ذلك .. و انا لا أريد ان اسمع منك هذا الكلام مرة أخرى .. ( ويعلو طرقاً على الباب ) .  
\*\*\*

### ( المشهد 78 )

بيت عبد الواحد الفلاح .. غرفة كبيرة وإمامها ساحة محاطة بسور قصبي .. عريش يحمي بقرة وبغل .. برميل لخزان الماء في ركن من الساحة , وفي الركن تنور للخبز .

زوجة عبد الواحد , وهي تخبز , بينما يعطي عبد الواحد العلف للبقرة , فتقول : سأذهب إليه مرة أخرى ؟  
ويقول عبد الواحد :- أنت مجنونة ..

وتقول له بغضب :- و أنت جالس , لا تعمل شيئاً , والأرض تضيع .  
ويقول عبد الواحد : ماذا أفعل ؟ هل أستطيع أن اخذ منه ورقة التملك بالقوة .. المهم عرف كيف يأخذ منا الأرض .. وأمرنا الله ... لم يسمعنا سابقاً , اما وقد حفر البئر وأصبحت الأرض مسقية .. ويأتي قرب زوجته , ويأخذ قطعة خبز , فتقول زوجته :- لقد قلت لك منذ البداية , إن عبد المعطي ينظر لشيء بعيد عندما جاء ألينا بنفسه وإعطانا فلوساً .. ولما حان الحين جاء ألينا وبدلاً من إن يطالبنا بديونه إعطانا فلوساً أخرى .. وأخذ منك ورقة التملك .. قلت لك بان عبد المعطي ليس كريماً ولا رحيماً .. وبدلاً من أن تشكيه للشيخ عبد السلام , ذهبت تقبل يديه .. فماذا فعل .. جرك هذا الثور أخوه عدنان ورمالك على عتبة الباب ..

ويقول عبد الواحد :- لقد أخطأت .. لقد خجلت أن اذهب للشيخ .. فماذا أقول له , وأنا رهنت أرضي بينما لا يحق لي أن افعل ذلك .. والآن .. فليعوضنا الله خيراً .. وترد زوجته :- ولماذا لا نحاول , فعسى أن يسمعنا الشيخ وقاص ؟  
فيقول عبد الواحد :- قلت لك .. انتهى الأمر ... ولا فائدة ...  
وتقول الزوجة :- أنت هكذا دائماً .. قلت لك نذهب إليه ونعوض عليه حالنا .. فقلعه يفعل لنا شيئاً ..

ويرد عبد الواحد :- لقد ذهبت .. ذهبت إليه .. ورجوته , و لكن أتدريين ماذا قال ؟ لقد طردني وشتمني وقال لي : تذهبون وتأخذون فلوس الناس .. وتتصرفون بها , والآن تريدني أن أعيد لك الأرض , أين هي فلوس الرجل ؟ أعطها له وعندئذ تعال إلي .

وتقول الزوجة :- نبيع البقرة والبغل , وكل شيء ..  
فيرد عبد الواحد :- حتى لو بعنا أنفسنا يا امرأة .. انه سيطلبنا أيضا بنفقات حفر البئر .. قلت لك لا فائدة ..

وتقول الزوجة :- سأذهب , نعم سأذهب للشيخ عبد السلام .. فسيفهم حالنا .. وسترى انه لن يخذلنا .. لا بد أن يفعل شيئاً ..  
فيقول عبد الواحد :- أنت تهذين .. ماذا يستطيع إن يفعل لنا الشيخ عبد السلام أو غيره ؟

\*\*\*

### ( المشهد 78 )

في بيت حليلة , صباحاً . لا احد في البيت , لقد ذهبت ام عدنان إلى بيت ولدها عبد المعطي ... وبقيت حليلة مع أمها .. فتقول ام حليلة لا بنتها من داخل الغرفة : لم تجد ام عبد المعطي إلا هذا اليوم لتذهب عند ولدها ! كنت أريد إن اذهب لبيت خالك .. أنهم يستعدون للرحيل .. واعرف الحاجة ما هي حالتها الآن . فتقول حليلة وهي تدخل إلى الغرفة لتجد أمها تقوم بترتيب الأغطية : اذهب معك يا أمي .. لقد مرّ شهر لم أر خالي الشيخ . وترد عليها أمها ناصحة :- كلا , يا حليلة . في بيت خالك إشغال كثيرة , و أنت بحاجة إلى راحة .. فلا ندري قد يفرجها الله هذا الشهر .. إن قلبي يحدثني بأنه سيكون هناك شيء

وترد حليلة بخجل : كلا يا أمي .. لقد جاءت !! ظهر الدم . وتشهق ام حليلة لهذا الخبر غير السار قائلة :- متى ؟ وترد حليلة : البارحة في الليل ..

\*\*\*

### ( المشهد 80 )

في بيت عبد المعطي , صباحاً , ام عبد المعطي تجلس مع خديجة ( زوجة صالح التي جاءت للسكن مع أخيها بعد وفاة زوجها ) وزوجة عبد المعطي ( أمينه ) : تقول خديجة لامها :- لقد دللها الشيخ .. وهذه هي النتيجة . ونقول لإلام مؤكدة :- أمها هي التي تعمل كل شيء لها .. أنها لا تعرف حتى كيف تقلي بيضة .. وفوق كل ذلك . وفوق كل هذا المهم , فهي عاقر .. نحن الآن ندخل في الشهر العاشر دون إن تعمل شيئاً ..

وتقول أمينة زوجة عبد المعطي :- وماذا بيدها أن تفعل ؟ كل شيء بأمر الله .. فتزد الأم بغضب :- وولدي ؟ هل يبقى طيلة حياته بدون أطفال ؟ هذا لا يمكن , ويجب أن يفكر بحل .. وأنا منذ البداية لم أكن راضية عن الزواج .. أنها لا تصلح لعدنان فهي في واد وهو في واد آخر .. أنا اعرفه .. انه يتألم ولكنه لا يقول .. فهذا ما أراد له عمه الشيخ .. ولكني لن اسكت , وسأقولها للشيخ عبد السلام بنفسني .

\*\*\*

### ( المشهد 81 )

في بيت ام حميد . خوله تلعب في باحة الدار , وأنيسة تجلس مع أم حميد التي تسأل :- الم يحدث شيء .. نحن ندخل في الشهر العاشر يا أنيسة ؟

وترد انيسة متسائلة :- وماذا يمكن أن يحدث يا أمي ؟

وتقول ام حميد :- اسمعي يا أنيسة .. إنا أفكر بمصلحتك .. يجب إن يكون لك منه طفل .. فانا أرى هذا الرجل ولا يعجبني .. أنت و خوله تملأين علينا الدار .. وليس لنا غيرك , ولكن , أمنت بالله , وعليّ إن أقول الحق .. ولقد فعلت لنا مالا يفعله الابن .. وهذا يجعلني أقول لك يا ابنتي انه يجب أن تفكري جيداً .... لأنني غير مطمئنة لهذا الرجل .. فأين هي دارك ؟ ها هو الآن يخلي داره القديمة .. فماذا فعل

لك ؟ من يصدق أن شيخاً مثله , يترك زوجته في مثل هذه الحالة ... ومنذ اليوم الذي وافقك أن تبقي معنا هنا في هذا البيت , قلت لعبد المجيد , إن الشيخ وقاص يفكر بأمر اسود , فكيف يرضى وهو الشيخ أن تسكن زوجته مع ناس زوجها السابق .. ويأتي هو ليلاً ويخرج مثل اللص .. كلما تذكرها ؟. هذا لا يرضاه رجل يحترم زوجته .. ويحترم نفسه .. أنا لا اصدق بأنه فعل ذلك رحمة بنا انا وهذا الأعمى .. ان في ذهنه امراً سيئاً .. اذن يا ابنتي امسكيه ... ولن تستطيعي إلا اذا كان لك منه طفل .. اسمعي كلامي يا أنيسة ..

وترد أنيسة باستسلام : سيقول لي مع السلامة , إن كان منه طفل او لم يكن لقد عرفت هذا منذ أول ان دخل عليّ فيه .

وتقول ام حميد :- إذن ' لماذا صار شهماً , كما يدعي , وتزوجك ؟.

وترد أنيسة :- لا ادري ماذا أقول لك يا أمي .. تزوجني والسلام .. وفعل ذلك امام الناس , حتى يجعلني لا استطيع أن ارفضه وقد خطبني امام المجلس .. انه كان سيقلني إن رفضت , وهو الشيخ ..

وتقول ام حميد بإصرار :- أنت مخطئة , وطيبة القلب .. فافعلي ما أقوله لك .. وترد انيسة :- صديقيني .. يا أمي .. انا أتمنى .. أتمنى من كل قلبي أن يفعلها ويطلقني ..

وترد ام حميد :- لا تقولي هذا الكلام يا أنيسة .. إن اسمك زوجة الشيخ وقاص يحميننا من الناس يا ابنتي .. إننا في الأسفل .. في الواطئ يا ابنتي .. في الواطئ من الوادي .. فاتركي وقاص مثل السد لنا .. فإن ذهب منك أغرقنا الماء .. سنكون أول من يغرقنا الماء .. فكري يا أنيسة .. وان لم تستطيعي أن تفعلي شيئاً .. فانا .. سأفعلها بنفسي وأقولها للشيخ عبد السلام .. عسى أن يفعل معه شيئاً ..

\*\*\*

### ( المشهد 82 )

يتزلج الشيخ وقاص من حصانه , ويتبعه معاوناه ؟ عيود وسعدون , جبل الرحمة وينظر إلى الماء الذي يتجمع غزيراً من الشلالات التي تصب ماءها , ويلتوي ليذهب ويصب في البحر .. ويتأمل الشيخ وقاص عمق هذا الماء .. ثم يمسك بحجارة صغيرة ويقذف بها إلى الماء الذي يبتلعها فتهبط إلى ذلك العمق الهائل ... ويمكن .. يمكن للشيخ وقاص أن يرى أسماكاً تسبح قرب سطح الماء .. فتهرب عندما تسقط حجارته , في حركة انفجارية ... فيبتسم الشيخ .. مثل طفل ..

### ( المشهد 83 )

يخرج الاستاذ خالد , فيجد الشيخ عبد السلام واقفاً في باب البيت فيقول ضاحكاً اذن , سنكون جيران يا شيخ ؟

ويرد الشيخ بعد التحية :- وسترى كم هو ثقيل هذا العجوز ..

ويقول خالد فاسحاً الطريق للشيخ :- ستكون الوالدة سعيدة جداً , عندما تعرف بأن الشيخ عبد السلام جاء يشرب الشاي معنا .

ويقول الشيخ :- يسامحك الله يا ولدي , لقد هربت من الدار وتريدني أعود إليها .. فكرتُ أن أطل على هذه الدار , فنحن سنكون فيها بعد يومين إن شاء الله .. وقلت ربما أجدك غير مشغول بشيء فأذهب معك إلى بيت السدر .. فماذا تقول ؟  
فيقول خالد : لقد مر قبل قليل وقاص مع عبود وسعدون من هنا .. لعلهم ذهبوا لجبل الرحمة ..  
\*\*\*

### ( المشهد 84 )

الشيخ وقاص يتوجه لبيت السدر , يتبعه عبود وسعدون و ويقول مشيراً إلى الباب الواطئ لبيت السدر :- أنا لا أعرف لماذا جعلوا الباب واطئاً بهذا الشكل ؟  
فيقول له عبود وهو يمشي وراءه :- ربما كانت عندهم حجارة كثيرة فلم يعرفوا ما يصنعون بها ؟

ويضحك سعدون قائلاً :- أنت تخزّف يا عبود .. فهذا الذي تراه ليس باباً . فماذا يفعل الجن بالباب وهم يستطيعون إن يشقوا الأرض ويخرجون منها .. ويلتفت عبود إلى صاحبه وقد أخذته الفكرة :- هل صدقت ما قلته لك .. كنت اضحك معك .. فانا اعرف إن الجن لا يحتاجون الى باب و وهم يدخلون إلى البيوت من إي مكان يريدون .. ولكننا لا نعرف حكمتهم في هذه الفتحة التي صنعوها هنا .. أليس كذلك يا شيخ ؟

ويكون الشيخ وقاص , قد احنى رأسه ودخل إلى بيت السدر , فلم يجب على سؤال عبود , ويلتفت عبود إلى سعدون مستطلعاً رأيه , فيقول هذا الأخير بحدة :- وكيف يعرف الشيخ , أو غيره , فنحن لم نر جنياً حتى نسأله عن هذا الباب ؟ . تدخل أم ادخل أنا قبلك ( مشيراً إلى الباب ) .  
\*\*\*

### ( المشهد 85 )

ويقول الشيخ عبد السلام , وهما يسيران بمحاذاة ( رحبة السرو ) :- في هذه المدرسة , وكانت سجداً قبل ذلك كما تعرف , كان يعيش رجل صالح , رحمه الله , وبعد أن بنينا المسجد الآخر .. قال لي : يا شيخ عبد السلام ..صرت أصلي وحدي , فالناس تفضل إن تصلي في المسجد القريب منها .. وسأمت أنا .. ويتهدم هذا المسجد عندما لا يصلي فيه احد , ولا يمر عليه احد .. وهذا شيء لا يجب أن يحدث .. ففيه كان يصلي إباؤنا وأجدادنا .. فقلت له وما العمل ؟

هل تجبر الناس حتى يأتوا هذا للصلاة فيه ؟. ومات الرجل رحمه الله , وجئت أنت من المدينة فقلت , نعم , لا يجب أن يتهدم هذا المسجد , ورغم بعده عن القرية , فانه يصلح أن يتعلم فيه الصبيان .. وهكذا صارت المدرسة .. واليوم يا أستاذ , فكرتُ بذلك .. وعرفت حكمة الله عزّ وجل .. حتى الحيطان التي هي حجر و تراب .. عندما لا تشم رائحة البشر وتسمع كلامهم فإنها تتهدم وتموت .. أنها تضمحل

وتزول عندما يتركها الناس وحدها .. فكيف بنا نحن , عندما يتركنا أصحابنا ؟  
ويرد خالد بتأثر : لكنك أيها الشيخ , لست وحدك والحمد لله , .. الم تقل انك هربت إلى هنا من كثرة الناس الذين يطلبونك ؟..

ويرد الشيخ :- هؤلاء الناس الذين تتحدث عنهم أيضاً من أسباب بليتي .. لقد عرفوني الآن .. الآن .. وبدلاً من ان يذهبوا للشيخ .. للشيخ وقاص - يأتون اليّ ... إلا ترى يا ولدي , ان مجيئهم لي يحزنني أكثر مما يفرحني .. اما الآخرون .. الآخرون الذين أريدهم ان يأتوا للجلوس معي .. معي إنا .. فأين هم ؟! أنت يا ولدي احتطت للعالم فتعلمت كيف تؤنسك الحجارة , تتحدث معها وتتحدث معك .. أما أنا ؟ .. ولكن لا بأس ها أنا .. اسكن بجوار .. بيتي الدائم ( ويشير للمقبرة ) وينظر الشيخ الى بعيد , حيث يوجد بيت ( زهرة الشوافة ) وحيداً منعزلاً , ويقول لخالد وهو يشير إليه :- دعنا نرجع يا ولدي , قربنا نصل إلى بيت زهرة الشوافة ..  
\*\*\*

### ( المشهد 86 )

في بيت حليلة ، تشهق حليلة وهي تسمع الاقتراح الذي قالته لها أمها فتقول :- زهرة الشوافة ؟ يا أمي ؟ اذهب إلى زهرة الشوافة , وماذا جرى لي حتى اذهب إليها ؟

فترد عليها أمها :- وماذا بها ؟ اذا استطاعت ان تنقذنا من هذه المصيبة التي نحن فيها ؟ وهل أنت من دون خلق الله , لا تذهبين إلى زهرة الشوافة .. عشرات غيرك ذهبن إليها ووجد الله لهن على يديها ما أردن .. وهن الآن مع أولادهن بخير , فما بها زهرة الشوافة ؟! ام تريدين ان تجلسي هكذا , طول عمرك دون أولاد ؟! وترد حليلة : ولكن , يا أمي .. كيف اذهب ؟ وترد عيها أمها بصرامة :- سأذهب إلى بيت خالك .. وتقول حليلة : اذهب معك اليوم .. وترد أمها : ليس الآن .. فيما بعد , الحاجة تعبت , وسأساعدها في ترتيب البيت .. فلم يسبق لها أن عرفت الرحيل في حياتها ..  
\*\*\*

### ( المشهد 87 )

في بيت ام حميد، عصراً ، وهي تقول لأنيسة :- اذهبي يا ابنتي وخذي معك خوله لهم وترد عليها أنيسة :- ولكن الحاجة , يا أمي ؟! فتؤكد لها ام حميد :- أوه .. يا أنيسة .. انتهى كل شيء .  
\*\*\*

### ( المشهد 88 )

لقد انتهى موسم الحصاد , وأهالي القرية بدأوا احتفالاتهم الاعتيادية .. يجتمع فلاحو المنطقة الواحدة , ويأكلون سوياً , يرقصون ويغنون ' نساءً ورجالاً حتى ساعة متأخرة من الليل . تقوم النسوة بإعداد الطعام الذي ساهموا كلهم فيه , بشكل جماعي .. ويهيئون فرشاً في مكان يتفقون عليه .. وتشتغل فوانيسهم .. ورغم الجفاف في الأعوام الأخيرة , فإنهم , في معظمهم .. يشتركون في الإعداد لهذه الاحتفالات بكل ما يمكنهم مادياً وغيرها . انه الفرح بانتهاء الحصاد , وثمره الجهد طيلة العام .. ومن الفلاحين المحتفلين هذا العام , عائلة أولاد مخلوف .. مع

أربعة أو خمسة عوائل مجاورة لهم .. وعائلة اولاد مخلوف , من العوائل التي شملها توزيع الأراضي .. فحصلت على بقعتين .. ورغم الإمكانيات المادية الضعيفة فقد اجتمع كل أفراد هذه العائلة وعلى رأسهم الإخوان عباس ومحسن , وتعاهدوا العمل سوية رجالاً ونساءً وأطفالاً على تنسيق الاعمال بينهم .. فعلى الرغم من خلو أراضيهم من بئر للسقي .. إلا أنهم يجتمعون يومي السبت والخميس من كل أسبوع فيهبون ببغالهم رجالاً ونساءً لجلب الماء من الآبار العامة وتخزينه في براميل ضخمة .. واستطاعوا بذلك أن يزرعوا مساحة لا بأس بها من الأرض خضاراً تكفي حاجتهم اليومية وتزيد في مرات كثيرة للبيع ..

كذلك , يشتركون جميعاً في فلاحة الأرض من حرت وبذر وحصاد , فتجود عليهم أرضهم بما يكفيهم من حنطة طيلة العام .. إضافة لذلك , فهم غالباً ما يربون أغناما قد تصل في بعض الأعوام إلى ثمانية رؤوس .. يستفيدون من لحومها وصوفها وقد يبيعون رأسين او ثلاثة كل عام .. لكسوة أطفالهم وما شابه.. هذا إضافة لثلاثة بقرات وبغلين للنقل .. وهكذا اكتفت هذه العائلة الكبيرة بنفسها .. لكن الفدية التي اضطروا لدفعها لعائلة أخرى بسبب أن عباس قتل احد أفراد العائلة الأخرى ( قاسم ) جعلته يفكرون ببيع أبقارهم لولا أن أنقذتهم يد أحد المحسنين في اللحظة الأخيرة وسلفهم مبلغ الفدية كاملاً .. جاءهم عبد المعطي ليلاً ... وأعطاهم المال وعاد دون أن يراه احد . لقد كانت أرض اولاد مخلوف , وخاصة تلك البقعة المجاورة لأرض عبد المعطي والواقعة في منخفض يجعلها صالحة جداً لزرعه الخضروات بعد حفر بئر فيها .. جاءهم عبد المعطي وأعطاهم فلوساً .. وما صدق أنهم اخذوا منه , حتى عاد وحلم تلك الأرض يجعله يطير فرحاً .. وفلوس الفدية التي أخذتها عائلة القتيل ( قاسم ) استثمرتها فحفرت بئراً في أراضيها واشترت بقرتين ....

\*\*\*

### ( المشهد 89 )

عبد المعطي يمتطي حصانه , يصل إلى البيت , يترجل عن ظهر حصانه , ويدخل فتستقبله زوجته , ويسألها عن أمه .. فتقول : ذهبت إلى بيتها . ويخرج , ثم يمتطي حصانه ..

\*\*\*

### ( المشهد 90 )

في المقهى , يجلس عدنان مع أخيه عيسى . ويصل عبد المعطي , ويربط حصانه في مكان مناسب ويأتي يجلس , ويطلب شاياً , ثم يلتفت إلى عيسى قائلاً :- التقاني عباس , لمخ لي أنهم سيردون لنا جزءً من الدين .. بعد بيع الحنطة .. أنا لا أدري ماذا يأكل هؤلاء الناس ؟ .. الناس تشكو من قلة المحصول وهم يبيعون ؟ ويسأله عيسى :- وماذا قلت له ؟

فيقول عبد المعطي , وقد أثار الحديث عدنان , فبدأ يستمع باهتمام : قلت , بانني لست بحاجة لهذه الفلوس الآن .. وأشرت عليه إن يكسو أطفاله , فانني اراهم يحتاجون وهو لا يبالي .. لكنه اصر .. فماذا أقول ؟ . يبدو أن الأرض ستطير اذا لم نفعل شيئاً يا عدنان !

ويرد عدنان : كان يجب أن تأخذ منهم ورقة التملك .. اما الآن , اذا دفعوا , فماذا فعل ؟

ويقول عبد المعطي :- وكأنه يفكر بشيء :- غداً الأربعاء , أليس كذلك ؟. فيومي عيسى بالإيجاب

فيستمر عبد المعطي :- وهم يملأون براميلهم بالماء يومي السبت والخميس .. غداً البراميل فارغة وخاصة في الليل .. أليس كذلك يا عدنان ؟ ( ودون انتظار إجابة من عدنان ) والناس هذه الأيام تسهر وترقص وتأكل .. إلا بعض العجائز .. فمن الممكن إن تسمع العجوز صوت كلب أو حركة قرب العريش حيث تخزن الحنطة .. أو حيث توجد البقرات الثلاثة .. فتقوم وعندما تريد أن تشعل الفانوس .. يمكن أن تشتعل النار , واذا كانت العجوز ثقيلة النوم فلم تسمع حركة , فمن الممكن أن يكون قد فعلها أحد ممن له مسألة ثار مع اولاد مخلوف .. الم يقتل عباس واحداً من عائلة السامر في العام الماضي , عندما كان هذا الأخير يسرق بقرتين .. أليس كذلك يا عدنان ؟

( وينظر عدنان إلى أخيه نظرة ذات معنى ولم يتكلم , يعلو أذان المغرب فيقوم عبد المعطي مسرعاً وهو يقول ) : آه .. لقد تأخرت عن الذهاب إلى المسجد .. ويلتفت الى أخيه عيسى قائلاً : ادفع الحساب .

ويقف على رأس عدنان قائلاً : الا تذهب وتصلي معي ؟. قد يستجيب الله وترزق بولد !!

\*\*\*

### ( المشهد 91 )

ليلاً , وخالد يجلس إلى أحجاره . امه تراقبه باهتمام , مترددة ثم تقول : الحاجة امرأة طيبة ..

خالد لا يقول شيئاً , يرفع حجارة مستطيلة . ويضعها في مكانٍ مناسب من بقية الأحجار . الحجارة تصنع زاوية متممة . هذه الحجارة الجديدة تجعل اللوحة الحجرية أطول مما كان يتوقع . الجهة اليسرى إذن بكاملها ناقصة .. أمه تستغل لحظة تعتقدها مناسبة فتقول :- لكنها غير راضية عن هذا البيت .. وهي محقة .. فالبيت السابق ..

خالد لا ينتبه لما تقول أمه .. فيقول بصوت عالٍ : أمي .. تعالي .. اظني وجدت شيئاً , تنظر أمه إليه وكأنها تحتج على انشغاله عنها , فيقول خالد : تعالي يا أمي وانظري , تنهض بإعياء وهي تقول : وماذا أرى ؟. هل تستطيع أن أرى شيئاً ؟ وتقترب منه , تقف إمام الطاولة و تنتظر إلى حيث يضع خالد إصبعه على اللوحة .. خطوط دائرية تكاد تشكل رؤوساً بشرية .. اياد ترفع معاول .. تخترقها خطوط متموجة تشبه الغيوم .. هذا ما تراه في الجهة اليمنى العليا من اللوحة .. فتقول :- ما هذا يا ولدي ؟

ويقول خالد مقرباً الفانوس من هذا الجزء .. وتمعن أمه النظر .. وهي تقول : لا اعرف .... أشبه بإنسان يغرق .. ربما هذه غيوم .. وهو يحمل معولاً .. لا .. أنهم

كثيرون .. هل هذا صحيح يا ولدي؟! اعذرني , فانا لا اعرف ماذا تريد إن أرى ... وتتركه وهي تتمم : سأذهب أنام .. فإذا كنت تريد الشاي .. أحضرته لك ... فيقول خالد : من يدك يا ام خالد يشرب الإنسان أحسن شاي .. فنقول : كان هذا زمن .. وولى ...

ويقول لها , وهو يرفع القطع الحجرية عن الورقة البيضاء التي يضع عليها خطوطه لإتمام اللوحة :- نعم , إلا مع ام خالد ..

( ويأخذ القلم الرصاص , ويصل بعض الخطوط مع بعضها , الآن أمامه .. رجال يحملون معاول ويحفرون قمة جبل ... حيث تخترقهم في هذا الارتفاع .. الغيوم .. الغيوم المارة على قمة هذا الجبل ) .. وتتوقف أمه في باب الغرفة .. فقد أعجبتها اشارته , لكنه يصمت منشغلاً عنها , فتقول :- الأيام تمضي و أنت لا تدري .. وعندما تموت أمك , ستعرف أنك وحدك لا تستطيع إن تفعل شيئاً ..

وتخرج ... كانت كلمتها تعبر عن احتجاجها على اكتفائه العجيب بصمت الأحجار على الطاولة طيلة الوقت .. وهي اشارة لشيء كان يجب أن يفعله خالد مثله مثل كل الرجال في عمره . وعندما تخرج يضع قلمه الرصاص .. وينظر إلى باب الغرفة الفارغ , منصتاً لخطواتها البطيئة .. ثم أصوات الأواني في المطبخ أثناء إعدادها للشاي ...

\*\*\*

### ( المشهد 92 )

حليمة تنام في فراشها . ثم تسمع صوت الباب الخارجي يُغلق . ترفع رأسها . زوجها ليس الى جانبها , تنصت قليلاً . توقعت أن زوجها سيدخل عليها الغرفة , فتضع رأسها على المخدة مدعية النوم , تنتظر , وتسمع حركة صوت ماء , تأخر زوجها في الدخول إلى الغرفة .. وأخيراً يدخل عدنان الى الغرفة بهدوء تام وهو بثيابه الداخلية . انن لقد خلع جلابيته ودخل . يذهب الى صندوق الثياب ويلبس جلابية أخرى .. ثم يندس معها في الفراش .. فتتقلب حليمة , وكأنها أفاقت لتوها وترفع رأسها وتنظر إليه , فتجده أغمض عينيه مدعيًا النوم , فتقول : أين كنت , إلى هذه الساعة ؟

يفتح عينه بتثاقل , وكأنه اغفي منذ فترة :- ماذا تقولين ؟ وتقرب وجهها منه , كأنها تمعن فيه النظر , ولما تجده مصراً على ادعائه , تقول :- قم وكلمني .. كنت مستيقظة عندما أتيت؟! أين كنت حتى هذه الساعة ؟

يفتح عينيه مستسلماً :- تأخرت مع عبد المعطي .. لماذا تسألين ؟ وتشم رائحة غريبة , فتقول :- ما هذه الرائحة فيك ؟ ويقول وقد استيقظ تماماً :- رائحة ... فيّ أنا ... وتقول حليمة :- أنها رائحة نطف !

ويرد عليها مرتبكاً :- نامي .. نامي , أنتِ تحلمين . فتأخذ يده وتشمها :- في يدك . إلا تشمها أنتِ ؟ وبشم يده قائلاً :- أوه .. أين هي هذه الرائحة .. أنت أصبحتِ تسمعين وتشمين أشياء غريبة !!



فتقول حلميه :- انا لم اذهب إلى بيت خالي اليوم , لأنك رفضت , أما غداً فسأذهب .. وقد ابقى عندهم يوماً أو يومين .. فماذا تقول ؟!

فيقول :- هل قلتها لأمي ؟!

وترد عليه : بالنسبة لأمك فهي تريدني , أن اذهب قبل ساعة .. اليوم قبل الغد !؟ وأرى أن تتحدث معها.. فاننا لم أعد أحتمل .. أنها لم تكلمني اليوم , حتى بكلمة واحدة .. دون أن اعرف ماذا فعلتُ لها ؟!

ويرد عدنان :- أمي معذورة , فقد كثر كلام الناس حولها .. ولا أدري ماذا أقول لها !

فتقول له: وما ذنبي أنا، هل كرهت أن يكون لي طفل...

فيقول لها :- نامي الآن ... فالصباح رباح .

وتقول هي بغضب :- انهض , واغسل يديك , وغير ثيابك , فرائحة النفط تخنفتني .  
\*\*\*

### ( المشهد 93 )

صباحاً ، في بيت الشيخ عبد السلام الجديد .. الحاجة وأم حليلة . تقومان بترتيب بعض الإغراض صرتان كبيرتان مركوبتان في زاوية من الغرفة . صندوق خشبي ذو غطاء مقوس , ومرصع بمسامير ذات رؤوس فضية كبيرة .. مبخرة كبيرة , إناء وإبريق لغسل اليدين , ساعة حائطية قديمة جداً , مبخرة منقوشة , ثلاثة خناجر , وبندقية .. أزر من الصوف مطوية ومركونة في زاوية أخرى .. وسجادة كبيرة قديمة لكنها نادرة .. أم حليلة تمسك بقطعة قماش وتمسح الغبار عن المبخرة ذات الشكل الغريب . الحاجة تفتح الصندوق الخشبي وتخرج منه بعض الثياب .. حزام عريض , جلابة بيضاء , وعباءة صوفية .. انها ثياب الشيخ عبد السلام .. أنها تخرج هذه الثياب , وكأنها ترى تاريخاً ماضياً , لم يترك وراءه الا هذه الآثار .. ام حليلة تلاحظ الحزن على وجه الحاجة ..

يدخل الشيخ عبد السلام , كأنه قادم من الغرفة الأخرى ويقول ( مشيراً إلى الساعة الحائطية ) : هذه سنضعها في الغرفة الأخرى ..

وترد عليه زوجته بحزن :- أنها لا تعمل ..

فيقول لها الشيخ :- أنها لم تعمل منذ فترة طويلة .. هذه الساعة لا يوجد منها الآن .. ثم يسأل أخته ( مشيراً إلى السجادة ) هذه , نفرشها في الغرفة الأخرى ... فقد يزورنا الناس ..

وينحني ليلتقط البندقية الموضوعة جنب الصندوق قائلاً:- أين نضع هذه ؟

تنظر ام حليلة للحاجة , ولما تراها صامته تقول :- ضعها أيضاً في الغرفة الأخرى ..

ثم ينحني ويلتقط الخناجر الثلاثة ويمدّها إلى الحاجة قائلاً : ضعي هذه في الصندوق ، وعندئذ تنفجر الحاجة قائلة له :- اتركنا .. سنرتب كل شيء .. أما وأنت واقف على رؤوسنا فلن نستطيع إن نفعل شيئاً .. اليس عندك عمل تقوم به ..؟

تبقى يده ممدودة بالخناجر الثلاثة .. لحظات .. وهو ما يزال يحمل البندقية بيده الأخرى ويرى دمعة في عين زوجته ، يرمي الخناجر من يديه على الأرض قائلاً :- اصبري عليّ يا حاجة ، سأخرج .. ويتجه للخروج ، فتقول له أخته مهدئة الوضع :- أخرج ... فانت منذ يومين في الدار ... هل أضع هذه المبخرة في غرفتك يا أخي ؟ . فيقول غاضباً :- افعلوا ما تشاءون .. وحتى لو وضعتها على رأسي فلن أتكلم .. ويخرج بخطى ثقيلة ، تشعر الحاجة أنها قست عليه ، فتمسح عينيها وتقول :- لماذا لا تذهب وتأتي بخولة .. فيقول : بل سأذهب إلى القبر . وتضحك ام حليلة .. وتضحك زوجته على الطريقة التي قال فيها جملته ، فتقول ام حليلة :- وماذا تفعل بهذه البندقية ، هناك ؟ وينتبه الشيخ الى البندقية التي ما تزال في يده ، فيبتسم ، ويرجع إلى الغرفة قائلاً :- أين أضعها ؟! فتضحك ام حليلة : اتركها ، وسأعلقها في غرفتك ... ويقول الشيخ وقد هدأ غضبه قليلاً :- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ... وتقول له زوجته : اذهب ، فما زال الوقت مبكراً . وتعال لنا بخولة ، لم نرها منذ أسبوعين .

\*\*\*

### ( المشهد 94 )

الاستاذ خالد يخرج من البيت متوجهاً الى المدرسة ، يرى الشيخ عبد السلام ، فيهرع إليه، يسلم عليه ، ويسأله :- أراك مبكراً ، إلى أين يا شيخنا ؟ فيرد عليه الشيخ :- قلت أذهب ، لتري خوله بيتنا الجديد . فيقول خالد : تعال معي ، سأريك شيئاً ، وسأذهب معك .. فيقول الشيخ: خيراً إن شاء الله ، ماذا تريد أن تُريني ؟ ويرد خالد :- بعض الأحجار والآثار المهمة ، اذا بقيت في بيت السدر فانها تضيع ، قلت لماذا لا ننقلها الى مدرسة الجامع، .. لدينا هنا قرب بيت الوضوء مكان يكفي .. وأردتُ أن ترى المكان ، فتقول رأيك . ويرد الشيخ :- حسناً ما تفعل يا ولدي ، فافعل ما تراه مناسباً .. ولا حاجة لك برأيي . فيصّر خالد : ربما ترى أنت مكاناً أفضل .. و أنت تعرف هذه الأمور أفضل مني .. يتوجهان ويدخلان الى المدرسة .

### ( المشهد 95 )

صبر الشعار يجلس مع أبي حميد ، في منزل هذا الأخير ، ويقول ابو حميد وصبر يضحك بصوتٍ مرتفع ( مع رنة حزن ) :- اللهم أجعل هذا الضحك يمرّ علينا بخير ، .....مالك ؟ ولا يتوقف صبر عن الضحك ، ثم يقول :- أضحك على ابنتي يا عبد المجيد !

فيسأله عبد المجيد : وهل فعلت ما جعلك تضحك إلى هذه الدرجة و أنت عجز  
نصفك في القبر ؟

ويقول صبر الشعار :- هي لم تفعل , ولكنه ولدها يا عبد المجيد , كلما رأيته وهو  
مثل عود الخيزران , لا ينطق بحرف وقد صار عمره ثلاث سنوات , خرجت منها  
ضاحكاً كما تراني ..

ويرد عليه عبد المجيد مستغرباً : ولكن هذا يثير الحزن ... وأنت تضحك ؟ يجب أن  
تفعل أمه له شيئاً .. ثلاث سنوات ولا يتكلم .. هذا المسكين ..

ويرد صبر :- الذي يضحكني يا عبد المجيد هو أن ابنتي تصرّ على أن ولدها  
يشبهني .. وأنت كما تراني ليس فيّ ما يتحرك غير لساني .. فهل توجد مصيبة اكبر  
من هذه ؟

ويقول عبد المجيد :- أنت مجنون , لا تضحك الا في المصائب ..  
ويرد صبر بألم : لقد تغيّر كل شيء , فالناس الآن لا يفعلون مثلما كان في القديم ,  
يبكون في المصائب والنكبات , بل يضحكون .. أنا حزين يا عبد المجيد , فهو لم  
ينهض من فراشه منذ ثلاثة أيام .. وابنتي تبكي .. تركتها تبكي وجئت إليك ..  
وأخاف إن يفعلها ويموت , وعندئذ من يسكتني عن الضحك ..  
ينهض عبد المجيد متكئاً على عصاه قائلاً :- تعال نخرج .. أخاف أن تسمعك ام  
حميد وتظن انك مجنون فعلاً ...

وينهض صير ويمسك بيد عبد المجيد قائلاً : دعنا نأخذ معنا خوله , وستراني اسكت  
كما تريد ..

ويرد عليه عبد المجيد :- أنها ليست في البيت , لقد أخذتها أمها إلى بيت الشيخ عبد  
السلام .

\*\*\*

### ( المشهد 96 )

انيسة تقف على باب الشيخ عبد السلام منتظرة فتح الباب، وابنتها خوله تدفع الباب  
و كأنها تريد أن تفتحه حتى تدخل ، وتسمع صوت الحاجة قادمة وهي تقول : مَنْ ؟  
وتبقى انيسة مترددة , مرتبكة .. لا ترد جواباً . يفتح الباب . يطل وجه الحاجة  
وعندما ترى الحاجة أنيسة واقفة بالباب تتغير ملامحها فجأة وتبقى صامتة . خوله  
تدفع الحاجة وتدخل , دون أن تتحرك هذه الأخيرة بما يوحي لأنيسة بأنها تسمح لها  
بالدخول . فتقول انيسة بصوت عجول :- مبروك لكم البيت الجديد , جئت إليكم  
بخولة , ولا استطيع أن أتأخر , وسأعود لأخذها عصراً .

وتقول زوجة الشيخ :- خرج الشيخ إليك يأتي بها .. فأين ذهب ؟

وتقول أنيسة :- كنت أريد أن اسلم عليه، مرة أخرى إن شاء الله .

وتعود أنيسة . بينما تغلق زوجة الشيخ باب البيت ، تسير أنيسة خطوات وتسمع  
صوت بكاء ابنتها طالبة أمها .. من داخل البيت .

انيسة تبكي , دون صوت , وعندما تلتفت إلى حيث يقع بيت خالد , ترى الشيخ  
وخالد خارجين من مدرسة الجامع .. فتمسح دمعها بكم ثوبها وتمشي مسرعة ..

باتجاه القرية ، حيث تبقى المدرسة وراء ظهرها . ولكن صوت الشيخ كان واضحاً :  
انيسة يا انيسة .

تقف، يأتي الشيخ مع خالد . انيسة تهرع ليد الشيخ وتقبلها ، ثم تمد يدها إلى خالد ، ويمد يده إليها .. أحست بيده ترتعش بيدها ، وهو يقول:- هل أنت بخير . تقول : الحمد لله .

يتغاضى الشيخ لحظات عن عيونها المحمرة قائلاً : لقد عرفك الاستاذ خالد ! أين كنتِ ؟ أنا قادم إليكم حتى تجيء معي خوله .  
فتقول بصوت مبسوح : هي في البيت ، جئت بها بنفسي . وعليّ أن أرجع بسرعة ... لقد قرب الظهر !!

ويقاطعها الشيخ :- دون أن تسلّم عليّ . وتحديثني عن وضعكم ، وترين بيتنا الجديد . ( ودون انتظار جواب منها يكمل : ) هيا معي إلى البيت ، ما يزال الوقت مبكراً .. أنني سعيد أن تزوري عمك العجوز هذا ، بعد عام .. نعم ، أنتِ فكرت بطريقة صحيحة .. كلما تجدين وقتاً مناسباً تأتين أنتِ وخوله إلينا .. أنا اطلب لم اطلب منك سابقاً لا نني لا أريد إن اخلق مشاكل بينك وبين زوجك ، فلربما هو لا يريد ذلك ..

وترد أنيسة :- صدقني يا عمي الشيخ ، لا يمكن الآن .. وسأتي العصر لأخذ خوله .. تذهب أنيسة بعد أن تودع الشيخ وخالد ، رأى خالد أنها لم تنظر في عينيه عندما نظر إليها كأنما يطلب منها أن تبقى، يلتفت الشيخ معتذراً:- هل تأتي معي إلى البيت ؟ ويرد خالد شاكراً:- بل، اتركني اذهب يا شيخنا .. فالفقيه ينتظرني الآن .. ويقول الشيخ : بلغه سلامي ..

يذهب الشيخ ، ويمشي خالد .. فيرى أنيسة واقفة مع امرأة أخرى في عناق حار .. ويمر خالد إلى جانب المرأتين المتعانقتين .. ولا يستطيع الا أن ينظر إلى أنيسة . لقد كانت أنيسة منشغلة تماماً مع هذه المرأة .. فلم ترفع بصرها إليه . وعكس ما كان ينتظر، التفتت إليه المرأة الثانية ، ووضعت عينها في عينه .. تماماً .. فعرفها : أنها حليلة .

### (المشهد 97)

في بيت الشيخ عبد السلام . الشيخ في حالة غضب واضحة ، والحاجة مع ام حليلة في الغرفة وهما ما تزالان تقومان بترتيب حاجات المنزل . حليلة دخلت قبل قليل ، وهي تحمل خوله . يقول الشيخ ، موجهاً كلامه لزوجته :- لماذا فعلت معها كل ذلك ؟

وترد عليه زوجته :- انيسة هي أنيسة ، وعندما دخلت بيتي في أيام المشيخة ، فلأنني .. سمحت لها .. لأنه كان بيت الشيخ .. وكل الناس يمكنهم الدخول إليه .. أما الآن فلا ، أنيسة لن تدخل بيتي ... والسلام .

ويقول الشيخ :- أنت تنبش القبور من جديد .. وهذا البيت ، أنا الذي أقرر من يدخل فيه ومن لا يدخل ... وحرام عليك ما تفعلينه مع هذه المرأة .. التي لم نر منها حتى الآن إلا الخير ...

وترد عليه زوجته باستهزاء : الخير ؟ ايّ خير ؟ . احف عليك بالله أن تتركني الآن وهمي و فإن ما بي يكفي ويزيد .. دعنا وشأننا .. يا شيخ ، فانا لم افعل لها شيئاً .. وهذا بيتي وأنا حرة فيه .. ما بيننا وبين هذه المرأة ؟ ليس بيننا وبينها شيء ، فلماذا كل هذا الهم ؟

ويرد عليها الشيخ :- وما تريدان أن يكون بيننا وبينها ، أكثر من أنها ام هذه الطفلة ؟ ( مشيراً لخوله ) أليست ابنه ولدك ؟. أم إن ظلمك أعماك أيضاً ؟ وترد الحاجة باستهزاء :- ابنة ولدي ؟! ألم اقل لك .. أتركني . وها أنت تزيد ناري اشتعالاً ! دعني ساكنة .. دعني لا أقول ما بي .. جازاك الله خيراً !!

الشيخ لا يفهم ما ترمي إليه زوجته : ماذا تخرفين أيتها المرأة ، عن إيّ شيء تتحدثين ؟

وتقول ام حليلة مهدئة الوضع :- انتهى كل شيء .. والحاجة معها الحق .. ودعك من هذا الكلام .. فقد انتهى وقته !

ويقول الشيخ وقد زاد غضبه :- وأنت أيضا ؟ اخبروني ماذا يدور في رؤوسكما .. فما هو الشيء الذي انتهى .... بيننا وأم هذه الطفلة ؟.

فتقول زوجته بتحد :- اسمع .. لقد أحببتُ هذه الطفلة .. هكذا .. رافة ، رحمة ، فليس لها ذنب .. وليس بيني وبينها اي شيء .

فيقول الشيخ صارخاً : أنها ابنة ولدك ..

وتقول الحاجة : كلا .. ( ويسود الصمت ) .. كلا .. لست ابنة ولدي .. هذا كذب .. الشيخ لا يكاد يصدق ما يسمعه . خوله تبكي بين يدي حليلة ، تشهق حليلة ولا تستطيع إن تبقى صامتة فتقول : ما تقولينه يا خالتي الحاجة ، ظلم .. ظلم .. وترد ام حليلة معنفة ابنتها قائلة :- اسكتي أيتها الخائبة .

ويقول الشيخ :- نعم ! أيتها المؤمنة . ابنة من هي ، اذن ؟ الا تخافي الله .. وتقول حليلة دون اهتمام لكلام أمها :- لا تصدق يا خالي .. فقد حدثتني انيسة عن كل شيء . خوله ابنة صالح من لحمه ودمه .. لا تصدق يا خالي ..

وتقول أم حليلة :- اسمع يا أخي ، نحن ندري منذ زمان .. ولكننا لم نرد أن نقول لك ، لأننا تصورنا أن كل شيء انتهى .. لقد أخبرتني خديجة بنفسها إن صالح قال لها ذلك .

وتقول حليلة : كلا يا خالي ... خديجة تكذب ، وانا اعرف كل شيء ..

وترد عليها أمها :- إلا يكفيك ما أنت فيه ، من غضب الله وعباده .. هيا قولي لخالك ماذا كذبت عليك هذه الفاجرة .. وليغفر لي ربي .. قولي له ما قالت لك بنت الراحية هذه اخبريه عن الأصل والنسب الذي يجعل هذه الفاسدة ' تفسد مع رجل ولا تفسد مع غيره .. اللهم اغفر لنا .. الله اغفر لي ..

وتقول حليلة وقد انفجرت ببكاء حار :- كلا يا خالي .. ففكر ، لو كانت كذلك ، لماذا رفضت إن تتزوج .. و أنت نفسك طلبتها لذلك .. والمرحوم نفسه ..

وتخرج مسرعة إلى باحة الدار وهي تبكي ، بينما وقف الشيخ عبد السلام ، لا يدري ما يقول .. لقد وجد نفسه فجأة في قضية لم تكن تخطر له على بال ، فيقول رافعاً يديه للسماء :- ربي ارحمنا .. ارحمنا يا رب .

\*\*\*

### ( المشهد 98 )

تفتح ام حميد الباب , فإذا بالشيخ وقاص واقفاً في الباب , بيده سوطه , يدخل , وفي عينيه غضب : أين هي ؟

تشير ام حميد للغرفة , ثم تجري راكضة إلى بيتها ..

ويدخل وقاص . انيسة مسحت دمعها . لكنها ظلت جالسة . لم تنهض . كانت ما تزال تضع لثامها على رأسها , رغم أنها إزاحتها عن وجهها قليلاً . وترفع رأسها إليه وتتنظر إلى عينيه .. كان واقفاً مثل تمثال طويل .. ويقول :- ذهبت إلى بيت عبد السلام ؟

وتقول : نعم , أخذت خوله إليهم .

ويقول :- اسمعي يا انيسة , لقد ذهبت هذه المرة وانتهى الأمر .. ولكن مرة أخرى , لا يجب إن تضعي رجلك على عتبة هذا البيت ( ويشير إلى الباب الخارجي ) لأنني لا أريد أن أقطع لساناً يهمس بكلمة .. وليس لدي الوقت لمثل هذه الأمور ..

فتقول وهي ما تزال تنظر في عينيه دون ارتباك :- هذه أول مرة اخرج منذ عام وذهبت إلى بيت الشيخ .. مع ابنتي .

ويقول : لا قبل عام , ولا بعد عام . ومثلما هي العادة , يأتي هو ويأخذ ابنتهم , اذا كانوا بشوق إليها .. إما أنت .. فلا .. وكل ما تحتاجينه سيصلك إلى الدار .. فمرور عام أو عامين أو حتى مئة .. لا يكفي حتى ينسى الناس أشياء كثيرة !! لقد قال الناس في المقهى وعبود يسمع : ها هي زوجة الشيخ وقاص تمر .. أفهمت ؟! أنهم لا يقولون ها هي أنيسة !!

\*\*\*

### ( المشهد 99 )

صبر وعبد المجيد عائدان إلى البيت , وفجأة يرى صبر حسان الشيخ وقاص واقفاً في باب بيت عبد المجيد فيقول . وقد توقف :- ها أنت وصلت الى بيتك .. ودعني اذهب في سبيل حالي .

ويتمسك به عبد المجيد :- بل تتغدى معي .. فنحن اليوم وحدنا أنا والعجوز .

فيقول صبر :- كلا يا صاحبي , فها هو الشيخ وقاص جاء يتغدى معكما أيضاً .. فقد ربط حصانه , إلا تسمع الصهيل ؟.

ويرد عبد المجيد بارتباك :- حلت المصيبة بنا , فأنيسة ليست هنا .. ذهبت لبيت الشيخ .. فماذا نقول له ؟. أن الكارثة حلت بنا يا صبر ..

فيضحك صبر قائلاً :- اذن أسرع يا رجل .. قبل إن تقتل زوجتك الشيخ وقاص ونبقى بدون شيخ ولا سوط .

ويقول عبد المجيد , وقد ارتعشت أوصاله :- الا تكف عن الضحك , و أنت تراني في مثل هذه الحالة .. الله وحده يعلم ماذا سيفعل عندما يعرف بأنها خرجت من البيت دون علمه .. يا ربي استرنا .. فنحن الضعفاء و أنت القوي ..

ويستمر صبر في ضحكه قائلاً :- تماسك يا عبد المجيد ، فأنت تختض ورجلك على رجلي .. والشيخ وقاص لا يستعمل سوطه مع رجل اعمى مثلك .. فما الفائدة ؟ إذا كنت لا ترى ولا تسمع ولا تحسّ بالسوط على جلدك !!  
ويرد عبد المجيد :- مالك ، لا تفهم ، أنا لست خائفاً على نفسي ، بل عليها هي ..  
\*\*\*

### ( المشهد 100 )

البابُ يطرق بشدة . الشيخ نائم في غرفته . ام حليلة والحاجة في الغرفة الأخرى . حليلة مع خوله . مايزال الجو غير طبيعي . تنهض حليلة وتفتح الباب . رجلان يقفان في الباب وقد ظهر عليهما إنهما في ورطة :- جننا نطلب الشيخ .  
وتسرع حليلة الى خالها . فتوقظه . يهب من نومته التي يبدو أنه تأخر فيها . تقول حليلة : خالي رجلان على الباب يريدان رؤيتك .

ينهض الشيخ مسرعاً . يعدل من هيئته . ويخرج إليهما :- أهلا بكما تفضلا ... ويسلمان على الشيخ . ثم يقول احدهما ( عباس ) :- جننا في طلب الشيخ وقاص ، وقيل لنا انه في بيت الشيخ عبد السلام ..  
ويقول الشيخ عبد السلام مستغرباً :- عندي في البيت ؟ أنا لم أراه منذ شهر تقريباً . من قال لكما انه عندي ؟

ويقول عباس : التقينا بصبر الشعار فقال انه عندك .  
فيقول الشيخ : ربما حدث ما منعه من المجيء إلي !  
ويقول عباس :- قال لنا ، انه يشكو من الم في خاصرته .. فذهب إلى بيت الشيخ عبد السلام .

ويرد الشيخ : أهو مريض أيضاً . اذن هذا هو السبب الذي جعله لا يأتي إلي .  
ادخلا الآن وارتاحا ... ثم نذهب إليه ... سأذهب اله معكما .....  
عباس :- بل يجب أن نذهب إليه حالاً ، ولا ندري أين نجده ... أكون ..  
فيقول الشيخ :- هل حصل شيء ؟

ويرد عباس :- احترقنا يا شيخ عبد السلام .. احترق كل المحصول .. وبقرتان !!  
فيقول الشيخ :- لا حول ولا قوة إلا بالله . متى حدث هذا ؟  
ويرد عباس : البارحة .. البارحة ليلاً .

فيقول الشيخ : إذن ، اذهبا للشيخ ، انه في بيته الآن حتماً ... وأظن إنكما تعرفان بأنه انتقل إلى البيت الذي كنت اسكن فيه .. انتقل قبل يومين .. كما قيل لي ..  
وينظر عباس في وجه الآخر ( محسن ) ويلتفت الى الشيخ : هل تعني انه يسكن الآن في بيتك القديم ؟

فيقول الشيخ :- نعم . ( وكأنه فهم شيئاً ) .. لقد فهمت .. ربما يقصد صبر الشعار انه في بيتي القديم ... بيته الآن ...  
فيقول محسن : اظن ذلك !

يودعان الشيخ ويغلق الباب ، وينتبه لوجود حليلة :- أنت لم تذهبي لبيتك وقد تأخر النهار . يمضي إلى بيت الماء . تأتيه خوله راکضة ، فيقول : وأنيسة تأخرت ... على ابنتها ؟ يأخذ الطفلة يقبلها ، يضعها ثم يدخل بيت الماء .

حليمة تجلس صامتة وفي الغرفة تقول الحاجة لأم حليمة :- ماذا جاء يطلب هؤلاء ؟

فتقول ام حليمة:- سمعتهما يسألان عن الشيخ وقاص ... احدهم يقول احترقنا .. تنهض حليمة وتدخل الغرفة قائلة :- سأذهب , يا أمي .  
فتقول أمها : تذهبين إلى أين ؟ وغداً يجب أن نذهب في الصباح الباكر إلى زهرة الشوافة ، إجلسي ، فلست طفلة ..  
\*\*\*

### ( المشهد 101 )

عباس ومحسن يودعان الشيخ وقاص الذي يجلس في غرفته ( نفس الغرفة التي كان يجلس فيها الشيخ عبد السلام سابقاً , عدا تغيّر الأثاث والمفروشات ) مع الفقيه عبد الغفار ومعاونه عبود . ويقول الشيخ وقاص مخاطباً الفقيه :- والآن , يا فقيه . بعد أن رأيت بعينك وسمعت بإذنك .. هل صدقت أنني كنت محقاً ؟ .. نعم قد يكون الناس هنا عمياً صماً , ولكن عبد السلام جاوز حدوده تماماً ... فكيف نفسر ما حدث مع اولاد مخلوف .. وهذا الأحمق صبر الشعار ؟ فأبي أصم في هذه البلدة لم يعرف انني هنا في بيتي .. بيت الشيخ وقاص ؟... ولم تكن فلتة لسان من صبر الشعار , أنه عبّر عما يدور في نفسه .. فعبد السلام يلثم حوله الناس وكأنه ما يزال الشيخ هنا ... وكنت صبرت معه .. وقلت ربما يأتي اليوم ويعرف أن ما يفعله , هو شيء لا يرضاه الله ولا رسوله ولا اي إنسان .. لكنه بقي كما كان .. يريد أن يظن الناس هنا , أنه ما يزال الشيخ الأمر الناهي .. وربما هو يقول لهم بأنني ما زال المأمور بين يديه .. وما حدث اليوم , هو بسبب كل ذلك .. واذا كان عبد السلام قد ندم على تخليه عن المشيخة , فهذا شأنه هو ... فقد انتهى كل شيء .. وترى يا فقيه عبد الغفار بأنني صبرت عليه طويلاً .. اما بعد اليوم فإن لي شيئاً آخر .. إنه يجب أن يعلم بأن عليه طاعتي مثله مثل اي شخص هنا .. ويجب أن يعرف هؤلاء الجهلة الذين يلهم حوله لغاية لا يعلم بها الا الله تعالى .. فسيروا ايّ ذنب يقترفونه في أفعالهم هذه ...

ويهدئ الفقيه عبد الغفار غضب الشيخ وقاص :- اهدأ الآن , وسترى أن كل شيء سيكون بخير وكما تريد . ان عبد السلام رجل دين , وأنا سأتكلم معه .. وربما فعل كل ذلك دون أن يعرف .. أن يقصد الإساءة ..

ويرد وقاص :- كلا , انه يعرف .. وهو يلعب على اسمه القديم .. انه يتدخل حتى يبني وبين أمراتي .. فها هي أنيسة تخرج عن طاعتي بسببه هو ..

ويرد الفقيه : وهذه أيضاً .. اتركها لي .. وأنا أعدك بأن كل شيء سيكون على خير .. ودعنا الآن نفكر بمشكلة اولاد مخلوف .. فما حدث لهم يا شيخ هو شيء خطير ..

يبقى الشيخ وقاص صامتاً ،فما يزال غضبه يمنعه عن الحديث عن موضوع آخر ..ويقول الفقيه متمماً حديثه :-أيمكن إن يكون هذا قضاءً وقدرًا ؟ كلا، لا بد أن يكون قد فعلها شخص ولسبب .. يا شيخ .. وهذا ما يجب أن تعرفه ..



ويدخل احد معاوني الشيخ وقاص قائلاً بارتباك :- الشيخ عبد السلام على الباب !! ويقول الفقيه برجاء:- احلف عليك بالله , لا تقل له شيئاً , انه ضيف عندك الآن .. ويدخل الشيخ عبد السلام حاملاً خوله وقد نامت على كتفه قائلاً :- الم اقل لك يا شيخ وقاص .. ان المشيخة تجعلنا نشيخ بسرعة وقبل الأوان .. ولكن الحمد لله , أراك بخير ... ولولا انني سمعت عن مرضك ما جئتك .. لأنك نسيت عبد السلام !! ويرحب الفقيه بالشيخ عبد السلام , ويرد وقاص بجفاء :- أجلس أهلاً بك .. يجلس الشيخ عبد السلام , بعد أن يضع خوله النائمة قريباً منه :- و أنت ايها الفقيه العجوز الا تستطيع أن تمر عليّ في طريقك من مدرسة الجامع .. فقد ذهبت اليوم اسأل عنك .. ويلاحظ الشيخ عبد السلام الوجوم على وجه وقاص فيقول:- لا تخف أيها الرجل , ( مشيراً إلى وقاص ) فأنت ما تزال شاباً وقوياً وكنثُ امزح معك .. وليس من المعقول أن يجعلك المرض غير قادر على الكلام .. فيقول الفقيه :- الاشغال , فأنت تعرف المشاكل وغيرها .. وكنثُ اقول .. انني يجب أن أمر عليك .. فيقول الشيخ عبد السلام :- جئت بخولة إلى أمها .. فلا أدري لِمَ لم تأت لتأخذها , عسى أن يكون المانع خيراً!؟.

ويقول وقاص :- لم يحدث شيء , وحسناً فعلت عندما جئت بها بنفسك .. ويفهم الشيخ عبد السلام الآن , أنه ضيف غير مرغوب فيه , فيقول :- المهم .. ها أنني أراك بخير , وان شاء الله ستكون بخير يا شيخ وقاص .. ويرد وقاص :- لقد تعبتُ من الناس هنا , فلا صغيرهم يسمع ولا كبيرهم يفهم !! ينهض الشيخ عبد السلام ويحمل خوله النائمة :- ربي اهدنا لصراطك المستقيم .. أترككم بخير , فانا لا أستطيع أن أتأخر وهذه الطفلة نائمة ..

\*\*\*

### ( المشهد 102 )

ام حميد تهدي أنيسة القلقة على ابنتها :- لو أخبريني باكراً , لكنت أتيت بها الآن . وأنت حسناً فعلت , فهذا الرجل يبحث عن حجة ضدك .. ثم إنها عند جدها وجدتها , ولا خوف عليها , واتركي لي هذا الأمر في المستقبل , فانا سأخذها إليهم بنفسي

...

ويقول عبد المجيد لزوجته: ولكن ما يفعله هذا الرجل لا يرضي الله ولا رسوله .. هذا شيء كثير .. ويجب أن يفهم أمر الله , فإنا معاملة حسنة واما تسريح بإحسان . وترد أنيسة ( دون أن تريد قول السبب الحقيقي لحزنها ) : كلا يا أبي .. هذا شأني انا معه . وأنا لا يهمني هو ولا سواه .. أنا ابكي على حظي الأسود .. انا امرأة خائبة ..

ويسمع الجميع طرقاً على الباب .

فيقول ابو حميد :- اللهم اجعله خيراً .

وتقول ام حميد لأنيسة :- قومي يا ابنتي واذهبي إلى غرفتك فقد يكون هو . تمسح أنيسة دمعها وتذهب إلى غرفتها , وتذهب ام حميد . تفتح الباب , فتجد الشيخ عبد

السلام وهو يحمل خوله ، فتقول ام حميد :- مَنْ ، الشيخ عبد السلام ؟ أدخل يا شيخ وأعطني خوله .. لقد كلفت نفسك وجئت بها في هذا الليل .  
تخرج أنيسة من غرفتها وترحب بالشيخ وتأخذ طفلتها من يد ام حميد : قائلة : لم استطيع المجيء .... وفكرت أن تبقى خوله معكم هذه الليلة !  
ويأتي ابو حميد متوكئاً على عصاه قائلاً :- الشيخ عبد السلام !؟ بنفسه عندنا في البيت . صدقتي أيها الشيخ ، كلما أردت المجيء إليك ، قلت مع نفسي ، ربما لا يكون ..

ويرد الشيخ عبد السلام : آه ، يا رجل ، انتهى ذلك الزمن ، فمتى جئتني ستجديني دون عمل ... وليس لدي ما اعمله الآن.. فأهلاً وسهلاً بك ، متى جئت .  
تذهب انيسة وتضع ابنتها النائمة وتعود قائلاً :- ادخل عمي الشيخ .. فأنت ويرد الشيخ عبد السلام :- تمنيتُ هذا يا أبنتي ، ولكن تأخر الوقت بي .. فقد مررت على الشيخ وقاص لأنني عرفتُ بأنه مريض ، و أنتِ لم تخبريني عنه هذا الصباح .  
فتقول انيسة :- لم اعرف انه مريض .. لقد رأيته عند عودتي منكم .. ولم يكن مريضاً !!

تجد ام حميد مناسبة للقول :- بل ، لم نره منذ أسبوع .. وجاء اليوم لأنها ذهبت إليكم .. ليقول كلاماً ... ويمضي ..

فيسأل الشيخ :- وماذا قال ؟  
فترد أنيسة :- لاشيء يا عمي الشيخ .. ولا تشغل بالك .. فانا خرجت دون علمه ... أتيت إليكم .

ويرد الشيخ :- كان يجب إن تخبريه ، فهو زوجك .. وسأعتذر له بنفسي غداً صباحاً .. وسأتي أنا بنفسي لأخذك وخوله وأعود بكما .. ومن حقه أن يخاف على امرأته يا انيسة .. والآن تعالي .... أقول لك شيئاً ، تفهم ام حميد فتأخذ زوجها إلى غرفتهما : فيقول الشيخ لأنيسة : جئتُ أيضاً لاعتذر عما فعلته الحاجة . اعذريها يا ابنتي ، لقد كبرت ... وهي بمثابة أمك .. وربما قالت كلاماً فاعذريها ..  
وتقول انيسة :- لم يحصل شيء يا عمي الشيخ ..

وكان الشيخ ينتبه لغياب ام وأبي حميد فيقول :- أين اختفى هذان العجوزان ؟.  
ابلغيهما سلامي .. وقولي لأبي حميد بأنني انتظره ...  
\*\*\*

### (المشهد 103 )

امرأتان ملثمتان ، تقفان بتردد امام بيت زهرة الشوافة المنعزل ، تدقان على الباب ، فتجدانه مفتوحاً ، تدفعان الباب وتدخلان إلى باحة البيت ، امامها غرفة واطئة على بابها ستارة سوداء قديمة . وفي الركن الأيمن ، هناك عريش تفصله عن باحة البيت ستارة واطئة جداً . ومن يجلس في العريش لا يرى مَنْ يدخل إلى الغرفة او يخرج منها .. لا احد . وتلتفت المرأتان . ثم يدخلان الغرفة الواطئة المظلمة .. هي فارغة أيضاً وتبقيان واقفتين لا تدريان ما العمل ؟ ولكن صوتاً مفاجئاً يجيء من جهة مجهولة يقول لهما : اجلسا .

تطيع المرأتان أمر الصوت ' وتجلسان بسرعة , فتهمس ام حليلة ( إنها هي ) ...  
وقبل أن يستقر يهما الجلوس يقول لهما صوت زهرة الشوافة :- وَمَنْ مِنْكُمْ بِحَاجَةِ  
لِقِضَاءِ حَاجَةٍ , فَاتَّقِضْهَا . هنا بيت الماء !

وتلتفت ام حليلة لابنتها متسائلة , فتقول حليلة وهي ترتعد :- نعم يا أمي . أن  
مئانتي تكاد تنفجر ... لكن كيف عرفت !؟

تقف حليلة . وتشير لها أمها الى خارج الغرفة . تخرج حليلة , لكنها تصطدم  
فجأة بامرأة عجوز سوداء البشرة تسد عليها الباب , فتشهق حليلة , لكن زهرة  
الشوافة تقول بصوتها الرجولي : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . ثم تشير لحليلة  
الى بيت الماء خارج الغرفة . تدخل زهرة . وتجلس امام ام حليلة . وتضع امامها  
مبخرة مصنوعة من الطين , لها شكل غريب . وترى ام حليلة الآن بوضوح ,  
كومة أحجار ذات اشكال واحجام مختلفة إلى جانب زهرة الشوافة . هناك عيدان , و  
أوراق جافة لأنواع مختلفة من النباتات . تُشعل زهرة بشكل مفاجئ عود  
بخور وتضعهما في ثقبين محفورين على المبخرة .. وينتشر دخان البخور . لحظات  
وتأتي حليلة بعد قضاء حاجتها , فتشير لها زهرة الشوافة بالجلوس إلى يمين أمها .  
تجلس حليلة . وتقول زهرة الشوافة وهي تنظر إلى المرأتين الجالستين امامها :-  
مدي يدك اليمنى وخذي البخور ..

فتمد حليلة يدها وتأخذ عود البخور بشكل ألي . عندئذ تقول زهرة الشوافة :- أنا  
بانظارك منذ ثلاثة أسابيع ( ! ) فلم تأخرت في المجيء إلي؟

وترتبك حليلة لهذا السؤال غير المتوقع , وتلتفت إلى أمها طالبة إن تقول شيئاً :  
فتقول ام حليلة :- لقد تأخرت ابنتي فعلاً ... أيتها المؤمنة . فهل حدث ؟.

وتقاطعها زهرة الشوافة :- أنا سألت ابنتك ... ولم أسألك أنت !! , خذي عود البخور  
وقولي لهم , كلا خذيه بيدك اليسرى , فليست أنت طالبة الحاجة .. قولي .. واحمدي  
ربك . فلو تأخرتما أسبوعاً آخر لما استطعت أن افعل شيئاً .. فاطمئني يا بنت  
الأكرمين ( مشيرة إلى حليلة ) , فما جئت من اجله سيكون مقضياً بأمره تعالى ..

وتقول ام حليلة وعود البخور يشتعل امام وجهها :- تزوجت ابنتي حليلة , وهذه  
عشرة أشهر تمر دون إن يرزقها الله بطفل .. ( ودون انتظار تمد زهرة يدها ,  
وتأخذ ورقة نباتية يابسة وتعطيها لحليلة ) وهي تقول :- اجلسي على هذه . حليلة  
تفعل ما تقول لها زهرة . ثم تمد زهرة يدها وتأخذ يد حليلة اليسرى وتضعها على  
كومة الأحجار التي بجانبها وهي تقول :- باسم العلي القدير .. اجعل في اللوح اسم  
حليلة ... خذي حجراً واذكري يا حليلة اسم زوجك واسم أمه ... دون إن تنطقي  
بحرف ..

تأخذ حليلة حجرة وتعطيها لزهرة . زهرة تأخذ عود البخور من يد حليلة وتسحق  
رأسه على الحجارة . وثم تبدأ ترتعش بشكل مفاجئ , امام دهشة حليلة وأمها ,  
وهي تقول بعد إن أغمضت عينيها مخاطبة حليلة :- لا تقولي نعم . لا تقولي لا .  
حركي رأسك فقط . أنهم يأمرونك بالذهاب إلى قبر لم يجف ماؤه . لطفل لم يببس  
عوده . تحرقين الورقة التي تحتك مع شعرة من زوجك . تحفرين تراب القبر عند  
الرأس بهذه الحجارة وتضعين الرماد وتقولين اسم ولدك ... انتظري بعد صلاة

العشاء .. واقربي عشر مرات سورة ياسين قبل أن تذهبي وحدك .. رجلك اليمنى  
قبل رجلك اليسرى .. وأعيدي إليّ هذه الحجارة قبل مرور جمعتين من يوم دفن  
الرماد .. وإياك أن يراها زوجك .  
تأخذ حليلة الحجارة من يد زهرة الشوافة الممدودة إليها , وهي خائفة , مستسلمة  
لكل ما تقوله هذه المرأة الغامضة .. ونلاحظ أن قطعة الحجارة تشبه القطع التي  
يجمعها الاستاذ خالد , فعليها خطوطاً محفورة !!  
\*\*\*

### ( المشهد 104 )

المرأتان المثلثتان , حليلة وأمها في طريق العودة . اجتازتا رحبة السرو و وهما  
تنعطفان إلى الطريق المؤدية إلى مدرسة الجامع .. وكأنما الأرض انشقت عن  
الاستاذ خالد ومجموعة من تلاميذه وهم يتوجهون إلى بيت السدر .. فتهمس إلام  
لأبنتها . :- دعيني أتأكد من لثامك .  
وتقول حليلة : سيعرفنا يا أمي !  
وتقول الام : اسكتي .  
تمر المرأتان جنب خالد وتلاميذه . ترى حليلة أن خالداً , رمقها بنظرة . فأحست  
بجسمها يرتعش .. وبمجرد ابتعادهما عن التلاميذ وأستاذهم , تقول حليلة :- أنا ..  
خائفة يا أمي ..  
ولكن أمها تسألها فجأة :- تأكدي من وجود الحجارة في الصرة عندك !!  
فتقول حليلة : أنها هنا . لماذا ؟  
وترد إلام : عندما رأيت هذا الرجل تذكرتها !!..  
وترد حليلة قائلة :- أنا خائفة .. خائفة يا أمي  
\*\*\*

### ( المشهد 105 )

تفتح ام عبد المعطي الباب , فتجد ولدها عبد المعطي واقفا , يدخل وهو يقول : أين  
عدنان؟  
فتقول له :- ذهب إليها , فلم يحتمل غيابها عنه ليلة واحدة ..  
فيقول عبد المعطي :- حسناً يفعل يا أمي , أنها زوجته , وابنة عمته ... و بصراحة  
يا أمي كنت مخطئة عندما شتمتها إمامه يوم أمس .. وذهبت إلى بيت عمي الشيخ  
.. لقد قلنا له رأينا , انا وأنتِ وانتهى دورنا يا أمي .. فلنتركه يعيش مع زوجته كما  
يريد !!  
ولا تصدق الأم ما تسمع من و لدها , فتقول مندهشة :- أنت ؟ تقول هذا الكلام عن  
حليلة ؟ فماذا حدث لك ؟  
ويرد عبد المعطي ببرود :- نعم يا أمي . لقد كنت مخطئاً .. فمسألة الأولاد لا  
تخصني انا بل تخص عدنان وحليمة . وهما راضيان . فلماذا أتدخل انا بما لا  
يرضى عنه الله ..

يطرق الباب. وتذهب الأم لتفتح الباب . وهي ما تزال غير مصدقة ما يقوله عبد المعطي . وعند الباب . تجد حليلة وأمها . تدخلان . تسلّم ام حليلة , وحليلة تبقى صامتة ..

يبادرها عبد المعطي بالقول :- أهلا بك . لقد انشغلنا عليك يا حليلة ! . ولكن أين عدنان ؟

الم يأت معكما ؟

وترد ام حليلة :- نحن لم نره .. فأين ذهب ؟

ويقول عبد المعطي :- يا عمتي , حدث ما يمكن أن يحدث في اي بيت . فقلت اذهب يا عدنان إلى زوجتك . واذهي يا حليلة إليها ( مشيرا إلى أمه التي جلست بعيدا . ) فمهما يكن فهي أمك أيضاً ..

حليلة وأمها تستغربان لهذا اللقاء اللطيف لعبد المعطي ,... وتسال ام حليلة بعفوية : ماذا حدث ؟ أين ذهب عدنان ؟

فيقول عبد المعطي : لم يحدث الا الخير يا عمتي .. والعجيب انكما لم تريا عدنان , فإنه ذهب إلى بيت عمي ... ليأتي بحليلة ..

تلتفت حليلة لامها , ولا تعرف لحظتها كيف تفسر الأمر لعبد المعطي المتسائل... فنقول ام حليلة : إذن , اختلف معنا في الطريق .. مررنا إلى السوق يا ولدي , قبل المجيء إلى هنا !..

\*\*\*

### ( المشهد 106 )

الإخوة الثلاثة , في غرفة من بيت عبد المعطي : وعدنان يستمع بملل الى عبد المعطي :- المهم ، اجلّوا مشاكلكم معها الآن ... وأنا تحدثت مع الوالدة , و يجب أن تفعل أنت ذلك أيضا .. ولولا تصرفك الأحمق , لما احتجنا لكل ذلك ..

ويرد عدنان : أنا لا أفهم .. أنت تعقد الأمور يا أخي .. لقد سألتني حليلة , كما قلت لك , ونفيت أنا أن تكون قد شمّت رائحة نפט , وانتهى الأمر .. فلماذا نعقد الأمور ؟ ويرد عبد المعطي :- هذه هي الحماقة .. كان يمكنك أن تقول لها , انك ملأت الفانوس بالنפט فانسكب عليك وعلى ثيابك .. فكيف تصدقك وهي تشمّ فيك رائحة النفط ؟. ولا بد أنها ستسال نفسها الف مرة .. لماذا كذب عليّ عدنان؟! لقد قلت لك .. عندما تريد أن تكذب يا عدنان , فأذكر نصف الحقيقة .. دائماً نصف الحقيقة .

ولأن عندما يشيع خبر النار التي شبت في خزين اولاد مخلوف , فإنها من الممكن أن تتذكر .. أن تفوح رائحة النفط عندها من جديد ؟. هل فهمت الآن ماذا يمكن أن يحدث لنا , لو همست حليلة لعمي .. وهي غاضبة , عن النفط الذي أنكرته أنت ؟.

\*\*\*

### ( المشهد 107 )

ام حليلة لابنتها وهي تهمس لها :- والآن , هل صدقت يا حليلة ؟... ها أنت ترين بعينك .. كيف صار الناس أنعم من الحرير معك .. ثم قولي بعد ذلك , ماذا تستطيع أن تفعله زهرة الشوافة لي ؟ آمني بالله .. يا ابنتي ولا يكون الا الخير .

\*\*\*

## ( المشهد 108 )

الشيخ وقاص مع الفقيه عبد الغفار ومعاونه عبود الذي وقف قرب الخيول الثلاثة .. وبعد معاينة مكان الحادث ... يجتمع أطفال ونساء اولاد مخلوف حول الشيخ وقاص ... يأخذ الشيخ , عباس ومحسن ( هما من اولاد مخلوف ) على جهة ويقول لهما :- كان ممن الممكن أن يحترق حتى البيت الذي تسكنه أنت يا عباس . ويرد عباس :- نعم . كدنا نحترق جميعاً ، لولا رحمة الله . ويسأل الشيخ وقاص :- والآن من تظنون انه فعل ذلك ؟ فالنار اشتعلت عن عمد .. وأنت على كل شيء بسرعة هائلة . ويقول الفقيه عبد الغفار :- نعم ، لقد شممت رائحة نפט ... لقد رُشَّ النفط وأشعل النار .

ويرد محسن :- كلا .. أنا رميت بإناء فيه نפט . معتقداً انه ماء .. فعندما وصلنا وكانت النار مشتعلة .. لم اعرف , الا وأنا أرمي هذا البرميل ( إناء كان أصله برميلاً وأزيل غطاؤه العلوي ) .. كنت أظن ان فيه ماءً .. ويقول عباس : لم يكن عندنا ماء . فنحن نملأ البراميل يومي السبت والخميس .. فيقول الشيخ : وربما , كان الجاني يعرف هذا أيضاً .. كان يريد أن يحترق كل شيء دون أن يمكنكم فعل شيء ...

ويقول عباس :- نعم , كلنا , عدا النساء العجائز , كنا مع الجماعة في الاحتفال .. ويسأل الشيخ وقاص :- فمن فعل ذلك ؟ هل تشكّون بأحد ؟ ويقول عباس : كلا .. لا نشك بأحد .. و لا ندري لم فعل هذا المجرم بنا ذلك ؟ . ويقول محسن :- ليست لدينا أية مشكلة مع أحد .. ومَنْ فعلها فهو والله اعلم مجنون , لو كان سرق شيئاً لعرفنا السبب .. ولكن يحرقنا .. انه شخص مجنون ... ويقول الشيخ وقاص . وقد ظهر عليه الإعياء :- كما ترون , صحتي ليست على ما يرام غداً ان شاء ... تأتون اليّ .. ونكون قد فكرنا بالأمر كما ينبغي !!

\*\*\*

## ( المشهد 109 )

الشيخ وقاص , يدخل غرفته ويتبعه الفقيه عبد الغفار . يرمي بنفسه على احدى التكايا متعباً . ويرى الفقيه تعب الشيخ وقاص , فيقول :- أذهب أنا واتركك ترتاح قليلاً .

لكن الشيخ وقاص , يشير له بالجلوس قائلاً : كلا إنا بحاجة إليك .. يجلس الفقيه عبد الغفار . ويصقّ وقاص , فيطل احد أولاده من باب الغرفة , فيقول له : قل لهم يحضّرون لنا الشاي .

ويلتفت ألى الفقيه , الذي بقي منتظراً ما يقوله له الشيخ وقاص : لم انم ليلة البارحة ! لقد شغلنتني مسألة .. وأريد رأيك فيها ايها الفقيه ! . قررتُ أن اطلق أنيسة !

\*\*\*

### ( المشهد 110 )

أنيسة في غرفتها ليلاً , ويجلس إمامها وقاص , فنقول :- هذا كل ما يمكنني أن افعله لك , ويشهد علي ربي ..

ويرد عليها وقاص , وهو يمسك بيدها :- افهميني يا انيسة . لقد أعطاك الله نعمة تحسدك عليها الكثيرات من النساء .. أعطاك الحسن .. وأنا نفسي عندما تزوجتك , أردتُ الا تقع هذه النعمة بيد مَنْ لا يعرف كيف يحافظ عليها .. فافهميني واتركي عنك هذا العناد ...

وتبقى انيسة صامتة , فيقول لها :- ستعرفين . انني افعل كل هذه لصالحنا ... ولم يبق إلا القليل وسأعوضك عن كل شيء ... هل تصدقيني ؟ ... قولي شيئاً , لا تجعليني أحس انني اكلم نفسي كالمجنون ...

وتبقى انيسة صامتة كالحجارة , فيقول :- أنا رجل , يا انيسة , و أنتِ قبرٍ معي , فماذا تريدان أن اكون ؟!

\*\*\*

### ( المشهد 111 )

بعد صلاة المغرب , الشيخ وقاص يختلي بالفقيه , ويقول له :- فكرتُ جيداً , ووجدت أن طلاق أنيسة يفيدني .. انني أضع الحية في فراشي وأنام خائفاً من أن تلدغني أنا , يا فقيه عبد الغفار لست اضمن لنفسي , أنها لن تفعل ما يأمرها طبعها دون علمي ... الطبع غالب .. وقد فتحت عينيها ووجدت نفسها في الشارع , فكيف أتق أنها تقبل البقاء بين اربعة حيطان ورجل اعمى وامرأة خرقاء ؟ .. لقد أصبحت هي هاجساً يخيفني كل ساعة .. ان اسمي وكرامتي بيد امرأة لا شيء يمنعها من أن تفعل اي شيء .. كلا .. وقد فكرت .. ورأيتُ انني أدبثُ واجبي مع ضميري . وها هو عبد السلام يفتح لها بيته , فليفعل ذلك .. دون تستر ...

ويقول الفقيه :- نعم , معاملة بمعروف أو تسريح بإحسان و عليك كل حقوقها عليك . ويقول وقاص : أنا أطلقها امامك بالثلاثة .. وما دمت ستذهب لعبد السلام , فاني أرى أن تأخذ له معك ورقة طلاق أنيسة !! اليس هو ولي أمرها ؟ ..

\*\*\*

### ( المشهد 112 )

عدنان يجلس مع زوجته حليلة . تنهض حليلة قائلة : انا اشعر بعطش ... لقد شربت كثيراً من الماء هذا اليوم !.

يمسك عدنان بيدها بحركة لطيفة قائلاً : كلا , أجلسي , سأتيك بالماء ... وتندesh لحركة عدنان هذه , فنقول شاكرة : سأشرب أنا بنفسي . هل تريد أن آتيك بالماء .

فيهز رأسه بالنفي , ويقول وهي واقفة امامه : يجب أن نكون وحدنا يا حليلة .. ها هي أمي في بيت عبد المعطي , وامك عند عمي .. لأول مرة اشعر انني مع زوجتي !.

وتترك حليلة يد عدنان , وتذهب إلى المطبخ كي تشرب ماءً , وهي تقول لنفسها " هل يمكن أن تفعل زهرة الشوافة كل ذلك " .

وبدلاً من الذهاب إلى المطبخ , تدخل غرفتها . ينتبه عدنان لها , فيقول : ماذا ؟ هل وضعت خابية الماء في الغرفة ؟!

تنتبه حليلة , فتقول :- آه .. لقد شررد ذهني بعيداً ..  
وتتوجه إلى المطبخ . عدنان تثيره كلمة حليلة , فيقول بصوت عال : الى أين شررد  
ذهنك يا حليلة ؟

تجيبه وهي تشرب الماء :- الى تلك الليلة , هل تذكر تلك الليلة ؟  
وكان حليلة ضربته على يده , فيقول مرتبكاً : ما لها تلك الليلة ؟  
وتبقى صامته حتى تشرب الماء وتعود اليه , وكان عدنان يغلي , فيقول :- أية ليلة  
هذه ؟

فتقول حليلة , وهي تجلس إلى جانبه :- أقول دون أن تغضب ؟  
ويقول متلهفاً , وقد توقع امرأً خطيراً :- أغضب ؟ هل رأيت .. اعني هل حدث  
شيء يجعلني اغضب ؟!

فتقول : لقد صرت لطيفاً معي , وهذه ليست عادتك .. منذ الليلة التي ذهبت فيها الى  
بيت خالي ؟. اليس كذلك ؟

وعندئذ يرتخي قليلاً :- آوه .. هل هذا كل شيء ؟. وماذا بها , فالرجل اذا غابت  
عنه إمراته عرف قيمتها ..!

وتسأله حليلة : وعبد المعطي أيضاً ؟. الم تلاحظ ذلك ؟  
وعندئذ , يبقى عدنان ينظر في وجه حليلة متسائلاً ... دون إن يعرف كيف يفسر  
لها ملاحظتها .

\*\*\*

### ( المشهد 113 )

زوجة عبد الواحد , تقول غاضبة لزوجها :- لن اترك عبد المعطي يهناً بأرضنا ,  
سأجعلها زقوماً عليه .. وسأقلب الدنيا على رأسه ..

ويقول عبد الواحد :- واذا قلبها على رأسنا نحن ؟ فماذا تفعلين حينئذ ؟ تعوذني من  
الشیطان الرجيم , فانت عائدة لتوك من ماتم .. فما هو الموت يجعلنا نقول وماذا  
يفيدنا من هذه الدنيا ؟ أجلسي . أنا خجل لأنني لم اذهب لمساعدتهم , .. من قام بدفنه ؟  
فتقول الزوجة : ومن يدفنه ؟ لقد دفنه أبوه وجده .. صبر الشعار .

ويقول عبد الواحد : إنا لله وإنا إليه راجعون .  
وتقول الزوجة :- ومع ذلك , سأذهب وحدي , على الأقل أرى الحاجة , فهي  
مريضة كما سمعت .

\*\*\*

### ( المشهد 114 )

الشيخ عبد السلام في بيته ومعه زوجته وأخته , يقول لزوجته عبد الواحد الباكية :-  
لو كنت مكان الشيخ وقاص لفعلت ما فعل , فهل عرف زوجك الآن أن عبد المعطي  
أخذ منه أرضه ؟ . أين كان طيلة هذه المدة ؟. أنا لا استطيع أن افعل شيئاً .



وترد زوجة عبد الواحد :- لقد اخطأ زوجي .. ولم يرد أن يشكو اليك ابن أخيك .. أنا اعترف بأنه اخطأ .. ولكن ما ذنبنا .. إنا وأولاده ... اعمل لنا هذا المعروف يا شيخ ... اني أتوسل إليك ..

فتدخل زوجة الشيخ قائلة :- تكلم مع عبد المعطي ، حاول معه ، عسى أن يهديه الله يُطرق باب البيت ، فينهض الشيخ ليفتح الباب قائلاً :- واذا رفض ، هل يخجل عبد المعطي من احد في هذه الدنيا ؟! كلا ...

ومضت النساء الثلاثة . ويسمعن الشيخ عبد السلام يرحب بضيفه قائلاً : وأخيراً تذكرت الشيخ العجوز أيها الفقيه .. أهلا بك ... تفضل ( يدخلان الغرفة الأخرى ) .

وتشير زوجة الشيخ الى زوجة عبد الواحد الباكية بمعنى اطمئني ، سيكون خيراً . وتقول الحاجة :- عسى أن يكون خيراً .

وترد زوجة عبد الواحد : لسنا وحدنا أيتها الحاجة . إن عبد المعطي فعلها مع عبد الجبار واخذ منه ورقة التمليك ، وكانت السعدية زوجته تنوي المجيء معي . لولا قضاء الله ، في موت ابنها يوم أمس ..

فترد الحاجة :- انا لله وانا إليه راجعون ... مَنْ سعادية ؟!

فتقول زوجة عبد الواحد :- بنت صبر الشعار .

وتتنبه ام حليلة لهذا الخبر ، فتقول : كم عمره ؟

فتقول زوجة عبد الواحد : ثلاث سنوات . لقد كان عليلاً من يوم ولادته ..

وترمق الحاجة اخت زوجها بنظرة خاصة .

\*\*\*

### ( المشهد 115 )

وفي الغرفة الأخرى يقول الشيخ للفقيه بأسف واضح :- ولماذا ؟ ماذا فعلت هذه المسكينة . وكيف تريد مني أن اخبرها بنفسي .. انه زوجها أيها الفقيه . وهو الشيخ ، فلماذا يفعلها واحدٌ غيره ؟

ويقول الفقيه :- هكذا أراد ولم استطع منعه .. والله أعلم بشؤون الناس .. فالشيخ وقاص رأى انك وليها ، ولذا أرادك أن ....

ويقاطعها الشيخ قائلاً :- أنا لست ولياً عليها .. أنا لست ولياً على أحد .. فهذه عطية ( مشيراً للغرفة الأخرى ) امرأة عبد الواحد ... جاءت تترجاني أن أتدخل لها في قضية أرضهم مع عبد المعطي .. فهل يحق لي أن أتدخل والشيخ .. شيخ هذه البلدة موجود ..

كلا أيها الفقيه . أرجوكم أبعدونني عن هذه القضايا ... ساعدوني فهذه ليست مهمتي ما دام في هذه البلدة شيخ .

ويبقى الفقيه عبد الغفار صامتاً . فعلى عكس ما كان يعتقد ، ها هو الشيخ عبد السلام نفسه يطلب منه مساعدته كي يتركه الناس وشأنه ..

\*\*\*

### ( المشهد 116 )

خالد يقول لأمه : الشيخ وقاص طلق انيسة يا أمي .

فتقول أمه :- حسنا فعل . لقد كانت وصمة عار بالنسبة اليه .. حتى انني ظننت الف ظن عندما تزوجها .. أنا لا أعرف كيف تحملها كل هذه المدة ؟  
فيقول خالد : هل أنيسة سيئة الى هذه الدرجة ؟  
فتقول أمه :- بل وأكثر .  
فيسال :- لماذا يا أمي ؟  
\*\*\*

### ( المشهد 117 )

في موقع بيت السدر . يأتي أحد التلاميذ ( نوري ) راكضاً الى أستاذه , وقد وجد حجرة ظنها مهمة , وهو يقول :- وجدت هذه .. هناك يا أستاذ .  
خالد يأخذ قطعة الحجر ويفحصها . يلاحظ أنها ذات شكل هرمي .. تضيق باتجاه الخلف . وجهها المسطح يحمل خطين متقاطعين محفورين بشكل غريب  
يقول خالد لتلميذه : قد تكون مهمة .. خذها يا نوري وضعها في بيت السدر مع الأحجار الأخرى , اننا الآن نبحث عن أشياء أخرى .. مثل هذه ( ويخرج قطعة حجرية من لوحته , ويريها للتلاميذ ) .  
ومن بعيد , يرى التلاميذ شخصاً يجلس امام أحد القبور .. لحظات وينهض , ويذهب محني الظهر , ثقيل الخطوات ... فيقول أحد التلاميذ لخالد الذي جلس وهو ينظر إلى هذا الشخص ...  
: انه صبر الشعار . مات ابن ابنته . هل صحيح إنه مجنون يا أستاذ ؟  
\*\*\*

### ( المشهد 118 )

صبر الشعار , وهو يسير بين القبور , باكياً ... ويمسح الدموع التي بللت لحيته .. تاركاً وراءه قبراً صغيراً ... ما يزال ترابه طرياً ....  
\*\*\*

### ( المشهد 119 )

أنيسة , تحمل قربة الماء , و تريد الخروج , فتمسك بها ام حميد قائلة : الى أين يا انيسة ؟  
فتقول انيسة :- أجب الماء يا أمي .. لقد فرغ البرميل .  
وتقول ام حميد:- كلا , يا انيسة , لا تفعلي هذا . فأنتِ ما تزالين تحت عصمته .  
كوني عاقلة يا انيسة . ومثلما كنت انا اطلب الماء سابقاً , فلم يتغير شيء .  
لكن انيسة لا تسمع كلام ام حميد فتخرج بالقربة :- أنا اطلب الماء .. فهل في هذا عيب أيضاً ..  
\*\*\*

### ( المشهد 118 )

عبد المجيد , يجلس مع صبر . وهذا الأخير يتحدث مع خوله التي بقيت هادئة بين يديه :- الحمد لله , لقد كبرت يا خوله , وصرت تعرفين صبر الشعار ولا تخافين منه  
ويقول عبد المجيد : هي هكذا دائماً , لا تستوحش أحداً ...

ويرد صبر قائلاً :- ولكنها عادة غير حميدة .. يا عبد المجيد , فعلى الانسان أن يحتاط ويعلم أولاده على الحيطة أيضاً . مَنْ يدري فقد يكبر ولا يجد أحداً حوله .. وعندئذ تخيل ماذا يحدث . وأنا علمت ابنتي فاحتاطت لولدها ... فعاش ثلاث سنوات لوحده .. وأظن أنه الآن لا يشعر بالوحشة ..  
ويرد عبد المجيد :- لا مَرَد لقضاء الله .. واذكر ربك أن يتولاه برحمته .. فإننا لله وانا إليه راجعون ..  
فيقول صبر :- لم تفهمني يا عبد المجيد .. فاننا لست حزينا.. كل ما في الأمر .. أردتُ أن أحدثك عن هذا الزمن النذل .  
\*\*\*

### ( المشهد 119 )

الشيخ عبد السلام يسأل زوجته :- أين ذهبت ام حليلة ؟  
فتقول الحاجة بتردد :- ذهبت للترحم على أرواح الموتى . كنتُ أريد الذهاب معها , لكني لم استطيع ..  
\*\*\*

### ( المشهد 120 )

ام حميد تقول لأنيسة , التي لبست لثامها , مستعدة للخروج :- اسمعي كلامي , الناس لا ترحم أحدا .. يا انيسة .  
وترد انيسة :- ومتى كان يرحمنا كلام الناس يا أمي ؟. وأين هو العيب .. أين ؟  
عندي ثلاثة قبور تنتظرني منذ أكثر من عام .. قولي يا أمي .. أين العيب في الذهاب .. إلى القبور ؟  
\*\*\*

### ( المشهد 121 )

الشيخ يجلس جنب زوجته , في المشهد 119 , ويقول :- والآن , تعوذني من الشيطان الرجيم واسمعي .  
فتقول الحاجة : ربي اجعله خيراً في صباح يوم الجمعة هذا .  
ويقول الشيخ :- لم يبق من متاعنا في هذه الدنيا الا القليل .. وقربنا نودّع .. فدعينا نفعل ما يجعل أرواحنا تذهب لدار الآخرة مطمئنة .. وأنتِ لم تصدقيني , وقد حصل ما كنت خائفاً منه , وتطلقت أنيسة ...

### ( المشهد 122 )

ام حليلة تجلس أمام قبر صالح ,  
والمقرئ الأعمى يردد : اللهم اغفر لعبدك صالح بن عبد السلام , وأجعل روحه في دار الصالحين .. انك أنت السميع المجيب .  
ويرفع يديه بالدعاء .. وكذلك تفعل ام حليلة , ثم تنهض وتعطيه صدقة ... وتسأله :- أردتُ أن اقرأ الفاتحة على قبر ابن سعدية بنت صبر الشعار , ولا أعرف أين هو . فهل دللتني عليه ؟!  
وينتفض المقرئ , عندما يسمع ذلك , ويقول وهو ما يزال جالساً :- ومن أين لي أن اعرف ؟! , وصبر الشعار لم يتركني افعل شيئاً . حفر القبر ودفن لوحده .. وكل ذلك

حتى لا يمد يده إليّ بصدقة ! انا لا أعرف الا القبور التي حضرت دفنها .. ولكن أين يذهب صبر الشعار أو غيره .. سيأتي اليوم ويسأل عني ..  
\*\*\*

### ( المشهد 123 )

وتقول الحاجة لزوجها :- انه الدم , يا شيخ , فلماذا لا تريد أن تفهم ومن ناحيتنا نحن فقد أرضينا ضميرنا حينما كتبت لابنتها الأرض فمن يفعل لها مثل هذا غيرك ؟ ويقول الشيخ عبد السلام لزوجته :- أنا لم اقل لك عن كل ما سمعته ورأيت من وقاص ليلة الذهاب اليه .. وحدثني قلبي أن شيئاً يدور في رأس هذا الرجل .. لماذا لا اعرف . وهي لم تقل لي شيئاً , ولكن ام حميد هي التي أخبرتني ماذا فعل عندما عرف أنها جاءت ألينا بخولة .. وأمس يبعث اليّ الفقيه عبد الغفار ليرمي في وجهي ورقة طلاق أنيسة ... نعم لنقل كانت أنيسة كذا وكذا ... لنقل كل ما يقوله الناس عنها صحيح .. لكن أنيسة الآن مرمية في الشارع , وأنا قبل غيري اعرف بأنها حتى لو حاولت أن تستقيم .. حتى لو حاولت أن تحصن نفسها .. فمن سيتحركها في حال سبيلها ؟ مَنْ يا حاجة . اذا كان اسم وقاص قد حماها طيلة بقائها معه . فمن سيحميها ... مَنْ غيرنا !?  
\*\*\*

### ( المشهد 124 )

انيسة جالسة عند قبر حميد . والمقرئ الأعمى يأتيها تقوده خطاه .. أنيسة تبكي بحرقة .. والمقرئ يردد قبل أن يجلس : يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي لربك راضية مرضية ..  
\*\*\*

### ( المشهد 125 )

ويقول الشيخ بغضب وقد نهض واقفاً بينما بقيت زوجته جالسة : إن خوله يا حاجة من دمننا اتقي الله يا امرأة .. انا ما أردتُ أن أقول شيئاً عن خوله , لكنك تجبريني على ذلك .. ان ما تقولينه اثم كبير .. انني اشمُ فيها رائحة ولدي .. ارى في وجهها وجهه ولدي .. حتى الأعمى يرى فيها شبه ولدك .. فلماذا لا تريدين أن تري ذلك .... لماذا ؟ انك إن أردتِ الترحم حقاً على روح ولدك .. إن أردتِ أن يغفر الله ويتوب عنه .. اعلمي خيراً... لأجل هذه اليتيمة....  
\*\*\*

### ( المشهد 126 )

أم حليلة تقف ذاهلة . على بعد خطوات من أنيسة التي تقوست على القبر , وكأنها تريد أن تدخل فيه . تقف ام حليلة دون أن تستطيع حراكاً ... امام نحيب صامت , عميق لا يخرج من فم أنيسة ولا من عينيها , بل من دماغها .. نحيب , توهمت ام حليلة للحظة انه يخرج من تحت تراب القبر ويختلط بأصابع أنيسة التي شددت بقوة على قبضة منه .. ارتعشت ام حليلة لحظة قال المقرئ الأعمى :- اللهم اغفر لعبدك حميد بن عبد المجيد , واجعل روحه مع الصالحين . انك انت السميع المجيب ..

وعندئذ تجلس أم حليلة , حيث كانت واقفة .. تجلس وكأن قوة هائلة جذبتها الى الأرض ... وهي تبكي .  
\*\*\*

### ( المشهد 127 )

أم حليلة تفتح الباب لأنيسة المترددة إمام بيت الشيخ عبد السلام وتقول :  
ادخلي يا ابنتي ... ادخلي .

\*\*\*

## " الفصل الثالث "

### ( المشهد 128 )

يصل الشيخ وقاص الى حيث يسكن اولاد مخلوف , ومعه الفقيه عبد الغفار ومعاونه عبود , يركض الأطفال الى داخل المنزل . يخرج عباس مهرولاً للقاء الشيخ الذي بقي على حصانه , وهو ومن معه : أهلاً بالشيخ ..  
فيقول الشيخ وهو يلعب بسوطه : لم نرغب بالمرور عليك , قبل أن نعرف شيئاً ويقول عباس : نعم , أيها الشيخ , وهل حصل خيراً ؟  
يقول وقاص :- ان شاء الله , غير أن الجاني , غير موجود في البلدة !  
ويقول عباس بلهفة :- :- هل ..

ويقاطعه وقاص : نعم , وما تسمعه الآن , لا يجب أن يسمعه أحد غيرك .. والآن سنتدم ... إنه من اولاد السامر .. و أنت تعرفه جيداً يا عباس .. فعل كل ذلك , ثاراً , منك أنت بالذات ... ألم تقتل أخاه ..  
ويقول عباس باستغراب : مَنْ , طالب ؟ هذا لا يمكن , يا شيخ وقاص .  
ويقول وقاص :- نحن ننتظره حتى يعود . وسترى وتسمع بنفسك أن كل شيء ممكن .. ها أنا أقولها , لك . فإذا هرب يا عباس , هذا يعني أنك قلت شيئاً لأحد ويردد عباس : هذا مستحيل .. انه يريد أن يناسبنا ... خطب مني ابنة عمتي قبل أسبوعين !؟

ويلوي الشيخ وقاص عنق حصانه , استعداداً للمغادرة , وهو يقول :- نعم , يا عباس لقد خطط لكل شيء .. ولكن أين يذهب ؟  
\*\*\*

### ( المشهد 129 )

الشيخ وقاص على حصانه ومعه عبد الغفار وعبود , يتوقفون على مرتفع من الأرض . ومن هنا يمكنهم رؤية عبد الواحد وهو يقوم ببعض أعمال الأرض .. يقول الفقيه : أخاف يا شيخ , أن نظلم أنفسنا عندما نظلم هذا الرجل ويرد وقاص : اذا كان ظلم شخص واحد يفيد في تثبيت العدل بين الجميع , فان الله سيغفر لنا أيها الفقيه .

يرى عبد الواحد الخيول الثلاثة قادمة إليه . يعرف أنه الشيخ وقاص . يجمد في مكانه لحظة . يدّعي انه لم ينتبه لمجيء الشيخ ! لكن الخيول تقترب ثم تتوقف .

يرفع عبد الواحد رأسه ويسرع للترحيب بالشيخ وقاص رغم الخوف الظاهر على وجهه , : أهلاً بالشيخ وقاص ... أهلاً بكم

ولا يتكلم وقاص . بل يهبط من فوق حصانه . يتوقف عبد الواحد وقد أحس بالخطر , امام وجه وقاص الصامت .. ويده التي تلعب بالسوط . فيقول :- خيراً أيها الشيخ هل حدث شيء لا سمح الله ؟

لم يتم عبد الواحد كلامه . حيث يعاجله وقاص بالسوط على كتفه , وهو يقول للفقير :- انتظر , أيها الفقير , وسترى إنه يعرف تماماً , لماذا أنا هنا ؟ ويقول عبد الواحد من بين ألمه : ماذا فعلت ؟ أنا لم افعل شيئاً .

ويعاجله وقاص بضربة أخرى من سوطه :- هذا عام وأنا لم أجد أحداً بيدي .. ويضربه مرة ثالثة , يقع عبد الواحد ملتوياً على نفسه , متحاشياً بيديه ضربات السوط المحتملة على وجهه وهو يقول :- اقسم بالله العظيم انني لم افعل شيئاً .

ويرد وقاص :- وماذا كانت زوجتك تفعل عند عبد السلام , ايها السافل ؟ ويقول عبد الواحد ببراءة :- عبد السلام ؟ ومن هو عبد السلام ؟

وبضربة شديدة من وقاص تجعل عبد الواحد يصرخ :- انني اتوسل إليك .. ويقول وقاص :- الا ترى يا فقير , انه أصبح لا يعرف عبد السلام أيضاً .

ويفهم الفقير فيقول :- الشيخ عبد السلام ! لقد كانت زوجتك عندهم ... ويقول وقاص :- ماذا كانت تفعل ؟

ويرد عبد الواحد : كانت الحاجة مريضة , وذهبت تراها ... هل فعلت شيئاً آخر ؟ ويضرب وقاص قائلاً : منذ متى وزوجتك تذهب كلما سمعت أن أحداً من عائلة عبد السلام أصابه مرض ؟

ويرد عبد الواحد :- اقسم بالله العظيم , انها ذهبت تزور الحاجة .. ويلتفت وقاص الى الفقير قائلاً : والآن أيها الفقير , قل لي . مَنْ هو الكاذب منهما

, هذا الحمار ( مشيراً لعبد الواحد ) أم عبد السلام ؟ وينكس الفقير رأسه دون أن يعرف كيف يجيب .

\*\*\*

### ( المشهد 130 )

عبد الواحد يرقد بجراحه المضمدة . وزوجته تبكي الى جانبه وهي تقول : لقد فعلها هذا الكافر عبد المعطي .. فهو الذي ذهب للشيخ وقاص وأوغل صدره ضدنا .. لن اسكت عليه .. وليفعل بي الشيخ وقاص ما يريد ...

ويرد الزوج :- اجلسي .. ويكفي ما فعلته حتى الآن بنا . اجلسي واتركي عبد المعطي في حاله , فلماذا يفعل ذلك ؟ ما فائدته ؟

وترد الزوجة :- أنا على يقين من ذلك .. أنه هو الذي شكنا عنده .. ويقول عبد الواحد : لا أدري ماذا جرى لهذه الدنيا ؟

\*\*\*

### ( المشهد 131 )

إمام باب عبد المعطي , نسوة مجتمعات , وعبد المعطي وقف مندهشاً امام اتهامات زوجة عبد الواحد له , ولكن دون غضب ظاهري , يقول :- اقسم بالله العظيم , بان

ما تقولينه عني غير صحيح . وسأخذك معي الآن الى بيت عمي وتسمعين منه بنفسك ... فهو لم يأت إليّ وأنا لم اذهب إليه , ولم اسمع منه ايّ شيء مما تقولين .. نعم سمعت مثل الناس أن الشيخ ضرب زوجته . ولكن لماذا فعل ذلك ؟ فانا لا أدري . ربما فعل زوجك ما أثار عليه غضب الشيخ , الله وحده يعلم ! وترد عليه زوجة عبد الواحد :- لم يفعل زوجي إيّ شيء .. ويقول عبد المعطي بمكر :- حسناً ' ولماذا لا يكون عمي نفسه هو الذي قالها له .. من يدري ؟ والآن ايتها المرأة , اسمعيني جيداً . اذا لم تتحركي من امامي الآن , سأخذك بنفسني الى الشيخ وقاص ..

\*\*\*

### ( المشهد 132 )

صبر الشعار يجلس مع عبد الواحد الراقد في فراشه : اخطأت عندما تركتها تذهب إلى بيت عبد المعطي فهل بقيت في جلدك قملات وتريد أن يسحقها وقاص بسوطه ؟ ويرد عبد الواحد :- كيف الحق بها وأنا كما ترى ؟ فيقول صبر : كان عليك أن تقسم عليها الا تشتم أحداً ، اذا كنت عجزت عن منعها . ويقول عبد الواحد : لقد خرجت مثل المجنونة . ويعلم الله ماذا سيحل بنا ؟ وهي سبب المصيبة التي تراني فيها .. لم تسمع وذهبت تشتكى .. لكن ماذا أفعل وقد اعطاني الله امرأة لا ترى أبعد من قدميها .. ويرد عليه صبر :- لو كان الله اعطاك مثل هذه المرأة التي تقول , لكنك الآن سعيداً ! عيبُ امراتك أنها تنظر الى ابعد من قدميها .. ولكنها بدلاً من أن ترى الافعى , تظن أنها خيطٌ فتمسك بها .. ويقول عبد الواحد : أقسمت عليها بالطلاق , لكنها , خرجت دون مبالاة . فيقول صبر : لقد وقعنا يا صاحبي بين الشيخين , شيخ بلسانه وشيخ بسوطه !!

\*\*\*

### ( المشهد 133 )

زوجة الشيخ عبد السلام , تتكى على سريرها , وام حليلة تضع امامها كومة الصوف للغزل وأنيسة تجلس صامته . ترفع زوجة الشيخ رأسها وتقول لأنيسة :- هات لي يا ابنتي كأساً من الماء . تنهض انيسة بسرعة . يخرج الشيخ عبد السلام من غرفته , ومعه خوله . ويقول : سأخذ خوله معي .. أنا خارج , فقد ارى الاستاذ خالد .

\*\*\*

### ( المشهد 134 )

خالد في مدرسة الجامع , يقوم بترتيب الاحجار التي جلبها من بيت السدر . في غرفة كانت تستخدم للوضوء او للخزن .. وفي الباب الغرفة يقف البغل الذي يستعمله خالد في نقل الاحجار .. يدخل الشيخ عبد السلام , وتسبقه خوله ..

\*\*\*

### ( المشهد 135 )

خالد يقول لأمه :- أنت لم تذهبي منذ مدة لتري الحاجة .. أنها , أيضا و بحاجة لمن يجلس معها يا أمي .

فتقول الام :- أنا ايضا ، ولكن .. لا اشعر بارتياح عندهم وانيسة موجودة ، هناك أنا لا أدري كيف سمحت الحاجة لها بالدخول الى بيتها ؟

ويسأل خالد :- هل جلست معها , وسمعت منها شيئا ؟  
وتقول امه : مَنْ ؟

ويقول خالد :- انيسة , أم أن الحاجة لا تعرف عنها مثلما تعرفين ؟.

فتقول الام :- هم حرار في بيتهم ... وهذا ليس شأننا نحن ..

ويقول خالد :- فكري يا أمي , هل يمكن أن يقبل الشيخ عبد السلام أن تدخل بيته , إذا لم يكن يعرف عنها غير ما تعرفين يا امي ؟

\*\*\*

### ( المشهد 136 )

ويقول عدنان لزوجته حليلة : كلا , لن اسمح لزوجتي أن تدخل البيت الذي تدخله هذه الفاجرة أنيسة ... لن تذهبي يا حليلة وأنيسة موجودة في هذا البيت .

وترد عليه حليلة بتحدٍ : بل سأذهب ، وارني ماذا ستفعل يا عدنان .

ويقف عدنان مندهشاً أمام هذا التحدي غير المتوقع , ويفكر عدنان بسرعة , فيقول :- اخفضي صوتك . لئلا تسمع أمي . وتعالني نتفاهم .. فانا لا أمنعك من الذهاب الى بيت عمي .. الا عندما تكون انيسة عندهم .. هل تظنين أنني : انا نفسي , سانقطع

عن بيت عمي !! كيف تصورت هذا ؟

وترد حليلة دون تردد : أنا اذهب متى شئت , كانت انيسة أو لم تكن , فإذا كنت حريصاً علي , فانه خالي ويحرص علي أيضاً .. وربما اكثر منك !

ويرد عدنان :- قلت لك يا حليلة , اخفضي صوتك .. فعندما تتدخل أم في مسألة فانا لا نعرف بعدها كيف نتفاهم !.

\*\*\*

### ( المشهد 137 )

الشيخ يرتدي جلبابه الأبيض , ويبدو في مزاج حسن يستعد للخروج :- أنا ذاهب الى سوق الخميس .. وترد عليه زوجته , رغم عيائها :- نعم ... اذهب , فأنت لم تذهب للسوق منذ مدة .

ويقول الشيخ :- تصوري يا حاجة ... عام كامل ... انفضي مثل لمح البصر ...

وتقول ام حليلة :- لماذا لا تأخذ معك قفة , ربما تشتري شيئا ... فنحن فعلا بحاجة إلى بصل .

ويرد عليها الشيخ متباهياً : ومن أين لي الوقت حتى اشترى ؟. انا ذاهب حتى اجلس مع الناس ..

\*\*\*

### ( المشهد 138 )

سوق يوم الخميس . عدنان يجلس في الحانوت الذي كان يملكه صالح ابن الشيخ . امام باب الحانوت يجلس عبد المعطي مع أخيه وهو يقول :- بالعكس , فانا لم اذهب



للمسجد ولا للمجلس لأن مشاكل الناس لا تهمننا .. فماذا أضع انفي في أمور ليست لي بها علاقة؟. أليس كذلك؟ مالنا نحن اذا احترقت حنطة اولاد مخلوف او لم تحترق!؟

ويرد عيسى : ولكننا لم نعرف شيئاً حتى الآن .. لا ندري ماذا فعل الشيخ وقاص , حتى الآن؟ أنا خائف من هذا السكوت !

\*\*\*

### ( المشهد 139 )

الشيخ عبد السلام يمشي وسط الناس . ويسلم عليه بعضهم , دون أن يتوقفوا معه أو يسألوا عن إخباره , كما كان يتوقع .

### ( المشهد 140 )

الشيخ يصل باحة بيع الأغنام والأبقار , يتوقف قرب أحد البائعين , ويسلم عليه فيرد البائع على الشيخ السلام , دون اهتمام كبير , ويعود لمعاملته الاعتيادية . الشيخ يتوقف لحظة مندهشاً لهذا السلوك الذي يراه من الناس ..

\*\*\*

### ( المشهد 141 )

الشيخ عبد السلام يرى حانوت ولده مفتوحاً . يقترب , ومن بين الناس يرى عبد المعطي وعيسى من الخلف، يقف , ويدور عائداً .

لكنه يسمع صوتاً ينادي عليه : مَنْ , الشيخ عبد السلام ... أهلا بالشيخ في سوق يوم الخميس .. هذا زمن لم نرك فيه .

انه صبر الشعار وقد فرش أمامه البصل والطماطم . يذهب الشيخ ويسلم عليه . لقد تثبت صبر عصا في الأرض وشد في أعلاها قطعة كارتون وجلس في ظلها ..

يقول الشيخ : البقاء في حياتك . كيف حال ابنتك بعد وفاة ابنها ؟

ويقول صبر :- أنها بخير , أيها الشيخ , وهي حتى الآن لا تريد أن تصدق ما حصل , فبدلاً من أن يأتي الموت ويأخذ أباهما اخذ ولدها ! تغيرت الدنيا أيها الشيخ .

ويرد عليه الشيخ , مبتسماً :- ما تزال أنت يا صبر الشعار , لم تتغير ...

ويقول صبر : كلا , تغير في كل شيء ... الا هذا ( ويشير الى لسانه ) , فهو هنا لا يرى أحداً ولا يراه أحد ..

ويقول الشيخ :- أراك تبيع البصل والطماطم فقط ...

صبر الشعار يقلب للشيخ صندوقاً خشبياً كان بقربه , وهو يقول : اجلس يا شيخ , فللطماطة والبصل معي قصة طويلة ..

يجلس الشيخ , كما طلب صبر وهو يقول :- أردت أن أجلس , لكنني خشيت أن أشغلك , والآن ما قصتك مع البصل والطماطة ؟

فيقول صبر : قلتُ لنفسي عندما ذهبت آخر يوم قبل أن أصبح عاطلاً .. اجلس يا صبر , فالرجل الذي استخدمك تحرث أرضه قال لِقْ أَمْس ... إنا لا ادري يا صبر

, الرجل الذي استخدمك تحرث أرضه قال لك أَمْس .. أنا لا أدري يا صبر من يحرك الآخر أنت ام المعول ؟ لكنني فكرت بالdraهم وحملت معولي صباحاً إلى

العمل , لكن الرجل أوقفني قائلاً . إلى أين يا صبر ؟ أنا أعطي فلوساً حتى يحرث

الناس لي أرضي ولا يحرثوا قلبي .. ففهمتُ .. أن عليَّ أن أبيع معولي .. وحمدت الله لأن زوجتي انتقلت الى رحمة ربها , والآ كيف افعل معها عندما تبدأ تشتمني وتشتم أبويها اللذين زواجه بي , وكنتُ حينها ارفع المعول مهدداً بأني سأحرث لها فمها إن لم تسكت , وكانت تخاف فتسكت . وعندما شرحتُ لتميم محاسن معولي قال بأنه لا يملك فلوساً , وأنه يعطيني ملء قفة طماطمة ومثلها بصلاً , فوافقتُ وكنت انوي أن اذهب إلى ابنتي بهذه الطماطمة وهذا البصل , لكن زوجها الذي غضب عليه الله تعالى فجعله يفتح فمه مئة مرة ليقول كلمة واحدة , وقف لي بالباب وقال : أنت أيضاً ؟ وفي يوم الخميس ؟ وهكذا حملت معي عصا وجئت لسوق الخميس .. يضحك الشيخ عبد السلام ويقول :- تذكرتُ , اننا بحاجة إلى بصل . فاجمع لي هذا البصل في كيس , يبحث صبر عن كيس فلا يجد , فيقول : سأتي بكيس . ينهض , ويذهب لجلب الكيس ,

\*\*\*

### ( المشهد 142 )

عبود معاون الشيخ وقاص يمر امام دكان عدنان , يراه عبد المعطي ينهض ويقول لعبود :- آه يا عبود , جئت في وقتك . فقبل لحظة كنت أتحدث مع عيسى عنك .. وكنت أقول له بأن " عبود " هو الوحيد هو الذي يفيدنا في هذه المسألة . ويفاجئ عبود ما يسمعه , دون أن يفهم , فيقول :- خيراً إن شاء الله ما هذه المسألة التي أفيدكم فيها ؟

ويقول عبد المعطي: هكذا ونحن واقفين هذا لا يصح . ( ينادي على أخيه عيسى ) تعال لنجلس في المقهى لقد استجاب الله لدعائك , فجاء عبود في الوقت المناسب ) يلتفت إلى عبود الذي بقي حائراً ) أنت تعرف عيسى , كم هو عجول وقلق وأنا أقول له إن الله جل شأنه لا يخلق مشكلة من المشاكل الا ويخلق معها الحل .. أليس كذلك يا عبود ؟ فيهز عبود رأسه أن نعم .

\*\*\*

### ( المشهد 143 )

الشيخ عبد السلام يجلس مع صبر بعد أن جمع البصل في كيس وضعه الشيخ الى جانبه ويقول صبر :- اعذرني أيها الشيخ اذا قلتُ لك بان الاستاذ خالد يفعل الامر بالمقلوب فهو يصعد على الناس ويكلم الحجر , والمفروض أنه يصعد على الحجر ويكلم الناس ..

وفي هذه اللحظة يمر عبد المعطي وعيسى وعبود أمام صبر والشيخ مدعين أنهم لم يروا الشيخ .. يصمت صبر ينظر الى الشيخ فيراه قد لاحظ مرور ولدي أخيه دون أن يسلم عليه... ويسأل الشيخ عبد السلام صبر :- ماذا جرى للناس يا صبر ؟. ارى وكأن الناس تهرب مني .. إنا لا أتكلم عن هذا الحمار عبد المعطي .. بل , هكذا رأيت اليوم ..

فيقول صبر بحرج :- لا ادري ماذا أقول لك أيها الشيخ . وأنت اعرف بالناس مني أنا لا أتكلم عن هذا الحمار عبد المعطي.. بل هكذا رأيت اليوم ... فيقول صبر بحرج :- لا أدري ماذا أقول لك أيها الشيخ , وأنت اعرف بالناس مني ،

فهكذا هم من قديم الزمان، السوط يخرسهم ، والسوط يُنطقهم .. والسوط عندما يتكلم يُصت الجميع . ويقول الشيخ :- لم تفهمني يا صبر أنا أسألك لماذا هم الناس معي، بهذا الشكل ؟

فيرد صبر :- بل فهمتك أيها الشيخ ، لقد كنتُ مع عبد الواحد يوم أمس ، وكان في حالة لا يرضاها اي انسان لنفسه .. كاد أن يموت ..  
يشعر الشيخ فجأة ، أن صبر يتكلم عن أشياء لا يعرفها ، فيقول :- ماذا حدث لعبد الواحد ؟ هل آذاه عبد المعطي ؟ .  
ويفهم صبر أن الشيخ ، لم يسمع بعد عما حدث لعبد الواحد على يد وقاص فيقول :-  
اذن ، أنت أيها الشيخ لم تعرف بأن الشيخ وقاص مرّ على عبد الواحد ..  
\*\*\*

### ( المشهد 144 )

عبد المعطي وعيسى وعبود يجلسون في المقهى ( مقهى سوق الخميس ) ، ويقول عبد المعطي لعبود : هكذا عندما تأتي زوجة عبد الواحد الينا وتشتتم أخي عيسى امام اهله وأطفاله وهو لا يعرف لماذا تفعل هذه المرأة كل ذلك ... كان يمكنه أن يفعل لها كل شيء ... ولكنني قلت له ، كلا أنها امرأة يا عيسى وثانيا اذا شكوتها إلى الشيخ فلربما يخرسها الشيخ الى الأبد ، فهو رجل لا يرضى الاعتداء على أحد اضافة لأنها ، بدلاً من أن تشتمني أنا ، لأنني صاحب المشكلة مع زوجها ، ذهبت تشتم أخي .. قلت ، عبود هو الذي يحل لنا هذه المشكلة .. فبكلمه منه دون أن يعرف الشيخ ، او يشغل نفسه ، يستطيع أن يعيد العقل لهذه المرأة ..  
فيرد عبود :- كلا يا عبد المعطي انا لن افعل هذا دون معرفة الشيخ وقاص .. انه يقتلني عندما يسمع ، وزوجة عبد الواحد امرأة طويلة اللسان ... ثم ماذا تستطيع أن تفعل غير أن تمدّ لسانها مثل الكلب ؟. وأرى إن تتركها يا عيسى .. فها هي جاءت وشتمت ... فماذا حصل لك ؟ لاشيء ...  
ويلتفت عبد المعطي الى أخيه :- نعم ، قال عبود الصدق .. فالقضية لا تستأهل منك كل ذلك .. فإن انت تقلق لمثل هذا ، فماذا يقول اولاد مخلوف وقد حل بهم ما حل .  
ومع ذلك ها هم ، يضحكون وكأن شيئاً لم يكن .. أنه الإيمان بالله .. أليس كذلك يا عبود ؟  
\*\*\*

### ( المشهد 145 )

الشيخ يستمع إلى كلام صبر ، وقد بدأ جسمه يرتعش ويكمل صبر كلامه قائلاً :  
كنتُ أظن انك سمعت بالرسالة التي كتبها لك الشيخ وقاص بسوطه على جلد عبد الواحد ، وقرأها كل الناس ؟.  
يشعر الشيخ أنه لم يعد قادراً على البقاء جالساً وتخرج من فمه الكلمات :- وقاص يفعل معي كل ذلك ؟ هذا الكلب ، ظننت انني ربيته ، فثلاثة أرباعه من خيري أنا ..  
ينهض الشيخ بانفعال شديد ، حاملاً كيس البصل بشكل عفوي، ويغادر صبر الذي بقي صامتاً أمام غضب الشيخ عبد السلام ، وجحوظ عينيه ، ومشيته كالغائب عن وعيه ... وهو يردد :- سأذهب إليه ... وابصق في وجهه ...

ولكن صبر لم يستطيع أن يصمت , فيقول بصوتٍ مرتفع :- خذ معك عبد الواحد أيها الشيخ , قد تحتاج اليه ... قد ينفعك ..  
\*\*\*

### ( المشهد 146 )

الشيخ عبد السلام في طريقه الى بيت وقاص . خطى متعثرة تحت شمس حارقة .. رجل بيده كيس بصل . ومن بعيد يرى الشيخ عبد السلام خيولاً معدة , وقد ركب وقاص ... شامخاً وبيده سوطه , والى جانبه الفقيه .. أو هكذا تخيل .. وتقدم وقاص على حصانه وتبعه الآخرون ... وطار غبار ثقيل .. لكنه هدأ بسرعة , وبقي الشارع خاليا صامتا يهزأ بالشيخ الذي وقف دون أن يعرف ماذا يفعل .. ويشعر بقطرات العرق تهبط على جبهته ... وقطرة مالحة هبطت من عينيه .. وصارت تدخل فمه ... فيمسح وجهه بكمّهِ , وعندئذ يرى كيس البصل , فيرميه بحركة عنيفة , فتتناثر البصل ... وتتدحرج بطريقة كوميدية , يتابع الشيخ بعينيه .. وكأنها تهزأ به .  
\*\*\*

### ( المشهد 147 )

فتفتح أنيسة باب البيت , فتجد امامها الشيخ عبد السلام مصفّر الوجه , ناشف الفم . فتقول : عمي الشيخ ! أهلا بك ، ادخل . وتأتي ام حميد , لتسلم على الشيخ فتري العياء الشديد الذي عليه فنقول :- ما بك أيها الشيخ ؟ فنقول أنيسة : هل الحاجة بخير ؟ فيقول الشيخ بصعوبة :- أعطني كأس ماء .. أنا بحاجة للماء ..  
\*\*\*

### ( المشهد 148 )

الحاجة وأم حليلة فلفتان على تأخر الشيخ في المجيء . وتقول الحاجة :- حتى لو كان ذهب الى المسجد يصلي الظهر .. لكان رجع منذ فترة .. تنهض ام حليلة قائلة : هذه ليست عادته , وتقول الحاجة :- اذهبي يا أم حليلة ، عسى أن يكون الاستاذ خالد بعرف شيئاً عنه . فنقول ام حليلة :- انا ذاهبة اليه .  
\*\*\*

### ( المشهد 149 )

خالد يفتح الباب لأم حليلة فتقول :- اعذرني يا ولدي . خرج الشيخ إلى سوق الخميس ، وحتى الآن لم يعد للبيت .. هل تعرف شيئاً عنه ؟ نحن مشغولون عليه .. ويرد خالد :- انا لم اره اليوم .. فنقول ام حليلة :- لا ندرى ماذا نعمل ؟ ويقول خالد :- اسبقني أنت , وسأجيء إليكم .. تذهب ام حليلة ' ويدخل خالد فتسأل أمه :- ما الخبر ؟ فيقول : خرج الشيخ من البيت ولم يرجع حتى الآن ..

خالد يغيّر ثيابه , ويقول :- سأذهب وارى ..  
\*\*\*

### ( المشهد 150 )

خالد يجد باب بيت الشيخ مفتوحاً , يدخل بعد أن يدق على الباب .. ولكنه يسمع صوت أنيسة تقول :- وهكذا تغدينا وجئنا معاً ..  
يدق خالد على باب الغرفة أيضاً , ثم يدخل , يرى الشيخ جالساً . مع أنيسة وخوله وبعد السلام , تقول ام حليلة لخالد , ها هو ... عاد أخيراً .. فاعذرنا يا ولدي .. ويقول خالد الذي بقي واقفاً في الباب : حمداً لله على سلامتكم أيها الشيخ .  
ويقول له الشيخ :- ادخل يا أستاذ ..  
وينظر خالد إلى أنيسة التي كانت تنظر إليه هي الأخرى , ويقول : مرة أخرى ان شاء الله ... ها نحن اطمئنا على الشيخ , وتركت أمي هي الأخرى قلقةً على الشيخ . وبحركة عفوية ينحني على خوله التي وقفت قريباً منه , ويرفعها إليه ويقبلها .  
\*\*\*

### ( المشهد 151 )

خالد وأمه يخرجان من البيت ذاهبين إلى بيت الشيخ , وأم خالد المترددة في الذهاب تقول لابنها :- اذهب الى الشيخ أنت , سأذهب إليهم غداً .  
فيقول خالد ( بعد أن يفهم أنها لا تريد الذهاب بسبب أنيسة ) : بل نذهب معاً .  
فأنيسة ستبقى معهم غداً وبعد غدٍ وبعده .  
\*\*\*

### ( المشهد 152 )

ام حليلة تفتح لخالد وأمه الباب , وكانت تنوي الخروج , وبعد السلام , تعتذر ام حليلة قائلة :- انا مضطرة للذهاب الآن ..  
تدخل ام خالد الى غرفة الحاجة حيث تجلس أنيسة أيضاً .. يسلم خالد ثم يذهب الى غرفة الشيخ , تجلس ام خالد صامته , بينما ترقد زوجة الشيخ , وبعد لحظات تقول لأنيسة :- اعلمي لنا والشيخ شاياً , يا ابنتي .  
تنهض أنيسة , وتخرج إلى المطبخ . وتبقى ام خالد تنظر إليها بنظرات فاحصة ..  
لقد كانت أنيسة هادئة , حزينة .. ونظيفة أيضاً . وتلاحظ زوجة الشيخ نظرات ام خالد , فتقول :- كم مرة , أردتُ المجيء إليكم .. ولكن الظروف يا أختي .  
\*\*\*

### ( المشهد 153 )

انيسة في المطبخ , تعدُّ الشاي . تتحرك بارتباك واضح، وخالد يجلس مع الشيخ في الغرفة الأخرى ..  
\*\*\*

### ( المشهد 154 )

الشيخ يقول لخالد وهما جالسان في الغرفة :- هل تصدق يا ولدي ؟. وقاص يفعل كل ذلك ؟ لماذا ؟ لقد سلّمت له الأمانة بنيةً صادقة . دائماً كنت أقول له أصبت يا وقاص ، فالأمور هي كما قلت أنت .. ودائماً كنتُ أقول له، ما رأيك يا وقاص ؟ إنني

لا أعرف كيف ابدأ ؟ ومن أين أبدأ ؟. وكان دائماً يأخذ سوطه .. ثم يأتي وقد أرسى كل شيء , فأقول له , نعم يا وقاص .. لا أدري كيف تكون الأمور بدونك . فهل كنتُ مخطئاً ؟ هل ما يحدث الآن هو بسبب كل ذلك ؟ هل اذهب اليه الآن لأقول له كلا يا وقاص إن ما فعله ليس صحيحاً ؟. أنت مخطئ هذه المرة يا وقاص . وممّ تخاف يا وقاص وقد سلمتكَ كلَّ شيء بإرادتي أنا ؟.

كان خالد , اثناء حديث الشيخ معه , يتأمل في البندقية القديمة المعلقة بطريقة رديئة على الحائط , أسفل الساعة الواقفة . الى المبخرة الكبيرة , الموضوع في ركن الغرفة , الى المصباح الزيتي , الموضوع على الرفّ المثلث في الزاوية .. وعندما ينتهي الشيخ من حديثه , يبقى خالد صامتاً لحظات .. وأخيراً يقول للشيخ باعتذار :- أنت تعرف "وقاص" أفضل مني ... ولكني لا أعرف كيف اشرح لنفسى السبب الذي يجعله يؤذيك ؟. اذا قلنا السبب هي الزعامة , فهذا هو الشيخ بإرادتك أنت والحاحك ... واسمح لي لو قلتُ , انك بالنسبة إليه شيخ انتهى ..والخوف الطبيعي , هو عادة من شيخ يمكن أن يأتي .. هذا اذا افترضنا أن المشيخة بالنسبة لو قاص هي الهم .. هي كل ما يريد أن يحافظ عليه .. ولا يحدث هذا , الا إذا شعر بأنها بدأت تهتز بين يديه .. وأنت تعرف أيها الشيخ .. أن كل هذه المبررات غير موجودة بل بالعكس , كل الناس , هنا صاروا يشعرون أن وقاص قادر على كل شيء .. وهو يعرف هذا جيداً .. اذن لا يبقى الا افتراض واحد ... وارجوك أيها الشيخ أن تفهمني .. وأنت تعرف ماذا أنت بالنسبة لي .. إنه أحياناً يمكن أن نبالغ في احساساتنا , خاصة عندما تكون حالتنا النفسية وظروفنا اليومية غير مناسبة , فيها شيء من عدم الاستقرار , عدم التعود على الأمور الجديدة .. وأنا اظن أن ما قاله لك صبر الشعار فيه مبالغة , فيه تطيّر وخيال رجل أنت تعرف أنه أحياناً لا يقول ما يحدث فعلاً , بل ما يعتقد أنه يحدث .. فبدلاً من أن يقول لك أن عبد الواحد أراد أن يضرب بينك وبين وقاص عسى أن يتحمس واحدا منكم لإنقاذه من ورطته .. ( وربما فهم وقاص لعنّبه وحصل ما حصل ..) قال لك صبر ما تخيله هو .. نظر فقط الى جروح عبد الواحد ونسىّ السبب الذي وضعها وقاص على جلده .. أنا لا أريد أن اظلم أحداً .. ويهمني فقط راحتك أنت , وما تعانيه هو بسبب طيبة قلبك ... التي .. التي تعرف أنها .. سبب الكثير من الامور التي لم تكن راضياً عنها ..

ويشعر الشيخ أن كلام خالد معه , ازاح عنه بعض همّه فعلاً .. لكنه ما يزال , دون أن يعرف السبب , يشعر أن " وقاص " أراد أن يؤذيه فعلاً , فيقول ..

:- أنا لا أخالفك يا ولدي .. ربما رجل مثلي .. في وضعي .. بعد الفشل الذي أكل قلبي وعقلي .. ربما ... صرثُ أفكر كما قلت ... ولا أقول غير ما قلت , ربما سحرني صبر الشعار بلسانه .. ولكن , ها هو وقاص يطلق أنيسة لسبب بسيط هو أنها خالفت أمره وجاءت إليّ ..

ويدرك خالد أن الشيخ , بدأ يتراجع , ولم يبق بين يديه الا هذا السبب الواهي.. وقبل أن يتكلم .. تطرق انيسة الباب وتدخل بصينية الشاي وهي تقول : الشاي يا عمي الشيخ .

وينتبه الشيخ للطفلة النائمة , فيقول لأنيسة : ضعي الشاي , وخذي خوله . تضع أنيسة صينيته الشاي , بارتباك واضح . ثم تنحني لتحمل خوله التي أغفت بين الشيخ وخالد , ترفعها بحركة سريعة , دون أن تكون قد أمسكت بها جيداً , وعندئذ تميل أنيسة , بفعل ثقل الطفلة النائمة , حتى تكاد تسقط هي والطفلة .. فيهب خالد بحركة عفوية سريعة ليمسك بالطفلة قبل أن تسقط للأرض , فتقع يده على يد أنيسة التي تشبثت بخوله . لحظة خاطفة والتقت العينان . والشيخ يقول انتبهي يا أنيسة , الشاي ... تأخذ أنيسة خوله وتخرج , تاركة " خالد " لاهثاً أمام الشيخ الذي سحب صينية الشاي إليه , وبدأ يسكب الشاي في الكأس ..

\*\*\*

### ( المشهد 155 )

خالد في فراشه .. لم ينام .. وبحركة عفوية يضع يديه على صدره , ثم يتلمس بأصابعه كف يده اليمنى .. اليد التي لمست أنيسة ..

\*\*\*

### ( المشهد 156 )

أنيسة تنام جنب طفلتها في غرفة الحاجة . وكأنها تتذكر فجأة أنها الآن في بيت الشيخ عبد السلام . ترفع رأسها , ورغم الظلام تستطيع أن تميز الحاجة المستلقية على سريرها .. تُصغي لابنتها . تتأمل وجهها الصغير المستسلم للنوم بشكل عجيب .. " هل هي فعلاً في بيت الشيخ ؟ " . تكاد أن تنهض حتى تُلقى نظرة خارج الغرفة .. وتتذكر يد خالد التي وقعت على يدها .. تحرك أصابع يدها اليسرى على ظهر يدها اليمنى .. كأنها تريد أن تمسك باليد التي لم يتركها خالد الا لحظات ..

\*\*\*

### ( المشهد 157 )

صباحاً , خالد يدق الباب بارتباك فتفتح له أنيسة الباب , يبادرها خالد : كيف أنت يا أنيسة ؟

وتقول له دون أن ترفع بصرها إليه : الحمد لله ..

فيقول خالد : هل الشيخ موجود ؟

وقبل أن تجيب أنيسة , يكون الشيخ قد خرج من غرفته وهو يقول :- ادخل يا خالد . فيقول خالد :- شكراً , فقط أردت إن اخذ رأيك ..

تذهب أنيسة . يلاحظ الشيخ أن خالداً يخرج , فيتبعه إلى خارج البيت , وقد لاحظ نوعاً من الارتباك والقلق على وجه خالد , رغم محاولة هذا الأخير إخفاء كل ذلك .

ويقول الشيخ : خيراً يا ولدي ؟

ويقول خالد بتردد : كان عبود عندي قبل قليل !!

ويقول الشيخ مندهشاً :- عبود ؟ وماذا أراد ؟

فيقول خالد :- يقول أن الشيخ وقاص يريد رؤيتي ! . لم افهم منه , سوى أن الأمر يتعلق بعملتي في بيت السدر .. وأنا لا ادري ماذا أفعل ؟! قال انه ينتظرني بعد صلاة العصر .. فماذا ترى يا شيخنا ؟

ويقول الشيخ :- تذهب إليه , تذهب إليه , لعله يريد أن يستشيرك في شيء .. فيجب أن تفيده بعلمك ..  
ويقول خالد :- أنا قلت نفس الشيء .. ومع ذلك أردت إن أخبرك !!  
\*\*\*

### ( المشهد 158 )

الشيخ مع زوجته . وأنيسة تغير لملابس ابنتها استعداداً للخروج . ويقول الشيخ لزوجته :- أليس كذلك يا حاجة ؟  
فتقول الحاجة :- لا اعرف كيف أقول لك , ولكن قلبي يقول لي بان " وقاص " لا ينوي لنا خيراً ..  
ويقول الشيخ :- لا أدري , يا حاجة , لا أدري .. ولكن , ربما أنا مخطئ .. ربما لم أفهم ... رغم أنني اشعر أيضاً كما تقولين أنت . لم انم البارحة , ولن استطيع أن استقر على رأي .. ولذا يجب أن اجلس مع الفقيه عبد الغفار , فهو مهما كان , رجل يتقي الله , حتى اعرف منه , ربما أكون ظالماً لنفسي . ولغيري ..  
تدخل أنيسة بعدما استعدت للخروج , وهي تحمل خوله , فتقول :- انا ذاهبة ...  
وتقبل يد الشيخ , تودع الحاجة . لكن الشيخ يقول لها :- أرجوك يا ابنتي . وأنت خارجة , دقي الباب على ام خالد .... وقولي لخالد أن يمر عليّ ..  
تخرج أنيسة ... ويقول الشيخ لزوجته :- سيأتي الفقيه اليّ وأنا متأكد من ذلك , عندما يقولها له خالد .  
\*\*\*

### ( المشهد 159 )

أنيسة تحمل ابنتها وتقف أمام الباب و يخرج خالد بملابسه المنزلية . يُدهشه وجود أنيسة على الباب فيقول بشكل عفوي : أهلا بك .. ادخلي ..  
وترد عليه أنيسة بصوت خفيض :- يريد أن يراك عمي الشيخ .  
يخرج خالد معها دون تفكير , ويسير باتجاه بيت الشيخ , أنيسة تسير إلى جانبه , وتشعر انه يريد إن يقول لها شيئاً .. لكنه متردد . يصلان قرب باب بيت الشيخ فتقول أنيسة معذرة : أنا اذهب .  
يسألها خالد , الذي ظن أنها ستأتي معه الى بيت الشيخ : أين تذهبين ؟  
فتقول : إلى بيتي ... أراك بخير .  
وتمشي خطوات فيتبعها خالد قائلاً :- ومتى تأتين ؟ قصدي متى تأتين لبيت الشيخ ؟  
فتقول له : لا ادري . ربما بعد غد ..  
وتمضي مسرعة . ويرى خالد فجأة بأنه جاء مع أنيسة بملابسه المنزلية , فيعود مسرعاً إلى منزله .  
ومن بعيد , كان شخصاً قادماً . توقف لحظة وهو يرى خالد مع أنيسة ... وانتظر حتى دخل خالد منزله ... وعندما مرت أنيسة بجانبه , تنحنح بصوت مفتعل وتوجه بعد ذلك إلى بيت عمه .. لقد أحس عبد المعطي أنه محظوظ فعلاً عندما جاء في هذه اللحظة بالذات إلى بيت عمه , ليرى انيسة مع خالد وحدهما في الطريق !!  
\*\*\*



### ( المشهد 160 )

خالد وقد غير ملبسه , يخرج متوجهاً إلى بيت الشيخ مسرعاً ... لكنه عندما يصل إلى باب البيت يسمع صوت الشيخ عالياً : اخرج ... لا أريد إن أراك في بيتي أنا بريء منك ...

ويقول عبد المعطي لعمه :- سأخرج يا عمي .. لكن اسمح أن أقول لك ... ويقاطعه الشيخ :- لا أريد أن اسمع منك اي شيء ... ويقول عبد المعطي :- سامحك الله يا عمي .... أردتُ أن أقول لك عن زوجة عبد الواحد ..

ويقول الشيخ :- إن لم تخرج يا عبد المعطي .. قمت إليك بهذه البندقية . يدخل خالد . يرى عبد المعطي واقفاً في باب غرفة الشيخ . ويلتفت عبد المعطي للخروج فيلتقي بخالد فيقول له ببرود : كما ترى يا أستاذ خالد , عمي يطردني من بيته , ولكن ماذا افعل ؟ أمري الى الله .. وفي هذا الزمن لا تفعل خيراً .. ويخرج عبد المعطي . يركض خالد إلى غرفة الشيخ , فيراه لاهثاً , مصفر الوجه يتنفس بصعوبة , فيسرع إليه , ثم تأتي الحاجة من غرفتها وهي تقول :- لماذا , لماذا فعلت ذلك ؟ ويقول الشيخ :- أريد ماءً . أعطني يا حاجة قليلاً من الماء .

\*\*\*

### ( المشهد 161 )

عبود وسعدون يجلسان في المقهى . يمر عليهما عبد المعطي بعد أن طرده عمه من بيته ويسلم , وبعد خطوات يتوقف ويعود ليجلس مع عبود وسعدون وهو يقول : لا ادري ماذا حصل للناس , جاهلهم و متعلمهم ! يلتفت إليه عبود متسائلاً :- ماذا بك ؟ تهذي مع نفسك ؟ فيكمل عبد المعطي تنهاته قائلاً : اللهم ان هذا لمنكر . ويسأله عبود : ماذا حدث ؟

ويقول عبد المعطي :- إن بعض الظن إثم .. وليغفر لي ربي .. ولكن هذا منكر!! خاصة من رجل متعلم .. فيقول عبود بغضب : قل لنا يا عبد المعطي , وبدون كل هذه الديانة التي تخرج من فمك .. ماذا حدث ؟

فيسأل عبد المعطي : منذ متى وأنتما هنا في المقهى ؟ الم تروا امرأة تمر .؟ . فيقول عبود : نعم , لقد مرت أنيسة مع ابنتها قبل قليل , أليس كذلك يا سعدون ؟ فيقول عبد المعطي :- رأيت الاستاذ خالد يخرج من مدرسة الجامع يتلفت , وبعد قليل تخرج أنيسة .. ومدرسة الجامع هذه الأيام خالية كما تعلمون . قلت مع نفسي .. ان ابنة أنيسة ما تزال صغيرة على القراءة والكتابة .. فلماذا هي مع الاستاذ ؟ وأين ؟ في مدرسة الجامع !. أنا لا اعتب على امرأة ... ولكن أن يفعلها رجل متعلم .. ومع مَنْ ؟ مع امرأة ما تزال تحت عصمة زوج . ليس هذا هو المنكر بعينه ؟ أم أنا غلطان ..!؟

\*\*\*

### ( المشهد 162 )

الشيخ وقاص يصلي بالناس.  
\*\*\*

### ( المشهد 163 )

المصلون يخرجون من المسجد , عبود ينتظر الشيخ وقاص على أحر من الجمر . يخرج وقاص فيتبعه عبود ويسلم عليه . يلاحظ وقاص أن حالة عبود غير طبيعية ' فيسأله : ها هل عاد طالب من سفره ؟ فيقول عبود بتردد : لم يأت ولكني التقيتُ بعبد المعطي . وهو يقول .. اشياء غريبة ويسأله وقاص دون اهتمام كبير :- ماذا يقول ؟ عبود بتردد : انه يقول , واذا شئت اسأله بنفسك أيها الشيخ , يقول شاهد أنيسة والأستاذ خالد في مدرسة الجامع لوحدهما ... يقف وقاص بمجرد ذكر اسم أنيسة . يقف ويقف أمامه عبود مرتباً امام حالة الشيخ وقاص الغربية هذه . يقف وقاص وكان عبوداً يقصّ عليه نهاية العالم .. ولم يسمع وقاص بقية كلام عبود .. كان عبود يقول ... دون أن يسمع وقاص .. شيئاً .. لكن وقاص ينتبه لذهول عبود , وهو يقول :- وخالد , أيها الشيخ , سيمر عليك , كما طلبت ...  
\*\*\*

### ( المشهد 164 )

خالد يتحدث الى الشيخ وقاص , وهذا يستمع إليه , وهو ينظر اليه , يتفحصه . دون أن يسمع منه شيئاً . كانت شفتا خالد تتحركان عبثاً .. والشيخ وقاص ينظر الى هذا الرجل الذي استطاع أن يأخذ من بين يديه أنيسة .. ربما هو السبب الذي جعل أنيسة تتعامل معه كما حجرة !! كان الشيخ مع مجموعة من معاونيه , يستمع إلى خالد في بيته , وبالضبط في غرفته .. وخالد ينتبه لغياب الفقيه عبد الغفار .  
\*\*\*

### ( المشهد 165 )

خالد يمر على الشيخ عبد السلام , بعد عودته من عند وقاص , وهو يقول له بلهجة واثقة , تخفي ضمنها فرحاً :- لم اصدق , وكان ظني صادقاً أيها الشيخ .. لقد طلب مني الشيخ وقاص أن استمر في عملي .. فهو يفكر أن يشترك كل الناس هنا في فتح مجرى مائي يأخذ من وراء جبل الرحمة ويعطي البلدة .. انه يريد إن يعمل ما كنت تطمح اليه .. وهو اعترف لي بنفسه .. بأن فضل هذه الفكرة يعود اليك أنت .. الم اقل لك أيها الشيخ .. إننا أحياناً نفكر بطريقة خاطئة .. فيقول الشيخ بارتياح كبير : الحمد لله .. الحمد لله .. إذن يا ولدي يجب أن تعمل ... فهذه هي الأحجار تقول لك شيئاً مفيداً لنا .. ويقول خالد :- نسيت أن أخبرك .. أن الفقيه ليس بصحة جيدة , انه اليوم لم يستطيع المجيء الى المسجد ..

فيقول الشيخ بقلق :- اذن يجب أن أزوره .. سأذهب اليه اليوم هل تجيء معي يا ولدي .. فقد يجعله الله علينا اليوم فاتحة خير ..  
ويرد خالد معتذراً :- لن أستطيع أن آتي معك ... لقد ألهمني سؤال الشيخ وقاص لي أفكاراً جديدة .. وأريد إن أتحدث معها .. لدي أحجار كثيرة , وسأراها مرة أخرى ...  
فيقول له الشيخ عبد السلام :- صدقت يا ولدي ... الوقت من ذهب ..  
( ام حليلة تسمع .. )

\*\*\*

### ( المشهد 166 )

ام حليلة تقول لابنتها بعجله :- هذه هي الليلة المناسبة تحركي بسرعة يجب أن نذهب الآن ..  
وتقول حليلة بتردد :- أنا خائفة .. خائفة يا أمي ..  
فنقول أمها بلهجة حاسمة :- اذا فاتت هذه الليلة ... سيضيع كل شيء .. فخالك لن يعود الا بعد العشاء .. انا أعرفه .. وخذي معك الرماد والحجرة .. تأكدي أنها معك.  
\*\*\*

### ( المشهد 167 )

عبود يقف مرتجفاً امام الشيخ وقاص والشيخ يقول :- أريد حجارة لثلاثة عصافير !  
هل تفهم يا عبود ؟  
ويقول عبود مرتبكاً : لا اكذب عليك أيها الشيخ , أنا لم أفهم !  
فيقول وقاص :- عندما يدخل خالد وأنيسة الى مدرسة الجامع يغلق سعدون الباب عليهما وتذهب أنت حتى يأتي معك عبد السلام ويشهد معكما الجرم .. ثلاثة عصافير انيسة وعبد السلام وخالد ... هل فهمت ؟. يجب أن تفهم يا عبود .. لأن الرجل الذي سيصير ذراعي الأيمن .. يجب أن يفهم  
ويقول عبود وهو في حالة من الارتباك والفرح :- ولكن كيف نراهما ؟. اعني كيف ندري انهما سيذهبان إلى مدرسة الجامع ؟  
ويرد وقاص :- هذا ليس شغلي .. واذا أردت أن تبقى معي يجب أن تفعل ما اطلبه منك .. حتى وان كان ذلك في آخر يوم من حياتي .. لا يجب أن تغفل عينك لحظة عن انيسة عندما تذهب لبيت عبد السلام .. أنت وسعدون اربعة عيون .. وهي واحدة ... ومنذ الآن اعتبرنا نفسيكما في حلٍ من كل عمل .. الا هذا .. وأنت ترى كم أثق بك يا عبود .. حتى انني اكفلك بأهم عمل أريده في حياتي .. فإياك أن تغفل او تنسى لحظة .. وأخبرك بأن هذا الشيء لا يجب أن يعرف عنه الا نحن .. أنا وأنت وسعدون ... لا أكثر .  
\*\*\*

### ( المشهد 168 )

الاستاذ خالد يجلس امام طاولته .. أحجاره الكثيرة ولوحته الحجرية بين عينيه .. انه ينشغل الآن بقطعة من الحجر مختلفة في مظهرها عن بقية قطع اللوحة . لها وجه مستطيل منجور وعليه خطوط متداخلة.. هذه القطع ذات خلفية مثلثة غير مسواة مثل البقية .. اضافة لكونها تضيق تدريجياً .. والتلم الظاهر يوحي وكأنها كانت تمتد

الى الخلف مشكله ما يشبه الهرم .. وموقعها المحتمل هو في الركن الأسفل الأيمن من اللوحة الحجرية .. هل يشكل هذا النتوء الهرمي .. أشبه بمسمار حجري كانت تثبت بواسطته اللوحة على الحائط ؟

ينظر خالد.. نعم القطعة الحجرية المسمار هذه .. تتمم خطوط احجار اخرى ... ويكاد يرى خالد مجموعة أجساد بشرية تأخذ صخوراً ثقيلة من أعلى وتضعها في منخفض من الأرض.. ويقف خالد فجأة ، لقد تذكر أن تلميذة ( نوري ) سبق وأن جاءه بصخرة هرمية مشابهه الى هذه الحجرة المسمار وطلب منه أن يركنها في بيت السدر.

ويخرج من غرفته . المساء قد هلّ . وأمه تصلي المغرب . فيقول وهو خارج ، إلى أمه :- أنا ذاهب إلى مدرسة الجامع ، لقد تذكرت شيئاً مهماً .  
\*\*\*

### ( المشهد 169 )

خالد في المدرسة ويدخل غرفة بابها ازرق قديم . أحجار مرتبة سبق له وجاء بها من مكان بيت السدر ، ويبحث خالد باهتمام بين قطع الحجارة ..... يبحث .. رغم الظلام الذي أخذ يعتم في الغرفة .. ويقول مخاطباً نفسه :- إنها إذن في بيت السدر .. لقد وضعها نوري هناك .  
\*\*\*

### ( المشهد 170 )

خالد في البيت ، يمسك بمصباح زيتي ، وكيس قماش ، وأمه تقول له :- ولم العجلة يا ولدي انتظر حتى الصباح ... الصباح رباح ... فيقول لها :- كلا يا أمي . فانا لا استطيع النوم هذه الليلة .. اذا لم أجد هذه القطعة .. انني أكاد أعرف ... أعرف ما تقوله لنا هذه اللوحة يا أمي ..  
\*\*\*

### ( المشهد 171 )

أذان العشاء .. وخالد بين الحجارة المتناثرة والظلام الذي يبعثره المصباح الزيتي في بيت السدر .. وخالد منهمك تماماً في بحثه عن هذه الحجارة الهرمية ... :- أين رميت بها أيها الملعون ؟ . كان يجب ان أضعها بنفسي .. صمت ليل المقبرة المجاورة .. وهذا المكان القديم .. ومن السقف يستطيع خالد أن يرى نجوم الليل الوامضة .

انه يبحث تحت أكوام بعض الحجارة .. عندما يرفع مصباحه ، في حركة تدل على يأسه من عملية البحث .. يجدها .. هناك قرب الباب الواطئ لبيت السدر، مرمية بإهمال وقد غطتها كومة من تراب .. فيأخذها . كمن وجد كنزاً ، ويتفحصها على ضوء مصباحه الضعيف .. يضعها في الكيس ألقماشي ... ويخرج من الباب الواطئ ، ثم يقف ويُخرج حجارته الهرمية كأنه يريد أن يتأكد من جديد من وجودها الحقيقي معه .. وأمامه المقبرة تمتد بقبورها المستسلمة لهذا الليل .. ويطفي مصباحه الزيتي ، ويمشي مسرعاً .. عجولاً ، يريد أن يصل إلى منزله بأسرع وقت .. لكنه لم يكد يرفع قدمه .. حتى جاءت في مكان وعر فيكاد يسقط ، ويحاول أن يعتدل ..

لكن صرخة مفاجئة , صرخة نسائية هائلة انبثقت من أحد القبور ويقف خالد مرعوباً .. للحظة , ويلتفت إلى مصدر الصوت .. هناك جسد إنساني يتكوم على قبر ... هذا لاشك فيه .. ويسرع خالد إليه .. أنها امرأة . ويشعل خالد مصباحه بيد مرتعشة , وعلى الضوء الضعيف يستطيع أن يرى خالد ويميز , أنها حليلة .. تلف نفسها بعباءة سوداء , لكنها ترتدي تحتها ثوباً شفافاً . من الدانتيل , كأنها جاءت الى سريرها لتنام .. كانت أيضاً محلولة الشعر ..

: مَنْ؟ .. حليلة؟

لكن حليلة كانت فاقدة الوعي . يضع مصباحه قريبا ويرفع رأسها عن تراب القبر الصغير . ويضربها على خدها عساها تفيق , قائلاً : انا خالد يا حليلة , ماذا تفعلين هنا .. مَنْ جاء بك إلى هنا ؟

وتفتح عينيها بإعياء .. فتجد نفسها بين يديه , ينظر إليها باستغراب ويقول

:- أنا خالد , لا تخافي .. انهضي .. أنت تنامين على قبر !!

تنهض حليلة , مرعوبة , لكنها تنهار . يرفعها خالد :- انهضي , تمسكي بعنقي يا حليلة .

وتقول له باستسلام :- ساعدني .. انا لا أستطيع النهوض ..

وتمد اليه يدها الممسكة بحجارة .. فيقول خالد

:- ما هذه ؟ فتقول حليلة :- إنها لي ..

فيقول خالد : حسناً , هاتها . ( يأخذ الحجارة منها ويضعها في كيسه القماشى دون اهتمام ) وتنهض حليلة مستندة عليه .. يحملها ويسير بها بعيداً عن القبور .. وهو يقول :- تمسكي بي جيداً .. وسأوصلك لبيت الشيخ .

كان يمسك بالمصباح المضاء والكيس القماشى بيده اليسرى , ويلف حليلة بيده اليمنى خشية أن تقع .. فتقول له :- لا أستطيع الذهاب إلى بيت خالي .. وأنا في الحالة هذه .. دعني اجلس هنا , حتى استريح .

ويتركها تجلس على صخرة كانت بقربها .. وهي تلهث .. كانت إمامه بثوبها الشفاف وشعرها المحلول , كما لا يحلم أبداً انه يمكن أن يرى حليلة بهذا الشكل ... فتسأله بعفوية :

:- ماذا كنت تعمل هنا ؟!

ويضحك على سؤالها الغريب هذا قائلاً :- أنا ؟ جنّت حتى أراك ؟!

وتسأله بنفس العفوية :- تراني ؟ وهل كنت تعرف ؟. من قال لك ؟

ويقول باستهزاء :- زهرة الشوافة !!

وتتنبه حليلة للمصباح الزيتي , فتقول : اطفئ المصباح " قد يرانا الناس .. "

أرجوك .. لا أريد أن يرانا أحد !!

\*\*\*

### ( المشهد 172 )

تدخل حليلة , فتجد أمها واقفة تنتظرها وراء الباب .. تدخل ذاهلة , ورغم هيأتها التي حاولت أن تجعلها طبيعية جداً , فان أمها تلاحظ شيئاً غريباً , أكثر من الخوف

على وجه حليلة , وتبادر إلام بالقول :- تأخرت يا حليلة .. واحمدي ربك أن خالك  
لم يعد حتى الآن ...  
تمسك ام حليلة يد ابنتها وتدخل بها الى الغرفة : تعالي ارتاحي ... هل فعلت كل  
شيء ؟ .

فتهز حليلة رأسها بالإيجاب ..  
وتقول الحاجة :- ان شاء الله , سيكون كل شيء كما نريد  
ارتاحي يا ابنتي , فلم يكن الأمر سهلاً ..  
وتسأل ام حليلة ابنتها بشكل مفاجئ :- أين الحجرة ؟  
وتتذكر حليلة .. تتذكر جيداً , فتقول .. آوه .. يا أمي .. لقد نسيت الحجرة .. نسيتها !  
\*\*\*

### ( المشهد 173 )

الكيس ألقماشي تحت السرير على الأرض .. وقد انفتح وطلت منه الحجرة ...  
حجرة حليلة . وخالد يتمدد على سريره .. بملابسه التي جاء بها من بيت السدر ..  
يتمدد على جنبه , ويده متدلّية , مفتوحة الكف , كأنها انفتحت الآن , وسقط منها  
كيس القماش على الأرض .. وانفتح لتخرج منه حجرة حليلة ... انه ينظر للكيس  
ولكنه لا يراه ... واجماً .  
\*\*\*

### ( المشهد 174 )

عدنان يفتح الباب لأخيه عبد المعطي , الذي يبادر بالقول :- أين حليلة ؟ لقد فعلتها  
ألكبه . فيرد عليه عدنان مستغرباً ! ماذا جرى ؟ حليلة في بيت عمي ..  
فيقول عبد المعطي غاضباً :- لقد طردني من بيته .. لماذا ؟ إن في رأسه شيئاً لم  
اعرفه .. ربما فعلتها ابنة عمك يا عدنان .. لقد فاحت رائحة النفط !!  
\*\*\*

### ( المشهد 175 )

عبود وسعدون يجلسان في المقهى , انهما ينتظران ان تمر أنيسة وهي في طريقها  
إلى بيت الشيخ عبد السلام , وفجأة يقول سعدون :- عبود .. انظر ..  
ويرى عبود شخصاً يمر مسرعاً إمام المقهى ..  
فيقول عبود : انه طالب ! طالب بن اولاد السامر ! لا تدعه يراك تراقبه وبعد قليل  
يقول عبود : لنذهب حتى نخبر الشيخ .. قبل أن يهرب ..  
ويقول سعدون متسائلاً :- وأنيسة ؟ ربما تمر و لا نراها .  
\*\*\*

### ( المشهد 176 )

يقف عبود صامتاً مذعوراً امام صوت وقاص الهادر , الغاضب :- والآن ماذا افعل  
بك ؟ الا تفهم , أنا لا يهمني الا انيسة .. لا يهمني الا ما قلته لك .. ما طلبته منك ,  
فيقول عبود : ظننتُ أن ...  
ويقاطعه وقاص قائلاً :- لم أمرك حتى تظن .. بل ... متى تفهم أيها الـ ... اذهب °  
\*\*\*

### ( المشهد 177 )

الشيخ وقاص يجلس مع الفقيه عبد الغفار الذي ظهرت عليه علامات العياء ..  
فيقول وقاص :- إن سلامتكم أيها الفقيه تحتاج أن يعمل الإنسان عملاً طيباً في سبيل  
الله ..

فيقول الفقيه : بارك الله فيك ..

ويقول وقاص :- فكرت أن أعيد لعبد الواحد أرضه , لقد نال جزاءه , ومهما كان  
فليس لأطفاله وزوجته ذنب فيما فعل , فما قولك؟!  
ويقول الفقيه :- خيراً ما تفعل , وتوكل على الله ..

ويرد وقاص , وهو ينظر للبعيد :- سنعطي لعبد المعطي نصف ماله على عبد  
الواحد ... ويسدد عبد الواحد الباقي عليه بضمانتي أنا , فنكون أرضينا الله  
وضمانرنا ...

ويلتفت الى الفقيه ويكمل قوله : وددت لو تمر على عبد المعطي .. لكني أراك متعباً  
, فعسى أن يأتي لصلاة العشاء هذا اليوم ..

فيقول الفقيه : كلا سأمر عليه .. أو أبعث إليه من يطلبه للحضور ..

ويقول وقاص :- إن طالب بن ولاد السامر , جاء ... رآه عبود اليوم !! وقد أرسلت  
إليه ... قبل أن يشعر بشيء فيهرب ..  
\*\*\*

### ( المشهد 178 )

تدخل ام خالد فتجد ابنها ما يزال نائماً , بملابسه ,, وعلى الأرض كيس القماش ..  
وهذا شيء لم تألفه منه سابقاً . تسرع إليه , وتوقظه

:- خالد . مالك يا ولدي ؟ كاد أن يصل الظهر .. وأنت لا تزال نائماً

يفتح خالد عينيه متثاقلاً , فنقول أمه : ظننتك أفطرت وذهبت الى مدرسة الجامع ...  
تخرج ام خالد , ويبقى خالد لحظات وكأنه في حلم .. وأخيراً يرى الكيس ألقماشى  
الملقى على الأرض .. ومن فمه المفتوح برزت حجرة حليلة .. يغمض عينيه كأنه  
لا يريد أن يتذكر ما حصل في الليلة الماضية .. لكنه فجأة يقفز جالساً على سريره ,  
يأخذ قطعة الحجر , ويتفحصها بإمعان , باستغراب .. وبدهشة .  
:- من اين أنت حليلة بهذه القطعة ؟

ويأخذ خالد الكيس , كي يتأكد أن قطعه الحجرية الهرمية ما تزال فيه , وأن هذه  
القطعة التي في يديه , هي نفسها التي أخذها من حليلة ..  
ينهض خالد إلى الطاولة , حيث توجد اللوحة الحجرية , ويضع قطعتي الحجارة ..  
إن اللوحة الحجرية تكاد أن تكتمل ..  
\*\*\*

### ( المشهد 179 )

ام حليلة تختلي بابنتها في مطبخ الشيخ عبد السلام :كنت خائفة يا أمي ... ولا ادري  
أين نسيتها ؟. يمكن أن تكون قد سقطت مني قرب القبر .  
وتقول أمها :- اذا حدث وضاعت الحجرة .. أنها المصيبة , ماذا نقول لزهرة ؟.  
سأبحث عنها بنفسى .

وترد حليلة بعفوية :- كلا .. أنا سأبحث عنها .. لقد نسيتها هناك .. نعم يا أمي  
يُطرق الباب فتذهب ام حليلة . وعندما تفتح الباب .. تدخل خوله ثم تتبعتها أنيسة ..  
\*\*\*

### ( المشهد 180 )

في الطريق عبود وسعدون , يتوقفان قرب صخرة كبيرة تشرف على مدرسة  
الجامع , بعد أن تابعا انيسة الى بيت الشيخ , فيقول سعدون متسائلاً :- هل نجلس  
هنا وننتظر ؟

فيقول عبود : نعم .

يجلس عبود يبقى سعدون واقفاً ويقول :- واذا سألنا الناس عما نفعل هنا ماذا نقول ؟  
ويقول عبود : لا نقول شيئاً !

فيجلس سعدون صامتاً لحظة لكنه يسأل أيضا :- الا يكون قد توهم عبد المعطي ؟  
فيلتفت إليه عبود غاضباً ويقول :- افتح عينيك بدلاً من فمك !!  
\*\*\*

### ( المشهد 181 )

عبد المعطي مع أخويه , في بيته يقول بخوف :- لم تسود الدنيا بعيني كما هي اليوم  
.. وأنا لا ادري ماذا افعل ؟. كان يجب أن أفكر أن لي أخاً لا يعرف رأسه من قدميه  
فيرد عدنان محتجاً :- لا تشتمني يا عبد المعطي !

ويقول عيسى :- اهدأ يا أخي , فنحن لا نعرف حتى الآن لماذا يريدك الشيخ وقاص  
؟. ربما الأمر ليس كما نتصور ؟ ربما حتى يتأكد منك حول قضية خالد وأنيسة ..

فيقول عبد المعطي مستهزئاً : انتم نيام في بيوتكم .. الأمر واضح , ها هو عمي  
يطردني من بيته وعندما يقبض الشيخ وقاص على طالب , يذهب عمي بنفسه الى  
الفتية عبد الغفار وبعدها يرسل الشيخ في طلبي .. فكيف تريدون مني الا ألق ... ها  
أنا أجد نفسي قد تورطت بسبب غياب أخي .. وحماقته .. ومن يعرف الشيخ وقاص  
غيري أنا ؟ أنا وحدي سأكل السوط ..

ويقول عدنان : كلنا يصيبنا مكروه , ولست وحدك ..

ويرد عليه عبد المعطي : نعم , صدقت , سيقتلنا غباؤك جميعاً .

ويرد عدنان باحتجاج :- اذا كنتم تعرفون انني غبي وأحمق , فلماذا تورطني معكم  
.. انتم في بيوتكم ومع نسائكم .. بينما أنا اعرض نفسي للخطر ..

ويرد عليه عبد المعطي :- وتقولها بملء فمك .. نورطك ... الم تعرف حتى الآن  
لماذا نورطك ؟

أتريد أن نفع لك كل شيء ؟. قل له يا عيسى .. قل له لماذا نورطه معنا ؟ لماذا  
يشقى ونحن ننام مع نسائنا ؟ تقول هذا ومعك ورقة تمليك عبد الواحد , وجبار ؟. هل  
كنت تستطيع أن تملك هذه الأرض لولا توريطنا لك ؟. ماذا كنت تستطيع أن تفعله  
لنفسك بدوني يا عدنان ؟. والآن تقول لي انني ورطتك .. هل سمعت يا عيسى ما  
يقوله أخوك ؟ فبدلاً من ان يفكر كيف يحل هذه المشكلة التي أوقعنا فيها .. بدلاً من  
ان يقطع لسان حليلة يأتي أخوك يا عيسى ويتحدث عن الورطة التي وضعناه فيها  
..



ويبقى عدنان صامتاً ، ثم يقول :- اعذرني يا أخي .. أنا لا أعرف ماذا أقول .. فماذا تريدني أن افعل ؟ هل اذهب وأجيء بحليمة ؟ حتى اعرف منها .. إن كانت قالت شيئاً لعمي .. هل يمكن أن تقتلني ؟ أن تضرنا ؟ ماذا افعل بها ؟  
\*\*\*

### ( المشهد 182 )

في بيت أبي حميد , يجلس صبر مع أبي حميد وهو يقول :- ولهذا لم اذهب اليوم لسوق الخميس .. قلت أجلس مع صاحبي قليلاً , ثم نذهب للشيخ عبد السلام , فانا أريد أن اعتذر منه .. فانا دون أن اعرف سبباً له ألماً .. ويقول ابو حميد : قالت أنيسة أن حالته تحسنت كثيراً . ويقول صبر :- إذن نذهب إليه ..

ويرد ابو حميد :- أنا لا استطيع الذهاب معك .. أم حميد لم تأت حتى الآن من السوق ..

وفي هذه اللحظة ، وتدخل ام حميد قادمة من سوق الخميس . وبعد أن تضع السلّة التي جمعت فيها ما اشترته من السوق تقول :- يقولون في سوق الخميس أن مجلس البلدة سيحاكم غداً طالب بن اولاد السامر ..

ولا ينتبه صبر لكلام ام حميد , ويكرر سؤاله : تعال معي يا صاحبي .. فيقول ابو حميد :- بالتأكيد سيحضر غداً , وتراه .. اقسام لك بانى غير قاد أن امشي خطوة واحدة .  
\*\*\*

### ( المشهد 183 )

يخرج الشيخ عبد السلام من غرفته ويقول لزوجته : سأذهب اليوم لصلاة الجمعة في المسجد يا حاجة . وأريد أن ادخل الحمام , لكنى لا أجد جلبابي الأبيض , أين وضعتموه ؟

وتقول الحاجة من داخل غرفتها : اسأل أنيسة , فهي التي جمعت الملابس . فتقول أنيسة من داخل المطبخ :- لقد وضعته في الصندوق . انتظر لحظة , وسأتيك به

ينتبه الشيخ , فيجد حليمة واقفة في باب البيت : ماذا تفعلين يا حليمة ؟ تدخل حليمة وترد باب البيت دون أن تقفله .. ويتوجه الشيخ الى الحمام ..  
\*\*\*

### ( المشهد 184 )

عبود يقول لسعدون , وهما خلف الصخرة : ها هو الاستاذ خالد .. ويقول سعدون وهو يحدق بالجهة التي يشير إليها عبود : انه يدخل المدرسة .. لوحده !

ويلتفت إليه عبود :- وهل تريدكما أن يدخلنا مدرسة الجامع سوية ؟ انتظر .. يرفع سعدون يديه بالدعاء قائلاً :- ربي ارحمنا في يوم الجمعة هذا .  
\*\*\*

### ( المشهد 185 )

تجلس حليلة في باب المطبخ , بينما خوله تلعب أمامها . تخرج أنيسة من المطبخ وتذهب إلى غرفة الشيخ .. تنهض خوله وراء أمها , ولكنها بدلاً من أن تدخل غرفة الشيخ ترى الباب الخارجي , شبه مفتوح , ففتحه وتخرج إلى الطريق , تتحرك حليلة , لكنها تتراجع وتبقى جالسة في مكانها , وكأنها فكرت في شيء ..

تعود أنيسة من غرفة الشيخ ويدها جلاببه الأبيض وهي تقول بصوت مرتفع : ها هو الجلابب الأبيض , وضعته لك يا عمي الشيخ في باب الحمام . وتدخل أنيسة إلى المطبخ دون أن تنتبه لغياب خوله ... وفجأة تقول حليلة : أين خوله يا أمي ؟ فتجيب ام حليلة من داخل من داخل غرفة الحاجة :- لا أدري , أليست معكما ؟ تنهض حليلة مسرعة , وهي تقول لقد خرجت .. إلى الطريق !! تركض حليلة بعد أن تحكم لثامها على وجهها وكأنها تعرف بان وراءها عمل بحاجة إلى لثام .. وتخرج حليلة ... وفعالاً , وكما توقعت واردات هي , تلمح خوله وهي تدخل باب مدرسة الجامع , فتجري وراءها بسرعة ... وتدخل المدرسة ..

\*\*\*

### ( المشهد 186 )

خلف الصخرة , عبود يهب واقفاً وهو يقول لسعدون : لقد استجاب الله لدعائك يا سعدون , فها هي تذهب إليه في أول جمعة ...

ويركض الرجلان بكل قوتهما إلى مدرسة الجامع .. الباب كان مفتوحاً ولا أحد في ساحة مدرسة الجامع , فيقول سعدون وهو يلهث :- هل أغلق الباب ؟ فيدفعه عبود إلى داخل المدرسة , وهناك الغرفة ذات الباب الأزرق العتيق ... يسمع الرجلان همهمة .. يقتربان بهدوء ولكن بسرعة ... ويسمعان خالد يقول :- هذه الحجارة مهمة جداً .. ولن أعطيها لك ..

ويومئ عبود لصاحبه , فيقوم هذا الأخير وبحركة كأنه تدرّب عليها منذ زمان بسد باب الغرفة واضعاً قضيباً حديدياً في سقطة الباب الخارجية , ويسمع شهقة امرأة من داخل الغرفة , فيبتسم سعدون

بينما يركض عبود خارجاً , إلى بيت الشيخ عبد السلام .

\*\*\*

### ( المشهد 187 )

ويطرق عبود باب البيت , ويأتيه الصوت من الداخل : نعم , نعم وينفتح الباب وتقف أنيسة أمام عبود اللاهث الأنفاس , وعندما يراها لا يكاد يصدق عينيه , ويقول بعفوية : أنت ... ؟

وتقول أنيسة بفزع :- ابنتي , قل هل حدث شيء لها ؟ ويقول عبود ذاهلاً :- لا ...

وتصرخ أنيسة بأعلى صوتها به : قل يا عبود ماذا حدث لابنتي ؟ تخرج ام حليلة راكضة من الغرفة : لقد خرجت حليلة ... وراءها .. ويريد عبود أن ينسحب , ولكن أنيسة تمسك به من ثيابه : ماذا حدث يا عبود , أين ابنتي ؟

ولا يجد عبود غير أن يشير بيده باتجاه مدرسة الجامع , فتركض ام حليلة تنتبعها  
أنيسة ...  
\*\*\*

### ( المشهد 188 )

الظهر . والصمت يخيم على بيت الشيخ عبد السلام . والوجوم يسيطر على كل  
الوجوه .. انيسة وفي حضنها ابنتها تجلس في وسط الدار  
حليلة جلست في المطبخ الذي نلاحظ أن الأكل لم ينجز اعداده .. حليلة صامتة وقد  
وضعت رأسها بين يديها .. لا تريد أن ترى شيئاً .  
ام حليلة والحاجة في الغرفة .. أما الشيخ عبد السلام فقد وقف يصلي الظهر في  
غرفته وهو يلبس جلبابه الأبيض , وينهض الشيخ من صلاته ويطوي سجادته قائلاً  
: قل لا يصيبكم الا ما كتب لكم ...

يخرج , فيرى انيسة :- الا نتغدى يا ابنتي ؟  
ينتظر منها جواباً . ويدخل المطبخ , يقف على رأس حليلة , التي ترفع إليه رأسها ,  
وعندما تراه , تبكي وبصوت مرتفع . يمد يده على كتفها ويقول : قومي يا حليلة ...  
أريد أن أتحدث معك .  
فتقول حليلة باكية :- صدقني يا خالي .. صدقني انني لم اكذب عليك .. لقد حدث  
الأمر كله كما قلته لك .

ويقول الشيخ :- أنا أصدقك يا ابنتي .. انا أصدقك .. أنهضي ..  
تنهض حليلة وتتبع خالها . الذي يقف مخاطباً أنيسة :- لقد نجوت يا أنيسة ... نجاك  
الله وحده .. لقد فعلها الكلب .. فعلها .. أراد أن يقتلنا جميعاً ..  
وتبقى انيسة صامتة . بينما يدخل الشيخ إلى غرفة زوجته , ويجلس مع أخته وتتبعه  
حليلة .. وينادي الشيخ على أنيسة , فتأتي وتجلس .. فيقول الشيخ :- اذا كان وقاص  
قد نوى شراً فالعاقبة على من بدأ ..

وتقول ام حليلة : ماذا يحدث لو سمع عدنان , هل يصدقنا ؟  
ويقول الشيخ : نعم .. اسمعيني جيداً يا ام حليلة .. إن وقاص كان يريد أنيسة , كان  
يريدني أنا . لكن الله كان اكبر منه , فتقول أنيسة بتردد : لم يصدق عبود عينيه  
حينما رأني افتح له الباب .  
ويلتفت الشيخ لأخته قائلاً : تذكرني بالضبط ماذا حدث من أول خروجك من البيت  
حتى مدرسة الجامع .

فتقول ام حليلة : ركضت الى مدرسة الجامع ووجدت الرجل يقف إمام باب الغرفة  
وعندما رأى انيسة خلفي ترك باب الغرفة وهرب , وكان عبود يصيح عليه من باب  
المدرسة .. ثم ذهب الاثنان ..  
\*\*\*

### ( المشهد 189 )

إمام باب بيت الشيخ وقاص .. الذي كان عائداً أتوه من صلاة الجمعة , يقف مذهولاً  
لما يسمعه من عبود الذي يظهر وكأنه استعد لأي عقاب من الشيخ فيقول :- حليلة  
! حليلة أيها الغبي ؟ وما دخلي أنا بحليلة أو غيرها ؟ ما دخلي ان ذهبت حليلة

لخالد أو غيره .. والآن .. ماذا افعل بك ؟ لكن ... ادخل .. ادخل ... ستبقى هنا ...  
واسمع جيداً ما سأقوله لك ..  
\*\*\*

### ( المشهد 190 )

أنيسة تعد الطعام في المطبخ , ( تكمل اعداده , بعد أن توقفت عن ذلك بسبب  
الحادثة ) . انيسة تتحرك بانفعال واضح .. كانت حزينة وبعيون دامعة , وكأنها  
تسمع صوتها الداخلي يتساءل :- الا كان يكفي يا حليلة أن تسألني عن خوله من  
باب مدرسة الجامع ؟ لم دخلت , كيف تجرأت ودخلت إليه .. في الغرفة وحده ..  
لماذا ؟  
\*\*\*

### ( المشهد 191 )

الشيخ وقاص على حصانه , منطلقاً كالسهم , متوجهاً إلى بيت الشيخ عبد السلام  
وتتحرف امرأتان كانتا عائدتين من الحقل . فتقول كريمة :- هذا الشيخ وقاص ؟  
فتجيبها صبرية :- ماله يجري وكأنه يريد أن يطير ..  
فتقول كريمة :- ربي أحفظنا .  
\*\*\*

### ( المشهد 192 )

الشيخ وقاص ينزل من حصانه , ويتوجه ويطلق باب بيت الشيخ عبد السلام .

### ( المشهد 193 )

ام خالد جالسة في المطبخ , باكية . وخالد دخل غرفته وأغلق عليه الباب ,  
ام خالد تندب نفسها وهي تقول :- أنت يا ولدي , أنت تفعل هذا ؟ ماذا سيقول الناس  
؟ ماذا يقولون عن الاستاذ ؟ لماذا فعلت هذا يا ولدي ؟ . ومع من ... ؟!  
\*\*\*

### ( المشهد 194 )

ويقول الشيخ عبد السلام وهو ينظر في عيني وقاص :- اذن , أنت لا تعرف شيئاً  
عما حدث ؟

ويرد وقاص :- لم افهم شيئاً من عبود , انه يهذي مثل المعتوه , وجئت اعرف  
بنفسي , كنت بعثت به إليك والأستاذ خالد , لأننا اليوم في المجلس , سنحاكم طالب  
بن اولاد السامر .. وأنت تعرف جنايته .. لكنه رجع لي ... كما أخبرتك !  
ويرد عبد السلام :- حتى أنا يا شيخ وقاص ... لم افهم شيئاً .. وما فعله عبود معنا  
اليوم لا يفعله إلا مجنون أو أنه كان يهدف إلى شيء لا يعلمه الا الله .. وهذا ما  
أطالبك أن تعرف منه .. فلماذا يأتي عبود وسعدون : ويغلقون علينا الباب ؟ ويتركنا  
عبود محبوسين في الغرفة ويذهب الى بيتي ؟!

ويقول وقاص متسائلاً :- يغلق عليكم ؟ انتم ؟ انتم من ؟  
ويرد الشيخ عبد السلام :- الا تعرف يا شيخ وقاص .. على من أغلق عبود الباب ؟  
الم يخبرك ؟ هل ادعى امامك شيئاً آخر ؟ هذا الكلب ..

ويقول وقاص : كلا , لم يخبرني .. إنه يتحدث مثل المعتوه .. ألم أقل لك هذا ؟ فمن كان في الغرفة ؟

ويرد الشيخ عبد السلام :- كنت أنا يا شيخ وقاص .. كنتُ أنا والأستاذ خالد ثم لحقت بنا حليلة عندما خرجت خوله دون علمهم وجاءت ألينا للمدرسة !! ويحاول وقاص إخفاء دهشته وهو يسمع من الشيخ عبد السلام : فيقول : سأجلده .. سأجلده إمامك .. على فعلته الحمقاء هذه ..

ويقول الشيخ عبد السلام : اليوم .. وإمام كل الناس في المجلس .. ويقول وقاص بتردد : كلا .. ليس اليوم .. فالقضية هذه يا شيخ عبد السلام , فيها حرج بالنسبة لنا جميعاً .. ليس اليوم واعدك بأنك ستكون حاضراً ... ويرد الشيخ عبد السلام مستغرباً :- احراج ؟ وأين الحرج يا شيخ ؟ فيقول وقاص :- لأن عبود .. بصراحة .. يدّعي بأنه فعل ذلك , عندما شاهدا هو وسعدون إمراة تدخل مدرسة الجامع مع الاستاذ خالد .. فظننا أن في الأمر شيئاً .. ولا تنسى إن اليوم هو الجمعة .. والمدرسة كانت جامعاً .. وهكذا , كما ترى .. ففي القضية إحراج لنا جميعاً !!

فيقول الشيخ عبد السلام : الويل له .. الويل له إن كان يريد أن يمّس ابنة أختي بسوء .. إنه إذن يستحق القتل .. انني اشكوه إليك .. وسأشكوه إثناء انعقاد المجلس ... سأشكوه بنفسي حتى ينال عقابه العادل ..

ويرد وقاص : كلا .. إنه لم يكن يعرف إنها حليلة .. ومع ذلك .. اترك لي هذه القضية وسينال عبود جزاءه . لكن ليس اليوم .. إن القضية يا شيخ تمسّ السمعة .. وهي رغم ما تقول محرّجة فعلاً .

ويقول عبد السلام مصراً :- أبدا .. أبدا .. هذا حقي ... وواجبك أنت أن تأخذ بهذا الحق .. والخرج الذي تراه أنت .. لا اعتقد أنه يكون كافياً حتى ينال عبود جزاءه امام الناس ويكون عبرةً لغيره ... أنا سأشكوه لك امام المجلس ويجب أن تقوم أنت بواجبك ..

ويرى وقاص اصرار الشيخ عبد السلام ، فيقول وقد نظر في عيني عبد السلام نظرة ذات معنى :- اذا كنت مصراً فلك ما تريد ياشيخ عبد السلام .. لك ما تريد .

\*\*\*

### ( المشهد 195 )

الشيخ وقاص على ظهر حصانه , يسير كالبرق عائداً من عند الشيخ عبد السلام

\*\*\*

### ( المشهد 196 )

يفتح خالد للشيخ عبد السلام , فيقف محرّجاً ، ويبادره الشيخ قائلاً :- سنذهب معاً يا أستاذ خالد إلى المجلس .. انتظرنى وسأمر عليك بعد صلاة العصر .. فيقول خالد :- اعذرني يا شيخنا , فلا أدري ما أقوله لك .. ويقول له الشيخ :- اسكت يا رجل .. أنا لن اشك بك سوءاً أبداً .. وها أنت ترى أن وقاصاً ليس كما كنت تقول .. أراد تدميرنا جميعاً .. والآن , ليس وقت كلام .. اننا يجب أن نذهب , وسترى كيف اقلب الدنيا على رأسه ..

ويقول خالد متردداً :- اعذرنى .. لا استطيع أن اذهب .. بعدما حدث لى .. أنا اشعر بالخجل .. من نفسى ... صدقنى .. لقد حدث الأمر .. ويقاطعه الشيخ , ويحسم تردد خالد قائلاً :- كن رجلاً . واذا أردت أن تبقى في غرفتك مثل السلحفاة فأنتى لن أراك بعد اليوم .. وهذا قسم منى .  
\*\*\*

### (المشهد 197)

الناس يخرجون من المسجد بعد صلاة العصر .. يتوجهون الى المجلس .. الذي أحتشد بابه بالنسوة والأطفال .  
\*\*\*

### (المشهد 198 )

انيسة تمشط لابنتها خوله . تقبلها وتجلس أمامها قائلة :- أنتى يا ابنتى الآن حلوة .. وقد مشطت لك شعرك .. تجلسين مع الحاجة حتى أعود .. واذا أردت شيئاً قولى لحليمة .. ولا تخرجى الى الطريق .. فهناك شياطين يأخذونك .. كونى عاقلة .. واسمعى كلام حليمة والحاجة . هل فهمتِ يا خوله .. أنتى ابنة جميلة وحلوة !! تقبل ابنتها من جديد , وتضمها اليها .. ثم تمسح انيسة دمعاً طفر الى عينيها . وتنهض وتلف لثامها على وجهها : وتقول لمن فى الغرفة :- سأذهب .. أنا ذاهبة يا خالتي الحاجة .  
\*\*\*

### (المشهد 199)

فى داخل المجلس , طالب مشدود الى خشبة الجلد , وقد تمزق قميصه . والشيخ وقاص يقول له :- امامك اختياران يا طالب . إما أن تعترف بذنبك ويكون جزاؤك أن تدفع لأولاد مخلوف الضرر الذى أصابهم , أو تموت تحت السوط ... فيقول طالب متوسلاً :- اقسام بالله العظيم .. اننى لم افعل شيئاً .. كنتُ خارج البلدة .. فكيف أفعل ذلك ؟

فيلتفت وقاص الى الحاضرين قائلاً :- سترون أنه يكذب . وستعرفون انه رسم خطته منذ عامين .. كى ينتقم لأخيه .. الذى تعلمون أنه مات مقتولاً بيد عباس بن اولاد مخلوف .. فتقرب من هذه العائلة وخطب منها احدى نساءها حتى يأمنوا إليه .. وغادر البلدة بعد فعلته الشنعاء حتى يخفى جريمته .. سترون أنه يكذب .. يجلس الشيخ وقاص والى جانبه الفقيه عبد الغفار وبعض معاونيه .. يخيم الصمت على الحاضرين .. الشيخ عبد السلام والى جانبه جلس خالد .. وفى طرف آخر جلس عبد المعطي وأخواه . مرتبكاً خائفاً قلقاً .. وامام الشيخ وقاص تجلس عائلة اولاد مخلوف ( عباس و محسن ) ومن جهة أخرى يجلس بعض أفراد من عائلة السامر .. كذلك يجلس فلاحون منهم عبد الواحد التى ما تزال جروحه بادية للعيان .. ولفته .. وفى الخلف .. خلف عبد الواحد يجلس صبر الشعار والى جانبه عبد المجيد الأعمى .. الحاضرون يلاحظون غياب عبود وسعدون معاونى الشيخ وقاص ..

يتقدم الجلاد وهو رجل ضخم , ويمسح ظهر طالب بقطعة مبللة بماء فيه ملح وفلفل وبيده السوط . ويصرخ طالب مستنجداً :- اقسم بالله العظيم .. صدقني يا شيخ انا لم افعل شيئاً ..

لكن الشيخ يومئ للجلاد فينهال هذا الأخير بسوطه على ظهر طالب .. فيصرخ طالب متألماً ..

ويقول الشيخ وقاص , مخاطباً الحاضرين :- تتذكرون , وفي هذا المجلس بالذات ماذا قال هذا الرجل ( مشيراً لطالب ) لأبيه , بعدما قبل أبوه الفدية التي دفعها اولاد مخلوف .. اليس كذلك يا عباس ؟ ( مشيراً لعباس من اولاد مخلوف ) . فأنت قتلت قاسم لأنه سرق منكم بقرة .. والمجلس والشيخ عبد السلام ( يلتفت إلى الشيخ عبد السلام ) قرر أن تدفع لعائلة قاسم فدية .. فهو وان كان سارقاً .. الا انك كان لا يجب أن تقتله .. أليس كذلك يا شيخ عبد السلام ؟

ورفض طالب حينها الفدية .. وهدد .. وتوعد حتى ضربه أبوه ... ضربه امامنا وأنا أتذكر ذلك جيداً، مثلكم تماماً .. والان يدعي طالب انه بريء .. انه لم يفعل شيئاً ( يظهر الارتياح على وجه عبد المعطي .. وكذلك أخوته عيسى و عدنان ) . ويومئ الشيخ وقاص للجلاد , فينهال على ظهر طالب بالسوط .  
\*\*\*

### (المشهد 200)

انيسة تمشي مسرعه , تريد أن تصل إلى المجلس بأقصى سرعه ..  
\*\*\*

### (المشهد 201)

في داخل المجلس، طالب على وشك الإغماء، والسوط لا يزال ينزل على ظهره فيصرخ قائلاً :- سأدفع .. فقط ارحموني .. أنا أموت .. سأدفع كل شيء ... كل شيء نعم ... أنا ما تريدون ..

يومئ الشيخ وقاص للجلاد , فيتوقف عن الضرب .. ويقول وقاص : حل وثاقه !! يجلس عباس مرتعشاً .. يلتفت إليه أخوه محسن , فيمسكه , كأنه يمنعه من القيام بعمل ما ... عباس تجحظ عيناه .. وجهه يتصبب بالعرق ..

ويقول الشيخ وقاص وقد أحسّ بالنشوة مخاطباً طالب الذي انهار على الأرض بعد حل وثاقه : ستدفع لهم كل ما سببت لهم من إضرار ..

عندئذ ، لم يستطيع عباس الا إن يقف صارخاً :- كلا .. هذا ظلم ... هذا ظلم ونحن لا نريد فلساً واحداً .. لن نأخذ منه فلساً واحداً. إنه بريء .. وكأن صرخة عباس وقعت مثل الصاعقة على المجلس ومن فيه , فيلتفت الحاضرون الى عباس .. كذلك يفعل الشيخ وقاص الذي اختفت من على وجهه علامات النشوة وحل الاستغراب محلها .. ويسود صمت ... على كل الوجوه ..

فيقول صبر الشعار لعبد المجيد هامساً :- هذا أول قاتل يحس بالظلم؟!!

ويقول وقاص :- ماذا قلت يا عباس ؟. ظلم ؟ أن نأخذ من من حرقكم حرقم عليه ؟. فيقول عباس وقد تحول إلى شخص فقد كل أحساسه بالخوف أو بأي شيء آخر : انه برئ طالب بريء .. وأنا متأكد من هذا .. انه لم يفعل شيئاً ..

ويظهر على وجه وقاص , انه يواجه مشكلة غير متوقعة أبداً وتحتاج إلى معالجة سريعة وهادئة تماماً .. فيقول :- نعم يا عباس , وكيف عرفت ؟ أنا أسألك رغم استغرابي ان ما تقول أنت لا يفعله الا شخص مجنون ... قل لنا كيف عرفت ؟ وتذهب أنت وكل محصولكم إلى جهنم !

فيرد عباس : أنا مثله .. انا مثله .. قبل عامين .. كذبت عندما اعترفت بأني قتلت أخاه قاسم .. كذبت , فانا لم اقتله ... وها انا أقولها الآن لكم جميعاً .. أنا لم اقتل قاسم .. ذهبت ابحت عن البقرة المسروقة .. فوجدته ميتاً .. مقتولاً .. لكني لم أصبر كاد السوط أن يقتلني .. وفكرت انني ادفع الفدية . ولا أموت تحت السوط .. فكذبت .. وطالب يكذب .. مثلي .. مثلي أنا ... وأنا متأكد انه بريء ..

ولا يستطيع وقاص أن يتحمل أكثر . هذا التحدي .. هذا الجنون الذي يراه في عيون عباس فيقول محذراً :- اجلس يا عباس .. وتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ... فأنت تهذي بأشياء لا يصدقها العقل ... أجلسوه ( مشيراً لأخوة عباس ) . لكن عباس يبقى مصراً على وقفته رغم محاولة أخيه في سحبه ليجلس :- نعم .. كان دفع الفدية ارحم لي من سوطك ... وهذا ما يفعله طالب ... والجاني هو واحد آخر ... واحد آخر .. ( ينهض الشيخ وقاص من مقعده ويتوجه غاضباً , ويأخذ السوط من يد الجلاد )

\*\*\*

### ( المشهد 202 )

أنيسة تتدافع مع المحتشدين على باب المجلس .. حتى تصل الى مكان تستطيع أن ترى فيه الشيخ وقاص واقفاً .. وهو يمسك بعباس في وضعية تحدٍ مهيبة .

\*\*\*

### ( المشهد 203 )

في داخل المجلس , الشيخ وقاص يقول وهو يمسك بعباس بيده اليسرى ' والسوط بيده اليمين :- قف يا عباس , ولا تخف . وها أنا ارمي السوط ( يرمي بالسوط إلى الأرض ) فقط أعطنا دليلاً واحداً يثبت براءة طالب .. غير هذا الهديان الذي نسمعه منك . وستراني إمام الجميع اعترف واقر بالخطأ .. قل يا عباس و لا تخف .. ينظر وقاص في عيني عباس . يبقى عباس صامتاً .. ثم يقول :- أنا على يقين .. ولا دليل عندي .. غير ما قلت .

وعندئذ , وبطريقة مباغته يعاجل الشيخ وقاص عباس بصفعة قوية .. تجعل عباس يسقط على ظهره ملتوياً من الألم والمفاجأة .

وفجأة يرتفع صوت في المجلس قائلاً : كفى يا شيخ وقاص !.

ويلتفت وقاص إلى مصدر الصوت , وكأنه كان يتوقعها و ويقول :- نعم ... نعم يا شيخ عبد السلام .

فيقول عبد السلام :- لك علينا الطاعة , ولنا عليك المشورة

ويرد وقاص دون تردد :- نعم , حتى النبي ( ص ) قِيلَ المشورة .. فمرحباً بمشورتك . واثناء ذلك يومئ الشيخ وقاص لاثنتين من معاونيه , فينسحبان بهدوء



ويخرجان من الباب الصغير وراء الشيخ وقاص .. ويكمل حديثه قائلاً : وأنت أدري منا جميعاً ..

ويقول الشيخ عبد السلام :- أنا أسألك يا شيخ وقاص , لماذا يفعل عباس كل ذلك ؟ لماذا يرفض التعويض ؟. ويريد إثبات براءة شخص متهم بإحراق كل محصولهم .. كل قوتهم ؟.

يرد وقاص : انا لا ادعي بأنني اعرف .. لماذا . ولكني أتذكر الآن إنك يا شيخ قبل سنتين وفي هذا المجلس بالذات , وعلى هذه الخشبة ( يشير إلى خشبة الجلد ) وبهذا السوط ( يشير إلى سوطه المرمي على الأرض ) قلت .. أنت قلت عن هذا الرجل ( يشير إلى طالب الذي بدأ يتحرك وهو ما يزال ممدداً على الأرض , فيومئ وقاص لرجاله أن ارفعوه , فيحملونه الى مكان آخر ... وكذلك يفعلون مع عباس حيث يعيدونه الى مكانه ) يوم صفعه أبوه امامنا , قلت لي , أظن ان طالب سيفعل شيئاً لإيذاء اولاد مخلوف ؟ وقلت لك حينها : كلا . أنها فورة وستزول .. وكنت أنت مصيباً فيما توقعته و أخطأت أنا .. ( يلتفت إلى الفقيه عبد الغفار ) ويتذكر الفقيه , انك قلت أيضاً له: كدثُ أصدق أن عباس كان بريئاً لولا سوطك يا وقاص .. فالحمد لله .. انا اذكر كل هذا .. ولهذا و فأنت أفضل من يقول لماذا يفعل عباس كل ذلك ؟

\*\*\*

#### (المشهد 204)

المعاونان اللذان انسحبا من المجلس , مع عبود وسعدون في غرفة الحجز , وقد أوثقت أيديهما . فيقول عبود لسعدون :- هيا تتحرك , و أنت تقول ما حدث وشاهدت فعلاً , والآن و هيا بنا .

ويقول سعدون :- هل نذهب وأيدينا موثقة هكذا ؟.

ويقول عبود :- نعم . هكذا يريدنا الشيخ وقاص أن ندخل المجلس .

ويتحرك الرجال الأربعة إلى المجلس .

\*\*\*

#### ( المشهد 205 )

داخل المجلس , الشيخ عبد السلام يقول :- ومع ذلك .. نعم , كدثُ اصدق أن عباساً كان بريئاً .. اما اليوم فانا واثق من برائته !. واشهد الله على نفسي انني كنت مخطئاً بحق هذا الرجل .. واعترف إمام الناس هنا .. بأنني تعلمت منك حكمة .. لم أنسها طالما انا حي ... وهي أن ناس هذا الزمان لا يخافون من الحق بل من السوط . وأظن انك يا شيخ وقاص تذكر هذا مثلما تذكر ما حدث قبل عامين ؟ والآن , لماذا لا نقول أن "طالب" خاف من سوطك .. فقال عن نفسه ما لم يفعله ... كما قال عباس ذلك عن نفسه قبل عامين ؟.. اعرف .. اعرف أن هذا هو زمان نذل .. فلماذا لا نريد أن نصدق انه يمكن أن يوجد بيننا رجل لا يخاف من السوط لا نصدق انه يوجد بيننا مثل هذا الرجل الشجاع .. ( ويلتفت الشيخ عبدالسلام للحاضرين قائلاً ) اللهم نعوذ بك من سيئات اعمالنا و أقولنا .

ويرد الشيخ وقاص ببرود :- نعم , يا شيخ .. أن كلامك جميل وفيه حكم مفيدة , وأنا تأثرت جداً بما قلت .. واكذبُ على نفسي إذا ادعيثُ انني قادرٌ أن أقول كلاماً

موزوناً مثله .. ولكنك يا شيخ لم تقل لنا ما هو الإثبات .. الدليل , الذي يجعلنا نعتقد ببراءة طالب , أو عباس .. فانا لا يمكن أن انتظر ليجي اليّ طالب أو عباس ليقول لي إنني أكرمت .. انني فعلت هذا الشيء .. وهذا الشيء , فتعال يا وقاص حتى تعاقبني على ما فعلت .. ومع ذلك ( يلتفت إلى الحاضرين , مخاطباً الجميع ) ها أنتم سمعتم كل شيء .. وعرفتم كل شيء ... فليقل كل واحد منكم رأيه .. ليحكم بيني وبين الشيخ عبد السلام .. مَنْ منكم يرى أن الشيخ عبد السلام على حق ؟ فليقل + يدخل عبود وسعدون مع الرجلين , الى المجلس من باب الخفي , ويقفون بانتظار إشارة من الشيخ وقاص .

+ يظهر القلق على عيون أنيسة , وهي ترى صمت الحاضرين في المجلس , والشيخ وقاص يستعرضهم واحداً , واحداً .. وفجأة يعلو صوت يقول :- أنا يا شيخ وقاص

+ يقف صبر الشعار معلناً عن وجوده .. ويلتفت الحاضرون إليه . فيقول الشيخ وقاص بلهجة فيها استهزاء :- ها هو صبر الشعار يضم صوته إلى صوت الشيخ عبد السلام .

+ ويعلو صوت آخر : وأنا يا شيخ وقاص .

+ يقف عبد المجيد بمساعدة صبر ..

ويقول الشيخ وقاص : هذان اثنان، صبر الشعار وعبد المجيد ..

ويلتفت الشيخ وقاص بعد فترة صمت إلى جهة خالد الذي يجلس مرتبكاً , حائراً لا يدري كيف يتصرف , ويقول الشيخ وقاص مشيراً إليه :- و أنت يا أستاذ خالد ! إلا ترى انه من واجبك أن تضمّ صوتك إلى الرجل الذي وقف بجانبك ورعاك منذ عودتك من المدينة ... أم ان الأحجار شغلتك عن هذا أيضا !؟

فيرد خالد، متلعثماً :- وانا أرى ذلك ايضاً.

فيقول الشيخ وقاص موجهاً كلامه للشيخ عبد السلام الذي نكس رأسه : والآن يا شيخ عبد السلام .. هل لديك ما تقوله لنا ؟

ينهض الشيخ عبد السلام بتخاذل .. ويتخطى بعض الجالسين , باتجاه الباب الرئيسي للمجلس فيقول له الشيخ وقاص :- أراك غير راضٍ أيها الشيخ ؟ أليس الأمر شوري بيننا ؟ وأنا قد استشرت كما طلبت أنت , ومعك ثلاثة ومعني الباقون .. الا يرضيك أن يقول الناس الشيء الذي انه الحق .

ويتوقف الشيخ عبد السلام , ويلتفت إلى وقاص قائلاً :- الحق ؟ اتسمي ( مشيراً الى السوط) هذا حقاً ؟

والآن يظهر الغضب جلياً على وجه وقاص , فيقول : والآن , اسمع أيها الرجل , لقد تنازلت لك عن طاعتي الواجبة عليك مثل غيرك . تنازلت لك عنها لأنني لست ناكراً لحقوقك عليّ يوم كنت أنت صاحب المشيخة هنا , ولست ناكراً لسيرتك الطيبة بيننا . ولكن لكل شيء أجل .. لقد دخلت علينا بطرق ملتوية وتابعناك فيها .. حتى آخرها والآن ارى انك لا تهدف الى الحق الذي تدعيه , بل الى شيء في نفسك .. ويقاطعه الشيخ عبد السلام قائلاً :- اسكت يا وقاص ... ولا تتكلم عن الحق و أنت ابعد الناس عنه ..

ويرد وقاص :- اللهم ألهمني الصبر ..

ويكمل الشيخ عبد السلام قائلاً :- اذا كنت تعرف الحق فعلاً .. فأني أطالبك وإمام الجميع أن تأخذ بحقي من اثنين من معاونيك , حاولا الاعتداء على شرفي وتشويه سمعتي بعائلتي .. وأنا اعرف انك أنت , ولا أحد غيرك دفعهما لهذه العمل الشنيع .. ( ويلتفت للحاضرين قائلاً ) .. وأنا أريدكم ان تسألوه .. لماذا يريد أن يفعل كل ذلك لي , لماذا يريد أن يشوه سمعتي ويقتلني .. هذا إذا بقي عندنا , في هذه البلدة ضمير هي واحد .. لا يرضى بالمنكر .. ويعمل على تغييره ولو بلسانه .. وقد طلبت من وقاص في بيتي .. جاءني للبيت بعد أن انفضحت خطته وكشف الله سوء إعماله جاء اليّ للبيت اليوم , .. حتى يترجاني بالآ .. اشكي جماعته امامكم ... حتى لا أحد يعرف منكم عن سوء تصرفه ..

ويبقى وقاص هادئاً رغم فورة الشيخ عبد السلام , ثم يقول :- أردتُ ذلك يا شيخ عبد السلام لمصلحتك , ولمصلحة عائلتك .. فيقاطعه الشيخ عبد السلام :- كلا يا وقاص .. بل لتغطية أفعالك المنكرة ..

ويرد عليه وقاص ببرود :- اذن .. توكل على الله يا شيخ , وقل للحاضرين ماذا فعلت أنا .. حتى أسئ لك ولعائلتك , وعلى نفسها جنت براقش . قل يا شيخ .. قل كل ما تعرفه .. وأنا أول المستمعين إليك ..

\*\*\*

### ( المشهد 206 )

أنيسة ترى الشيخ عبد السلام يقف برهة , ثم يبدأ الحديث .. بكت أنيسة فجأة دون صوت .. وحاولت أن تسمع .. ما يقوله الشيخ عبد السلام , لكنها لم تستطع , لقد أخذتها وبقوةٍ رعشةً بكاء .. ارتعد جسمها , حتى أثارت انتباه بعض الواقفات الى جانبها .. وكان الشيخ يتكلم .. ولا تسمع أنيسة .. لقد رأت نفسها طفلة صغيرة تركض وراء الأغنام .. التي ترعاها أمها .. أرض منفسحة خضراء ... وأنيسة طفلة تسير وسط الأغنام .. وتكبر أنيسة فجأة .. وتختفي الأغنام ويمر في ذهنها صور رجال كثيرين وجوه تومض مثل البرق وتختفي .. وجوه تدعوها .. وجوه تشير إليها .. وجوه تتوسل .. وتختفي الصور .. تهتز وسط حركة الماء .. أنيسة تجلس على صخرة من صخور جبل الرحمة وقد مدت قدمها اليمنى لتغسلها في الماء .. كشفت عن ساقها لتغسل رجلها في الماء .. وتهتز صورتها في الماء .. تهتز أنيسة على أثر دفعة قوية جاءت نتيجة احتشاد الواقفات خلفها في محاولة للاقتراب أكثر فأكثر من داخل المجلس ..

\*\*\*

### ( المشهد 207 )

ويسكت الشيخ عبد السلام , فيسأله وقاص :- هل قلت كل شيء يا شيخ عبد السلام ؟ فيسأل عبد السلام :- والآن , يا وقاص , قل لي .. اين الاحراج الذي تعلت به عندي في البيت كي لا أقول شيئاً أمام هذا المجلس ؟ ويبتسم وقاص ابتسامة لها معنى ويقول :- حسناً أيها الرجل , لك ما تريد , وستعرف لماذا كنت أرجوك أن تبقى الفضيحة بيننا ..

يومئ الشيخ وقاص , فيحضر عبود وسعدون ويقفان في وسط المجلس وهما موثقان . ويسأل وقاص موجهاً كلامه لعبود :- قل لنا يا عبود , ماذا اخبرك عبد المعطي ؟ ويرد عبود : قال لي , ونحن في المقهى , أنه شاهد خالد , الاستاذ خالد وأنيسة يخرجان من مدرسة الجامع .. والمدرسة هذه الأيام خالية من التلاميذ ! ويلتفت وقاص الى عبد المعطي الذي وقع عليه الأمر كالصاعقة :- الم نقل ذلك يا عبد المعطي ؟

فيهز عبد المعطي رأسه بالإيجاب . لكن وقاص يصرخ به :- قل حتى يسمعك الحاضرون كلهم هنا .

ويرد عبد المعطي :- نعم , أنا رايتها .

الشيخ عبد السلام يلتفت الى ابن أخيه , غير مصدق ما يسمعه منه ويسأله : متى رأيتها يا عبد المعطي ؟ قل أيها الخسيس !

ويسكت عبد المعطي , فيأمره وقاص : أجب عمك الشيخ ..

فيقول عبد المعطي :- كان ذلك يوم جئتك الى البيت !! الجمعة الماضية ...

أنيسة , ورغم دموعها , فانها حتى الآن تسمع وكأنها تتوقع كل ذلك .. كأنها كانت متأكدة .. وتبقى تنظر إلى الشيخ عبد السلام الذي بدأ جسده يرتعش ..

ويلتفت وقاص إلى الحاضرين قائلاً :- وأنيسة , كما تعرفون ما تزال تحت عصمتي الى يومنا هذا . فماذا يفعل رجل مثلي عندما يسمع هذا الخبر عن المرأة التي هي تحت عصمته . كان بإمكانني أن آخذ بندقيتي واذهب لأقتلها معاً . ولكني تذكرت أن الظن أثم .. واذا جاءكم فاسق (!) بنبأ فتبينوا .. لذا قلت لعبود وسعدون هذا , أذهباً , فأنتما الشاهدان على ما يقوله هذا الرجل ... ان كان صادقاً أو كاذباً .. وأبقيت الأمر سراً بيننا نحن الثلاثة , أنا وهذان الرجلان .. وهذا هو الفقيه عبد الغفار اسألوه إن كنت أخبرته عن شيء !!

وهذا اليوم صباحاً , حدث ما توقعناه .. يدخل الاستاذ خالد الى المدرسة وتتبعه امرأة ملثمة بعدما دفعت بطفلتها أمامها تسبقها اليه .. وفعل عبود وسعدون ما يمكن أن يفعله اي غيور على خلقنا وشرفنا أغلقا الباب على هذه المرأة وهذا الرجل , وذهب عبود بنفسه الى بيت الشيخ عبد السلام حتى يحضر بنفسه ويكون شاهداً معهما .. ولكن حدث ما لم يكن أن يعرفه عبود ولا غيره .. لم تكن هذه المرأة الملثمة .. هي أنيسة كانت واحدة أخرى ..

وتعلو وجوه الحاضرين , كلهم علامات الاستفهام .. امام هذه الأحداث التي يسمعون عنها لأول مرة .

عبد المعطي وعيسى وعدنان (على الأخص) يرتعبون وهم يسمعون حديث وقاص , وخالد جلس مصفر الوجه , لا يقدر أن يظهر تماسكاً ..

ويقول الشيخ عبد السلام :- ولكني كنت معهما .. كنتُ أنا في الغرفة أيضاً .

ويرد وقاص : كلا , يا شيخ لم تكن معهما .. ( ويلتفت لعبود ) , اخبرنا يا عبود ماذا حدث عندما وصلت الى مدرسة الجامع عائداً من بيت الشيخ .

فيقول عبود :- في الحقيقة سبقتني اخت الشيخ الى المدرسة , وتبعتها أنيسة وركضت انا ورائهما .. ورأيت ام حليلة تركض الى الغرفة , فبقيت واقفاً في باب

المدرسة وكنت مرتبكاً .. وأشرت إلى سعدون فتبعني وجئنا إليك أيها الشيخ . أنا لم أرى من كان في الغرفة ..

ويلتفت وقاص إلى سعدون ويسأله : و أنت ماذا تعرف ؟

فيقول سعدون :- حين اقتربنا من الغرفة , سمعت الاستاذ خالد يقول عن حجارة و أنها مهمة بالنسبة اليه .. هكذا .. ثم اغلقت الباب , فسكت الاستاذ , ولم يتكلم أحد .. حتى جاءت ام حليلة راكضة , الي وهي تقول أين خوله ؟ أين حليلة ؟ من أنت ؟ وعندئذ قالت المرأة التي في الداخل , أنا هنا يا أمي . ثم بدأت تبكي .. وتطلب من امها أن تفتح ها الباب . ورأيت عبود يقف في باب المدرسة وهو يشير الي . فذهبت اليه وجئنا .. أنا لم أر أحدا ولم اسمع غير ما قلت ..

ويقول الشيخ عبد السلام , متشبثاً بأمل أخير : أنا كنت معهما ..

( عدنان , عندما يسمع ذكر اسم حليلة أمامه , يتحول وجهه إلى كرة منفوخة بالغضب ويلتفت الى حيث يجلس خالد , لكن عيسى وعبد المعطي يتمسكان به ويجبرانه على البقاء في مكانه ) .

ويرد عليه وقاص بصرامة :- كلا , أيها الشيخ , لم تكن معهم .. و أنت تدعي ذلك لسبب معروف .. وأنا أسف أن أقول ذلك .. وخرج أيضا ولكنك دفعتني الى هذا بالقوة ..

ويرتعد جسم الشيخ عبد السلام : ويقول بصوت مرتعش صارخاً :- انا معهم .. وأنت كذاب سافل ..

ويرد وقاص ببرود :- لماذا بقيت صامتاً أيها الشيخ عندما أغلق سعدون عليكم الباب ؟ لم تحاول حتى دفع الباب , واذا كنت عاجزاً لم لم تطلب أن يفعل خالد شيئاً .. هل كنت تخشى أن يعرف أحد انك مع ابنة أختك والأستاذ خالد في الغرفة ؟ .

( الشيخ عبد السلام يبدأ بالتراخي , فلم يعد قادراً على ان يجعل قدميه تحمالانه ) ولكن وقاص يكمل حديثه وهو يرى انهيار عبد السلام امامه :- ومع ذلك ليكن بيننا هذا المصحف . ( ويومئ لأحد معاونيه , فيحضر المصحف ويعطيه لو قاص ) يقع الشيخ على ركبتيه , ويحاول أن يتقي وقوعه على الأرض فيمد يديه .. لكنه لم يفلح فيسقط بكامله وعلى وجهه .. وعندئذ يهجم عدنان على خالد ويمسك به من رقبته , ويندفع مساعده وقاص ويخلصون خالد من يديه ..

\*\*\*

### ( المشهد 208 )

أنيسة تتراجع , ثم تنطلق راكضة في الطريق ..

\*\*\*

### ( المشهد 209 )

ويقوم مساعده وقاص برفع الشيخ عبد السلام , ويضعونه على أحد الحصر .. وقد أغمي عليه .. وفي هذه الإثناء يلاحظ وقاص أن خالد ينسل خفية ويخرج هارباً ويتركه دون أن يقول شيئاً . فيصرخ عدنان : أنه يهرب امسكوه .

فيرد وقاص :- ليس لدينا ضده اي شيء ؟

وينهض صبر الشعار الى الشيخ عبد السلام , ويجلس عند رأسه لمساعدته .

ويسأل وقاص : هل استرد الشيخ عبد السلام وعيه ؟  
ويكون الشيخ قد استرد وعيه نسبياً ، فيفتح عينيه بإعياء ، يكرر وقاص سؤاله  
لصبر :- هل استرد وعيه يا صبر ؟  
يلتفت صبر إلى وقاص قائلاً :- ايها الشيخ ، إنه يفتح عينيه ويغلق فمه ، فلا أعرف  
ان كان هكذا يسترد الانسان وعيه .. اذ لم يسبق لي ان فقدت وعي منذ أن ولدتني  
أمي ! .

ويثير جواب صبر الطويل هذا ابتسامات حذرة على وجوه بعض الحاضرين ، ولكن  
وقاص يقول بجديّة متصنعه :- هل تأخذة الى البيت عندي ؟  
فيقول صبر :- أظن أننا لو نقلناه الى بيته يكون أفضل له .. ولكن حتى يكون قادراً  
على المشي . لأنه ، كما قال لي يرفض إن يحمله أحد الا الى المقبرة .. وكما تعلم  
ليس بين بيته والمقبرة إلا أشبار ، وأخاف عندما نحمله ، يفيق في الطريق ولا  
يعرف الى اي المكانين نحن نحمله !  
يضحك بعض الحاضرين بصوت مرتفع ، فيقول وقاص : ويلك يا صبر ، اتهازأ  
بالشيخ عبد السلام ؟

يتحرك الشيخ عبد السلام ، فيساعده صبر على الجلوس وهو يرد على وقاص :- أنا  
، اهزأ بالشيخ عبد السلام ؟ كيف اهزأ به وأنا الوحيد الذي عرض نفسه للخطر  
بسببه ؟

يتحرك الشيخ عبد السلام محاولاً النهوض ، فينتبه له صبر : انتظرنى يا شيخ ...  
ويقول وقاص غاضباً لأنه أساء فهم صبر : ماذا تقول يا صبر ؟ ماذا عنيت بأنك  
عرضت نفسك للخطر بسبب الشيخ ؟

ويرد صبر :- ليس في هذا اليوم ، ايها الشيخ . بل قبل عام ، في الأيام التي أراد  
فيها الشيخ عبد السلام التخلي عن المشيخة . ولهذا قصة .. يجب أن تسمعها يا شيخ  
وقاص .. أنني لا أريد أن يفهم أحد هنا انني يمكن أن أهزأ بالشيخ عبد السلام .. فأنا  
أيها الشيخ وقاص ، وأتذكر ذلك ، كما أراك أمامي الآن .. ذهبت لكثير من الناس كي  
نقول للشيخ عبد السلام كلاماً صادقاً عن حرصنا على بقائه في المشيخة ، لاننا وان  
كنا لا نعرف له فضيلة علينا فيما مضى فها نحن الآن نراه فاضلاً . وهو الشيخ ،  
يقرُّ بأخطائه أمامنا و يعترف بعدم صلاحيته للمشيخة . فالتقيتُ بتسع وسبعين رجلاً  
، كانوا ثمانين الا أن احدهم حلَّ عقده من الخيط ، فنسيت اسمه (!) . والعجيب أيها  
الشيخ جابر ، رغم أنني التقيت بكل واحد منهم على حدة ، ودون أن يعرف ما قلته  
للآخر .. الا أنهم جميعاً ، وكان أحداً ما . افتي عليهم ، ردوا عليّ نفس الجواب  
بنفس الكلمات :- اذا استطعت يا صبر أن تجعلني أقول للشيخ عبد السلام ما تريد  
دون أن يكون معنا أحد ، فعلت ، والا فانا صاحب عيال ، وما أدراني إن قلت هذا  
أمام آخرين الا يكون بينهم الشيخ الذي سيأتي بعد الشيخ عبد السلام ، وعندئذ أكون  
قد وقفتُ ضدهً وضد مشيخته امامه و أنت تعرف الباقي .. كلا يا صبر ... اذهب  
أنت فليس لديك ما تُعليه غير لسانك !

ربما لن تصدقني أيها الشيخ ، ولكن لديّ البرهان ( وهنا يُخرج صبر خيطاً طويلاً  
من القنب وقد عُقدت عليه عشرات العقد ، ويريه للشيخ وقاص ولبقية الحاضرين

الذين اثار هذا استغرابهم ودهشتهم فعلاً , و يمسك صبر بأصابعه بأول عقدة من عقد الخيط , ثم يبحث في وجوه الحاضرين في المجلس , كأنه يبحث عن شخص ما ويقول :- هذه عبد الجبار ( ويشير إلى أحد الجالسين , ثم يلتفت إلى الشيخ وقاص قائلاً ) أسأله يا شيخ هذا واحدٌ من الشهود ... ( ويلتفت الى عبد الجبار قائلاً ) فم يا عبد الجبار حتى يسألك الشيخ , إن كنت صادقاً فيما قلتُ أو كاذباً ؟  
 ( يقف أحد الفلاحين مرتبكاً , ويكمل صبر كلامه ) وهذه العقدة هي عبد الكريم ( ويشير لأحد الفلاحين ) قم يا عبد الكريم ( يقف الفلاح مع زميله السابق ) ويقول صبر وهذه لفته ( يقف لفته بشكل عفوي , ويكمل صبر ) وهذه عبد الله .. ( يبحث في وجوه الحاضرين ) قائلاً : إنه لم يحضر المجلس . وهذه ..  
 \*\*\*

### ( المشهد 210 )

أنيسة تصعد راکضة جبل الرحمة ... ونسمع هدير الماء .. كأنما يدعوها إليه ..  
 تصعد أنيسة , محلولة الشعر ....  
 \*\*\*

### ( المشهد 211 )

صبر وهو ما يزال , وقد وقف مجموعة من الفلاحين , يقوم بعمله السابق على عُقد الخيط ويقول : وهذه عبد الواحد ( ويشير إليه , فيرتبك عبد الواحد , لكن صبر يقول له ) : لا تخف يا عبد الواحد , فكلنا نعرفك !  
 والآن , وقد فهم الشيخ وقاص ما يرمي إليه صبر , يظهر على وجهه الانزعاج الشديد , يقول بصوت غاضب :- كفى يا صبر , لقد تحوّل المجلس بسببك إلى سوق.

ويرد صبر متجاهلاً غضب الشيخ وقاص : تماماً أيها الشيخ , فانا التقيت بمعظمهم في سوق الخميس .. واعذرني إن أطلت عليك القصة .. وشاهدنا فيها .. هو أنني قلت لهم بعد ذلك : انتم الآن تسع وسبعون رجلاً وأنا معكم نصير ثمانين , فلماذا لا نذهب جميعنا فعسى أن يسمع الشيخ عبد السلام كلامنا .. وإذا لم يسمع فالشيخ الجديد لا يمكنه أن يؤذينا جميعاً . والعجيب أيضاً .. أنهم ردّوا عليّ بنفس الكلام , واحداً , واحداً : اذا لم تذهب عني يا صبر فانا أقسم بالله العظيم انني سأشهد على فعلتك هذه إمام الشيخ الجديد .. واخبره بكل ما تفعله ضده الآن , ويقصدون ما افعله من اجل الشيخ عبد السلام . فكيف اهزأ الآن به .. وكل هؤلاء يشهدون عليّ فاسألهم .. وهم اقساموا بالله العظيم أن يقولوا لك ما فعلته أنا ؟

### ( المشهد 212 )

أنيسة ترمي نفسها في المجرى المائي العميق .. فتتهبط في الماء .. تماماً كالسمكة العائدة إلى مكانها الطبيعي .

### ( المشهد 213 )

الصمت والخوف والارتباك على وجوه الحاضرين في المجلس .. ويلتفت صبر الى الشيخ عبد السلام الذي يظهر أنه استرد وعيه نسبياً , فيمد صبر يده إليه ويساعده على النهوض . ويخرج الاثنان وسط الصمت .. الى خارج المجلس .

## ( المشهد 214 )

الشيخ عبد السلام خائر القوى تماماً ، يسنده صبر على كتفه ويسيران معاً في خطوات بطيئة ومتعثرة ، ونسمع صوت صبر كأنما يتحدث مع الشيخ عبد السلام فيقول :- لا تُسرِع يا شيخ عبد السلام . فلن نلحق بأحد !! ولن يلحق بنا أحد !! نعم هكذا ، ضع يديك حول عنقي ... وعندما ترفع قدمك اليمنى تعلق بي ، فقد لا تستطيع رجلٌ واحدة أن تحملك ، واعمل نفس الشيء عندما ترفع قدمك اليسرى ! كلا ، كلا ، أيها الشيخ لا تتعلق بي هكذا وترفع قدميك كلاهما عن الأرض .. لأنك تعرف الحال ، لم يبق مني غير لساني ، فكيف استطيع أن أحملك ؟ نعم هكذا .. إنك تسمعي جيداً .. فانظر إلى جبل الرحمة .. هناك ... هل تراه ؟ .. كلا ، أيها الشيخ افتح عينيك ولا تفتح فمك ، فنحن كما تعلم لا نرى بأفواهنا .. فهذا الجبل كان اسمه جبل المعصية عندما كان في مكانه ، وصار اسمه جبل الرحمة عندما جاءت حجارته لتمنع الماء من إغراق هذه البلدة !. هل تسمعي أيها الشيخ ؟ إذا كنت تسمعي ، انظر جيداً إلى موقع قدمك حتى لا تضع الواحدة على الأخرى ، وعندها قلت لنفسي ، سبحان ربي الذي علم آدم لأسماء كلها ، رغم أننا نحن البشر جهلنا جهلاً ، في اختيار الأسماء لما يناسبها من الأشياء ، فنحن نسمي جبل الرحمة بهذا الاسم حتى الآن ، رغم إنه يمنع عتاً الماء ونحن بأمس الحاجة إليه . لقد صرنا نسمي ، والسلام ، لا ن فكر باختلاط الأشياء ، فمثلاً كان يمكن أن يكون اسمك الآن الشيخ صبر ويكون اسمي عبد السلام الشعار وأبقى أنا أسندك وتبقى أنت تتعلق بي كلا ، أيها الشيخ لم نصل بعد .. لا تُرخي يدك عن عنقي .. هل تريد أن تجلس ؟ ولكن لماذا ترتخي كلك دفعة واحدة... تماسك .. نعم سنجلس .. كلا أيها .. أرجوك لا تفعل ذلك انتظر حتى تصل الى البيت ..

ويسقط الشيخ عبد السلام بكامله على الأرض .. جاحظ العينين .. وينحني عليه صبر ويفحص تنفسه ، بتقريب إذنه من انف الشيخ وفمه .. يوضع أذنه على صدر الشيخ .. ثم يقف فجأة وقد ظهر عليه رعب حقيقي .. ويصرخ بأعلى صوته :- مات الشيخ ... أيها الناس .. ( ويلتفت إلى المقبرة التي أصبحت قريبة منه ) مات الشيخ أيها الناس ...

ثم يركض .. متعثراً ... وهو يصرخ " مات الشيخ " باتجاه المجلس مرة ثانية ... ويمر صبر على إمرأتين عائدتين من الحقل ( كريمة ، وصبرية ) وكل منهما تحمل حزمة من الحشائش ، فتقول كريمة للتي معها :- ماذا يقول صبر الشعار ؟ فتترد عليها صبرية دون اهتمام :- يقول إن الشيخ مات ! فتترد عليها كريمة بعد صمت : ولكن .. أيّا من الشيخين الذي مات ؟؟ وترد صبرية :- الله اعلم .

- نهاية -

24-6-1988